د. عدنان محمد سلمان الدليمي

آخر المطاف

سيرة وذكريات





آخر المطاف

سيرة وذكريات

الطبعة الأولى

1432هـ - 2012م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2011/8/3024)

920.71
الدليمي، عدنان محمد سلمان
آخر المطاف سيرة وذكريات/عدنان محمد الدليمي.ـ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، 2012.
(260) ص
ر.أ.: (2011 /8/3024).
الواصفات: /السيرة الذاتية//التراجم/



❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

آخر المطاف

سيرة وذكريات

الدكتور

عدنان محمد سلمان الدليمي

دار المأمون للنشر والتوزيع



تصوير

أحمد ياسين

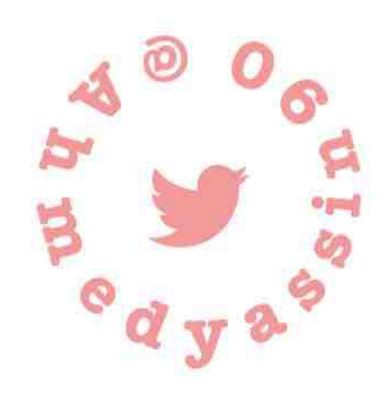


الإهداء

هذه خلاصة تجربتي في الحياة، أقدمها هدية إلى جميع الذين عايشتهم في عهد الدراسة والتدريس، وإلى كل من عملت معه في الحركة الإسلامية، وإلى كل من عمل معي في ديوان الوقف السني، وفي المؤتمر العام لأهل العراق، وفي جبهة التوافق، ومجلس النواب، وإلى أبنائي وأحفادي.

أهدي لهم جميعا هذه الذكريات.

و اللـه أسأل أن يوفقهم جميعا لخدمة الأمة الإسلامية إنه سميع مجيب الدعاء.


@Ahmedyassin90



اخر المطاف
سيرة وذكريات

المقدمة

التاريخ يجري ويسهم في صياغته وتسجيل أحداثه البشر، وكل إنسان مهما كبر أو صغر له إسهام في تسجيل صفحات التاريخ، وقد تكتب تلك الصفحات أو تهمل، ولكن هناك سجل رباني يحفظ كل تحركات البشر ولا يزكي الأنفس إلا الـلـه، وهو المجازي (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ (8)) [الزلزلة: 7 - 8].

واستجابة لرغبة بعض الأصدقاء عمدت إلى تسجيل (سيرتي) منذ أن كنت صبيا إلى أن بلغت من العمر عتيا، اعتمدت فيما سجلته على ذاكرتي الواهنة فليس عندي وثائق ولا مدونات فظروف العمل الإسلامي التي عشناها لم تكن تسمح بالكتابة أو التدوين، وفي عملي السياسي في المؤتمر العام لأهل العراق وجبهة التوافق ومجلس النواب لم أكن حريصا على الكتابة أو التدوين، وكل الوثائق والمدونات والحاسبات التي كانت في مقر مؤتمر أهل العراق في حي العدل في بغداد قد صودرت من قبل الجيش في المداهمة التي حصلت يوم: 2007/11/29.

وقد رتبت هذه السيرة حسب نشأتي ومشاركتي في العمل فبدأتها بالنشأة والانتماء والعمل في صفوف الإخوان المسلمين في الرمادي (لواء الدليم)

وبغداد في كلية التربية- جامعة بغداد، وفي التدريس ثمّ العمل بعد حلّ تنظيم الإخوان المسلمين، والهجرة إلى الأردن والعمل في جامعة الزرقاء، ثمّ العودة بعد الإحتلال وسقوط بغداد والعمل في ديوان الوقف السني والمؤتمر العام لأهل العراق وجبهة التوافق، والعمل في مجلس النواب، وسميتها (آخر المطاف).

ولن يجد القارئ في هذه السيرة أيّ تفصيل عن حركة الإخوان المسلمين في العراق، حيث استغنيت عن ذلك بما كتبه الشيخ كاظم المشايخي عن الشيخ أمجد الزهاوي والأستاذ الصواف، وبما كتبته الأخت الفاضلة إيمان الدباغ فقد كتبت رسالتين (جمعية الأخوة الإسلامية) و(الإخوان المسلمون في العراق) نالت بهما شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعة الموصل.

ولا يسعني إلا أن أشكر كلا من حفيدتي (عائشة ضياء الحديثي) والأخ (خالد عيفان) وابنتي (الدكتورة أسماء عدنان) لمشاركتهم في إعداد مسودة هذا الكتاب على الحاسبة.

وأرجو من كل من يقرأ هذه السيرة أن يدعو لي بالمغفرة والعفو من الله سبحانه وتعالى، فهو وليّ في الدنيا والآخرة .

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدكتور

عدنان محمد سلمان الدليمي

النشأة والانتماء

تنتمي أسرتي إلى عشيرة (البوعيثة) نسبة إلى جدنا الخامس (عيثة) وعشيرة البوعيثة الدليمية لا علاقة لها بعشيرة (البوعيثة) الساكنة جنوب الدورة, والمحاذية لعرب الجبور, وهو تشابه في الأسماء, فهم أيضا ينتسبون إلى جد اسمه (عيثة), ويتصلون بالنسب الهاشمي أما نحن فيتصل نسبنا (أعني الدليم) بقبيلة (الزبيد) اليمنية التي ينتسب إليها كثير من العشائر العربية العراقية, مثل الجبور والجنابيين والعبيد, فضلا عن الذين يسمون (الزبيد) في وسط العراق وجنوبه ,وتنتمي عشيرة البوعيثة إلى عشيرة أكبر وهي عشيرة (البوذياب) التي تسكن مقابل مدينة الرمادي, في الجانب الثاني من نهر الفرات.

وكانت محافظة الأنبار في العهد الملكي تسمى (لواء الدليم), وكان العراق مقسما يوم ذاك إلى أربعة عشر لواء. والنجمتان اللتان كانتا في العلم العراقي سباعيتان, تمثل مجموع الألوية الأربعة عشر لواء.

وتعيش في محافظة الأنبار عشائر عربية غير عشيرة الدليم, مثل عشيرة (الجميلات) في منطقة الفلوجة والكرمة والبو عيسى في منطقة العامرية في الفلوجة, والبو فهد في منطقة الرمادي ويمتدون إلى منطقة الجزيرةوالخالدية, وعشيرة (البيات) في منطقة (حديثة), والمعاضيد جنوب (عنه), وهناك بيوتات كثيرة مبثوثة في مدن المحافظة تنتمي إلى عشائر عربية كثيرة مثل عشيرة العبيد والجبور واللهيب .

وينتسب سكان المدن إلى مدنهم مثل هيت وكبيسة وحديثة وعنه وراوه, بغض النظر عن منابتهم وأصولهم العشائرية, ولاسيما اذا كانوا خارج مدنهم أو خارج المحافظة, فيقولون العاني والراوي والحديثي والهيتي والكبيسي. أما سكان

الرمادي والفلوجة والقائم فلا ينتسبون إلى هذه المدن بل ينتسبون إلى عشائرهم, مثل (المحمدي) نسبة إلى عشيرة المحامدة, التي تقطن منطقة الصقلاوية قضاء الفلوجة, علما بأنهم جزء من عشائر الدليم, وإذا كانوا خارج الانبار يحملون لقب (الدليمي).

وتشكل محافظة الأنبار ثلث مساحة العراق, تعادل مساحة المملكة الأردنية الهاشمية وتحدها خمس محافظات عراقية هي نينوى وصلاح الدين وبغداد وبابل وكربلاء, وتتصل حدودها بثلاث دول عربية هي السعودية والأردن وسورية, وسكانها عرب سنة, ويمتهن سكان الريف الزراعة وهم يشكلون أعلى نسبة سكانية,أما سكان المدن, فيعملون بالتجارة والأعمال الحرة, ويشكل الموظفون نسبة عالية من سكان المحافظة, وأسهم المقاولون من أبناء هذه المحافظة في إعمار جميع المحافظات العراقية. ويشهد ريف المحافظة حركة عمرانية كبيرة, وأصبح السكن في الريف لا يختلف عن السكن في المدن, لاسيما بعد انتشار شبكة الكهرباء ومجمعات إسالة الماء, وتبليط الطرق وإنشاء الجسور, وبناء المدارس ونشرها في مختلف أرجاء المحافظة, وهذا كله جرى قبل الاحتلال زمن الحكم الملكي والجمهوري, ولما تأسست الدولة العراقية سنة 1921وأرادت الحكومة تشكيل قوات الشرطة اختارت للشرطة أشخاصا قليلين من أبناء العشائر, ليكونوا ضباطا في الشرطة بغض النظر عن تحصيلهم العلمي أو العسكري, فرشحت عشيرة (البوعساف) وهي عشيرة الشيخ علي سليمان شخصا منهم اسمه خلف عبد, والذي لقب فيما بعد بـ (خلف بيك) ورشحت عشيرة البوعيثة مطني العواد الحردان ابن اخي الشيخ مشحن الحردان, ووالد السيد مزهر مطني العواد, عضو قيادة حزب البعث المنحل, ورشحت عشيرة الجميله السيد عبد الجبار جسام, الذي استمر في خدمة الشرطة إلى أن رقي إلى رتبة مفتش عام, ثم أحيل إلى التقاعد وألف كتابا أظن عنوانه (ثلاثون سنة في

الخدمة), ثم عزل كل من خلف بيك الذي عُيّن قائم مقام كبيسة ولم يحل محله شخص آخر, وعُزِلَ أيضا مطني عواد الحردان وعيّن مكانه والدي وشغل ضابط شرطة عنه, ونائب قائد شرطة الهجانة, وكان القائد العام لهذه الشرطة الشيخ عجمي السعدون, وكانت الشرطة الهجانة وأغلبهم من أبناء العشائر, ولهم مقر غرب الرمادي في منطقة (البراذين) ويسمى مقرهم (البيرق), وهذا الاسم مأخوذ من كون تشكيلة الشرطة في مسيرها يتقدمها أحد أفرادها, يحمل علماوالعلم من أسمائه (البيرق).

وكان والدي مسؤولا عن إدارة شرطة الهجانة من منطقة الشيخ محروت الهذال في الرزازة إلى منطقة الرطبة, ثم عيّن ضابط شرطة الرمادي وأظن ذلك في حدود سنة 1926,ثم ترك الشرطة وإنتقل إلى العمل في مدينة البصرة. وهناك ولدت في سنة 1932 في محلة المشراق قرب بيت باشا إعيان, وكنت رابع مولود لأبوي بعد ثلاث بنات ماتت إحداهن في البصرة قبل أن ولِدتُ بقليل.

وتوفي والدي سنة 1936وبقينا في البصرة ستة أشهر ثم عدنا إلى الرمادي, ولم نذهب إلى الريف, بل سكنا في مدينة الرمادي, وربما تكون أسرتنا هي أول أسرة من عشيرتنا تسكن المدينة, أما بقية العشيرة فكانت تسكن الريف وغالب أفرادها يشتغلون في الفلاحة, والعشيرة على الرغم من قلة أفرادها إذا قيست ببقية عشائر الدليم ,إلّا أنها كانت تملك أراضي زراعية واسعة في منطقة الجزيرة[1] وهي من أغنى عشائر الدليم وأكثرها رفاهية.

ومشيخة عشائر الدليم منحصرة في بيتين, بيت من عشيرة (البوعساف)

(1) الفرات يقسم لواء الدليم على قسمين, يسمى القسم الايسر الجزيرة لأنها محصورة بين دجلة والفرات ويسمى القسم الايمن الشامية نسبة إلى بادية الشام واغلب مدن اللواء تقع في منطقة الشامية عدا الفلوجة والصقلاوية.

وهو بيت الشيخ علي سليمان و ورثه ابنه الشيخ عبد الرزاق الذي منح لقب باشا, وهو شيخ مجموع عشائر الدليم, والشيخ مشحن الحردان من عشيرتنا (البوعيثة), وكان لواء الدليم في العهد الملكي مقسما إلى ثلاث مناطق انتخابية, هي منطقة الرمادي وهيت ولها نائبان, يشغلهما بالتزكية كل من الشيخ عبد الرزاق علي سليمان والشيخ مشحن الحردان, ولما كبر مشحن الحردان حل محله ابنه المحامي محمد مشحن, الذي اسْتوزِرَ أكثر من مرة, ثم منطقة الفلوجة ولها نائب واحد يتنافس عليه في أغلب الأحيان كل من خليل كنه والسيد عبد العزيز عريم, ويفوز بالإنتخاب خليل كنه الذي شغل وزارة المعارف سنة 1952 وهو من السياسين العراقيين المرموقين, والمنطقة الثالثة منطقة عنه وراوه وحديثة ولها نائب واحد وكثيرا ما يتنافس على هذا المقعد الراويون والعانيون وتحدث بينهم مشاكل وإصطدامات .

ولما أصبح عمري مناسبا لدخول المدرسة الابتدائية ولم يكن عندي دفتر نفوس, وشك مدير المدرسة بعمري, إنتقلنا إلى قريتنا البوعيثة وسجلت في مدرستها, وسكنا أنا وأمي وأختيّ في بيت جدي لأمي من عشيرة الجنابيين, وكان متحالفا مع بيت مشحن الحردان وكان تاجرا قرويا, وبقينا أشهرا معدودة ثم عدنا إلى مدينة الرمادي والتحقت في المدرسة الابتدائية الثانية , وكانت في الرمادي مدرستان إبتدائيتان هي الأولى والثانية ومدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة ثانوية للبنين ولم تكن هناك مدرسة ثانوية أو متوسطة للبنات وكانت البنت إذا أكملت الابتدائية إما أن تجلس في البيت أو تذهب إلى بغداد لتكمل دراستها عند أحد أقربائها وهذه حالات نادرة .

وكان دخولي المدرسة الابتدائية سنة 1939/1938 ولما كانت سجلاتنا المدنية في البصرة وتعذر علينا الذهاب إليها لإستخراج (دفتر نفوس) أي بطاقة

الأحوال المدنية,استحصلنا على دفاتر نفوس من الرمادي, وسُجِلَتْ مكان الولادة في الرمادي خلافا للحقيقة إذ ولادتي كما ذكرت آنفا في البصرة .

وفي هذه السنة وقع حادث هز الشعب العراقي وهو مقتل الملك الشاب (غازي), ولازلت أذكر ذلك اليوم ونحن جلوس في الصف, ويدرسنا المعلم ماجد محمد خالد القيسي (رحمه الـلـه) أخو الدكتور عبد الرحمن القيسي وزير التربية أيام حكم عبد الرحمن عارف, وهو استاذ جامعي مرموق, وصاحب ميول عربية اسلامية, فجاء طالب أكبر سنا منا اسمه سعد الـلـه البيار, الذي أصبح فيما بعد ضابط شرطة في المرور, ومدير شرطة المرور في بغداد, فأخبر المعلم ماجدا بنبأ مقتل الملك غازي, ولما عمّ الخبر المدرسة خرج المعلمون والطلاب في مظاهرة عفوية إلى الشارع, وخرجت جماهير الرمادي كلها وهي تبكي وتندب, وتهتف بشعارات كثيرة, أذكر منها هذا الشعار (مات الاسد) ويعنون الملك فيصل الأول (وابن الاسد) ويعنون الملك غازي (ظل الشبل يحمينا) ويعنون الملك فيصل الثاني الذي لم يكن عمره يتجاوز الرابعة. وقد عمت الأحزان جميع أنحاء العراق بل امتدت إلى دول الجوار ولاسيما سورية.

نشأتُ يتيما وأحطت برعاية والدتي وأضطررت أن أعمل وأنا طالب, ومارست أعمالا كثيرة على الرغم من صغر سني, فقد مررنا بأيام صعبة, فكنت أستيقظ قبل الشمس وأذهب إلى مخبزالجرك(الكعك), وآخذ منه كمية أحملها في طبق على رأسي وأتجول في المقاهي والحارات, وكان صاحب المخبز يعطينا 10% مما نبيع, واشتغلت عامل بناء ولاسيما في العطل الصيفية, واشتغلت في بيع المرطبات ويومها كان هناك شراب يسمى (السيفون), ولا أدري ما تعني هذه اللفظة, يعبأ بقناني تشبه قناني الببسي الآن, وكنت في بعض الأحيان أبيع بعض الحاجات المنزلية الخفيفة, وأحملها في زنبيل كبير وأتجول في الحارات, وكنا

نسكن في غرفة مع أسرة معروفة في الرمادي, وفي مرة من المرات لم تستطع والدتي أن تدفع إيجار الغرفة, وكان مبلغ سبعمائة وخمسين فلسا ,فأخذت صاحبة البيت بدل ذلك قدرا من قدورنا, وكانت والدتي وجدتي لأمي تملكان دارا في وسط الرمادي, وهي دار واسعة بالنسبة إلى بيوت الرمادي, ويأخذون إيجار هذه الدار, وكان ستة دنانير وهو مبلغ كبير يتقاسمنه بينهما, ولما إضطر بيت جدي لأمي إلى الإنتقال من الريف إلى الرمادي, بعد أن فقد جدي بصره, وأصبح لا يستطيع أن يعمل فسكنا جميعا في بيت واحد, وكنا نتقاسم الايجار بيت جدي وأخوالي ونحن, وفي بعض الأحيان يصيب كل منا ربع دينار فقط, ومجموع إيجار البيت دينار واحد و كانت المعيشة سهلة على الرغم من الفقر الذي يعاني منه أغلب أبناء الشعب, وكانت الموارد ضعيفة والأسعار متدنية, فراتب المعلم أقل من عشرين دينارا, وراتب الشرطي ستة دنانير, وإذا كان الشرطي من صنف الخيالة يدفع لحصانه راتب قدره سبعة دنانير شهريا, تكلفة رعاية وعلف الحصان وهو اكثر من راتبه .وفي سنة 1941 حدثت ثورة رشيد عالي الكيلاني والعقداء الأربعة وتمركز جزء من الجيش العراقي في بساتين الرمادي, فأقلعت طائرات من مطار الحبانية, وقصفت مدينة الرمادي وأوقعت ضحايا قليلة وأصابت محطة البنزين فشبت بها النار كما هاجمت المحلات التجارية, فأضطرأهل الرمادي إلى النزوح إما إلى الريف أوإلى مدينة هيت فتوجهنا مع مجموعة من أسر أقربائنا صوب هيت, ومكثنا هناك شهرا ثم عدنا إلى الرمادي .

وكنت أحظى برعاية ومحبة جميع من أشرفوا على تدريسي لِما كنت أتمتع به من إقبال على الدراسة, ولكوني يتيما, وكنت طالبا متميزا لاسيما في اللغة العربية والحساب, الذي سمي فيما بعد (الرياضيات) وربما استَدْعَى وأنا في الصف الرابع لأحل لطلاب الصف السادس المسائل الحسابية التي يعجزون عن

حلها, وهو نوع من التبكيت لهم من قبل المدرس, وعلى الرغم من ضعف الطلاب فكان هناك في المدرسة معلمون مقتدرون أذكر منهم الاستاذ كاظم فتحي عسكر الراوي الذي توفي مؤخرا في لندن, والاستاذ عبد الغفور حميد طه أبو حيدر معلم الحساب (الرياضيات) والاستاذ شفيق توفيق طه الهيتي مدرس اللغة العربية الذي إنتقل إلى بغداد وتولى إدارة المدرسة الفيصلية المشهورة في الكرخ.

وكانت الدراسة ضعيفة والإقبال على التعليم ضعيفا, وأذكر وأنا في الصف الرابع لم ينجح في الامتحان الوزاري النهائي في مدرستنا ولا طالب واحد, وفي السنة الثانية نجح طالب واحد في الدور الاول وهو طارق عواد علي الحسين, الذي أصبح طبيبا عسكريا مرموقا وهو من أسر الرمادي المرموقة وعمه عبد الستار علي الحسين الذي استوزر, أظن في وزارة العدل أيام الحكم العارفي لأنه كان من القوميين النشطاء وأظنه كان من حزب الاستقلال في العهد الملكي.

وفي السنة الدراسية 1946/1945كنا في الصف السادس وجاءت مجموعة من المعلمين الجدد أذكر منهم الدكتور عبد الرحمن حبيب الذي أصبح في العهد الجمهوري وزيرا للمالية والدكتور خطاب صكار الاستاذ القدير في كلية التربية فحركوا مسيرة التعليم, ودفعوا الطلبة إلى الدراسة الجدية, وكان عدد طلاب الصف إثنين وعشرين طالبا وكان مدير المدرسة حازما وهو المربي الفاضل مصلح خليل الراوي, فلم يوافق على تقديم كل الطلبة للإمتحان الوزاري بل سمح لاثني عشر طالبا منهم فقط, ولما ظهرت النتائج نجح عشرة في الدور الأول, والاثنان الآخران نجحا في الدور الثاني, ورغب بعض أصدقائي من الطلاب ان يتقدموا للدراسة في مدرسة دار المعلمين الريفية, التي كانت في الرستمية خلف معسكر الرشيد والدراسة فيها خمس سنوات بعد الابتدائية

وتُخَرِّجُ معلمين للمدارس الابتدائية, فشجعني أصدقائي أن أشاركهم في ذلك,وصادف أن جاء إلى الرمادي الدكتور عبد الرحمن القيسي وسمع من أحد أقاربه أني أريد أن ألتحق بهذه المدرسة, وكانت لنا صلة باسرتهِ, فطَلَبَ من قريبه هذا أن يتصل بوالدتي لتمنعني من التقديم إلى هذه المدرسة, وأن تحثني على إكمال الدراسة الثانوية وفعلا قدمت أوراقي إلى المدرسة الثانوية والتحقت بها وكنت شغوفا بالقراءة وأتردد على المكتبة العامة ومكتبة الإرشاد وهي من المكتبات التي أسستها السفارة البريطانية في مختلف أنحاء العراق وزودتها بكتب يسارية أدبية وقصصية وفكرية وذلك للوقوف في وجه الحركة النازية المتنامية في البلاد .

وكنا شبابا نملك شعورا وطنيا غير مسيس ولا منتمين لفكرٍ معين نشارك في التظاهرات والحركات الوطنية وأذكر في إحدى التجمعات الجماهيرية في الرمادي هَتَفتُ لفلسطين العربية فأسكتني من هم أكبر مني سنا, وطلبوا أن أرفع شعارا مطالبا بالخبز, وعرفتُ فيما بعد أنهم شيوعيون, كنت أحمل في أعماق نفسي شعورا دينيا ويوم ذاك كان الالحاد متفشيا والأفكار المناهضة للدين مسيطرة على أذهان الشباب ولا سيما المثقفون, لم أكن أصلِ الأوقات الخمسة ولكنني أصلي الجمعة فقط, وكانت والدتي أمية ولكنها كانت تصلي الصلوات الخمس ولم يحثنا معلمو الدين على الإلتزام بالصلاة ولم يكن هناك مصلى في أي مدرسة, ولايوجد في الرمادي المحافظة سوى مسجد واحد في وسط السوق, ولا يأمه سوى نفر قليل من الموظفين ولا يتجاوز عددهم أصابع اليد, أما الشباب فلا أحد منهم يأم المسجد, وكان جميع المصلين من الكهول والشيوخ, وحال الريف أسوأ فلم تكن هناك مساجد في الريف إطلاقا, وليس للعلماء أي نشاط ديني سوى أقامة الصلاة في المسجد وخطبة الجمعة, وليس هناك إقبال على التعليم الشرعي, وكان أغلب طلبة العلم الشرعي هم من الشباب الذين

لايريدون أن يلتحقوا بخدمة العلم (التجنيد الاجباري), ولم تكن هناك دعوة دينية, ولا ثقافة إسلامية, ولا كتب دينية, أو فكرية إسلامية, ولا إعلام أوصحافة إسلامية, وكانت هناك جريدة واحدة تنشر شيئا من ألأفكار الدينية وهي جريدة (السجل) لصاحبها محمد طه الفياض العاني, وتدافع عن مذهب أهل السنة, وكانت هناك جرائد سياسية تمثل إتجاهات مختلفة مثل جريدة الحرية لصاحبها قاسم حمودي والد القياديين في حزب البعث (جعفر وسعد حمودي), وهي تمثل التوجه القومي العربي, وجريدة الاستقلال الناطقة باسم حزب الاستقلال، وجريدة الأهالي الناطقة بلسان الحزب الوطني الديمقراطي الذي يرأسه كامل الجادرجي وتمثل التوجه اليساري وجريدة البلاد لصاحبها روفائيل بطي .

وكانت الأفكار الشيوعية واليسارية تغزو أذهان الشباب مع وجود حركة قومية عربية قوية يقودها حزب الاستقلال برئاسة محمد مهدي كبه, وليس غرضي أن أُفصّل القول في الحياة السياسية في تلك الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية, والتي سبقت ثورة 14 تموز وإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية, ولكنني أريد فقط أن أبين ضعف الحركة الإسلامية سواء منها الجانب الديني التعبدي أو الجانب السياسي وكان الفكر الشيوعي واليساري قد تغلغل في أوساط الشباب المثقفين, ولما كنا طلابا في المرحلة المتوسطة أي بعد الإبتدائية في ثانوية الرمادي, كان هناك مع قلة عدد المدرسين خمسة مدرسين شيوعيين أو يساريين, أذكر منهم الشاعر عبد الوهاب البياتي, والشاعر بدر شاكرالسياب, قبل أن يتحول إلى التوجه القومي العربي, والمدرس ممدوح الآلوسي الذي قتل صبيحة يوم 14رمضان سنة 1963لما حدث انقلاب عبد السلام عارف على الزعيم عبد الكريم قاسم, ومدرس الرسم نوري الراوي (وهو شخصية فنية معروفة، وهو غير نوري الراوي وزير الثقافة في حكومة الدكتور إياد علاوي)

وكان يأخذنا في درس الرسم خارج المدرسة, بحجة رسم الطبيعة, وعند ذلك يخلو بالطلاب ليحدثهم عن الديمقراطية والوطنية, دون أن يصرّح بالأفكار الشيوعية, وقد تأثر جل الطلاب به, وكنت ومجموعة من الطلبة لا يتجاوز عددنا أربعة طلبة, لا نشارك في الاستماع إلى المدرس أو المشاركة بالنقاش, فلم نتأثر بالأفكار السياسية اليسارية أو الشيوعية.

وفي العام الدراسي 1948/1947 انتقَلْتُ إلى الفلوجة, وكانت مدينة الفلوجة قبل هذه السنة خالية من مدرسة رسمية لمرحلة المتوسطة أو الثانوية, اذ كانت المدرسة المتوسطة فيها تابعة لجمعية التفيّض في بغداد, وكانت في بغداد مدرستان أهليتان أحدهما سنية وهي مدرسة التفيّض ومدرسة شيعية هي مدرسة الجعفرية. وكان لجمعية التفيّض نشاط خارج بغداد مثل تكريت ولا أدري هل كانت هناك مدارس اخرى في بقية ألوية العراق أم لا؟ فداومت في متوسطة الفلوجة الرسمية و انتقل جميع طلاب التفيّض إليها لأن المدارس الرسمية مجانية ومدارس التفيّض يدفع الطالب اليها اجورا سنوية.

اشترت والدتي بيتا في أطراف الفلوجة بتسعين دينارا وذلك لنكون قريبين من أختي التي تزوجت من أحد أقربائنا وهو الشيخ عبد إبراهيم الحردان وكان وكيل عمه الشيخ مشحن الحردان على مقاطعته في منطقة جداول الصقلاوية وكان مسكنه في ريف ناحية الكرمة وكان التيار الكهربائي غير ممتد إلى المنطقة التي نسكن فيها فعرض عليّ أحد الطلبة من معارفي أن أدرس معه في بيته الذي كان التيار الكهربائي يصل إليه, وهو الطالب بدري عويد العاني والده تاجر الدهن المعروف في الفلوجة الحاج عويد العاني, وكان جده من أمه أحد مشايخ الكتاتيب في الرمادي, وهو إبراهيم شهاب، وكانت في الرمادي عدة كتاتيب على رأس كل منها شيخ يسمى (الملا), وكنا ندرس في هذه الكتاتيب قبل أن

ندخل المدرسة الابتدائية وكان لهذه الكتاتيب فضل كبير في نشر القراءة والكتابة ومحاربة الامية, وكنت ذا إهتمام فائق في الدراسة وأحظى بإحترام الاساتذه وحبهم لي, وأذكر أن مدرس الرياضيات وهو فلسطيني قد سأل طلاب المدرسة المتوسطة سؤالا في الرياضيات, وبعد أن تلقى الأجوبة أعلن في الإصطفاف, أن السؤال لم يحله إلا إثنان, أب وابنه, وهما الطالب محمد سلمان, وكان طالبا في الثاني متوسط, وهو مازال حيا في الفلوجة, وعدنان محمد سلمان, وكان مدرس الانكليزية يعفيني من الإمتحان, ولما دخلنا الإمتحان الوزاري النهائي في المرحلة المتوسطة, وكان عددنا أكثر من ثلاثين طالبا, لم ينجح سوى خمسة طلاب, وكنت أنا الأول فيهم, ولما أنهيت المرحلة المتوسطة (الإعدادية), عزمت على التقديم إلى دار المعلمين الإبتدائية وكانت والدتي ترغب في أن أكمل الثانوية, و بعد محاولاتي المتعددة وافقت على تقديمي إلى دار المعلمين الإبتدائية في بغداد, وكانت تقبل حملة شهادة المتوسطة والدراسة فيها ثلاث سنوات, ويتخرج الطالب منها ليكون معلما, وكانت هي المدرسة الوحيدة في العراق, إضافة إلى مدرسة دار المعلمين الريفية, التي تقبل خريجي المدارس الإبتدائية ومدة الدراسة فيها خمس سنوات, وكان دخولي إلى دار المعلمين الإبتدائية في السنة الدراسية 1950/1949, وبعد هذه السنة افتُتِحَت دار معلمين إبتدائية أُخرى في بعقوبة, وبعد سنوات افتُتِحَت مدارس دور المعلمين الإبتدائية في جميع ألوية العراق وقد أسهمت دار المعلمين بتخّريج جمهرة من قادة الفكر والتعليم في العراق وتضم طلابا من جميع أنحاء العراق ففيها المسلم العربي السني والشيعي وفيها الكردي والتركماني والمسيحي والصابئي, وكنا نعيش إخوة متحابين متعاونين, ننام في مضاجع سوية, ونأكل على موائد طعام واحدة ونمارس الألعاب الرياضية سوية فقد كانت المدرسة تضم قسما داخليا مجاورا للقسم الدراسي وتقع قرب المقبرة الملكية في منطقة الأعظمية, والآن هي مقر الجامعة الإسلامية, ومازلت ارتبط

بعلاقات حميمية مع قسم من الإخوة الطلاب الذين مازالوا أحياء مثل الكاتب والاديب مصطفى صالح كريم من السليمانية, ومنهم من مات مثل الاستاذ فريدون علي امين الأديب الكردي من السليمانية, والدكتور كاصد ياسر الزيدي من الناصرية الاستاذ في جامعة بغداد ومحمد إبراهيم شوكت من الكاظمية ,وكانت دار المعلمين الإبتدائية تضم زمرة من المدرسين الذين أسهموا في تربية طبقات واسعة من المعلمين, أذكر منهم الاستاذ جمال الدين الآلوسي, والاستاذ احمد محمد المهنا مدرس الجغرافية, الذي أسهم مع أحمد سوسه في نشر أطلس العراق, والاستاذ عبد الهادي العمار مؤلف كتب الرياضيات للمدارس الثانوية, والدكتور نعيم صرافة الذي أصبح في ما بعد مدير التعليم الثانوي واستاذا للتربية في كلية التربية, والدكتور يوسف العطّار استاذ الكيمياء والدكتور حسين الداقوقي مدرس الإجتماع, والاستاذ محمود يوسف المصري الذي أصبح فيما بعد استاذا في كلية الآداب, وكانت المدرسة تضم قسمين قسم يسمى (المتوسط) وتدّرس فيه مناهج الثانوية بقسميها العلمي والادبي, وقسم الرياضة, الذي يشرف عليه جمهرة من أساتذة الرياضة مثل الأستاذ سالم جسار, والأستاذ نوري عبد الرزاق السامرائي مدرب الكشافة, والاستاذ محمد إسماعيل مدرب كرة القدم, وجلهم قد إنتقل إلى كلية التربية الرياضية فيما بعد, وكان مدير المدرسة الاستاذ ناجي عبد الصاحب الذي تزوج الدكتورة عاتكة الخزرجي, ثم افترقا, وأرسل في بعثة دراسية إلى الخارج, وجاء بعده الدكتور نوري الحافظ, الذي إنتقل فيما بعد إلى كلية التربية جامعة بغداد ليدرس فلسفة التربية.

انتمائي لحركة الإخوان المسلمين

كنت طالبا في دار المعلمين في المرحلة الأولى لم أكن أصلي سوى الجمعة, وكنا نصليها في جامع الإمام الأعظم النعمان بن ثابت في الأعظمية في غالب الأحيان, وكان إمام المسجد وخطيبه هو العالم الشيخ عبد القادر الخطيب, ورأيت ظرفا مناسبا للصلاة, في دار المعلمين فهناك مصلى بجنب المطعم, ومكان مهيأ للوضوء في القسم الداخلي, فحدثتُ نفسي في يوم من الأيام لماذا لا أصلي؟ فقررت أن أُصلي, فذهبت وقت صلاة المغرب إلى مكان الوضوء فتوضأت, وجئت إلى المصلى, وكانت الصلاة قائمة, فلم أنضم إلى صف المصلين, بل صليت منفردا, فلما انتهت صلاة الجماعة جاءني أحد الطلاب من الرمادي, اسمه ثامر عارف العاني, وهو في مرحلة متقدمة على مرحلتي, فقال لي لماذا لم تنضم إلى صف المصلين؟ فقلت له أنا هذه أول مرة أُصلي ولا أعرف كيف أنضم إلى صف المصلين؟ فأرشدني جزاه اللــه خيرا وقررت بعد ذلك أن أشتري كتابا أتعلم منه الصلاة فاشتريت كتاب تعليم الصلاة للأستاذ محمد محمود الصواف -رحمه اللــه- وكان ثمنه على ما أذكر ثمانين فلسا.

كانت دار المعلمين قرب المقبرة الملكية في الأعظمية وكانت مقابلها ثانوية الأعظمية وكانت في الأصل كلية الملك فيصل يُختار لها النخب المختارة المتميزة من الطلاب من ألوية العراق المختلفة, وانتشرت بينهم مبادئ الشيوعية, فهجم عليهم طلاب كلية الشريعة وأهالي الأعظمية المناؤين للشيوعية, فأُلغِيت وحلت محلها ثانوية الأعظمية, وتقع تقريبا مقابل دار المعلمين الإبتدائية في الشارع المتجه من منطقة (رأس الحواش) إلى المقبرة الملكية, وكانت هناك (فرصة) بين الدرس الثاني والدرس الثالث, مدتها عشرون دقيقة, ويسمح للطلاب أن يخرجوا إلى الشارع, فيختلط طلاب ثانوية الأعظمية بطلاب دار المعلمين, وفي

أحد المرات خرجت في فرصة من الفرص إلى الشارع ,كعادة الطلاب, فرأيت مجموعة من الطلبة عددهم حوالي خمسة عشر طالبا من طلاب ثانوية الأعظمية وكان أحدهم يبدو أنه مسؤولهم, يشرح لهم سورة نوح ورأيت ضمنهم أحد أصدقائي من طلاب الثانوية من زملائي في الدراسة في الفلوجة, وهو الطالب بدري عويد العاني الذي سبق أن ذكرته أيام الدراسة في متوسطة الفلوجة فوقفت بجنبه أشاركهم في الاستماع إلى الشرح, سألت صديقي بدري عويد وقلت له ما هذا الذي رأيته وسمعته؟ وهذا جديد لم نعهده سابقا في المدارس فقال لي: نحن مجموعة من الطلاب ننتمي إلى جمعية دينية اسمها جمعية الأخوة الإسلامية, وهذه الجمعية تعقد إجتماعات كل يوم خميس في جامع (الأزبك) المجاور لوزارة الدفاع في باب المعظم, فقلت له: ما اسم الطالب الذي كان يتحدث لكم ؟فقال اسمه عبد الجبار بكر, فقلت له من يرأس هذه الجمعية؟ فقال: عالم يسمى محمد محمود الصَواف, فقلت: إنني سبق لي أن سمعت هذا العالِم يتحدث في جامع الرمادي, وأنا لم أكن أصلي, وكنت أستمع إليه من خارج المسجد من الشباك, وأعجبتُ بكلامه وحماسته التي تدخل إلى القلوب فأحببته على الرغم من أنني لم ألتقِ بهِ, وأرغب في الإنضمام إليكم. وسأحضر الخميس القادم إلى المسجد,وفعلا ذهبت وحضرت الاجتماع الذي كان يضم مجموعة من الشباب والرجال الكبار وتكرر حضوري وإزداد إعجابي بالاستاذ الصَواف وحبي له, وأصبحت جزءا من الجماعة وكان ذلك أواخر سنة 1949 وأنا في الصف الاول, ثم بدأت أتصل بشباب الأعظمية من الإخوان وكان يتردد إلى ملعب الرياضة في دار المعلمين مجموعة من شباب الأعظمية ,وتبين لي من الاختلاط بهم أنهم من الإخوان و على رأسهم الاخ (منيب الدروبي) [1]

(1) تخرج من كلية العلوم قسم الرياضيات وعين مدرسا في البصرة ثم نقل إلى بغداد، وهو الآن

وكانت عندهم مكتبة في أحد أزقة الأعظمية مجاورة لبيت قارئ القرآن المعروف محمود عبد الوهاب يجتمعون في هذه المكتبة يقرؤون كتب دينية في أغلبها تتعلق بفكر الإخوان المسلمين, ثم علمت أن للجماعة مقرا في الأعظمية مقابل جامع أبي حنيفة مجاور السوق, وبعد ذلك جرى هدم للمنطقة لتوسيع الشارع, عند إنشاء جسر الأئمة الرابط بين الأعظمية والكاظمية سنة 1957, وكان الذي يربط بينهما جسر خشبي بإمتداد الشارع الذاهب من المقبرة الملكية بإتجاه نهر دجلة في منطقة السفينة. وقريب الآن من جامع صالح أفندي.

وبدأت علاقتي بالاستاذ الصّواف والإخوان تتفاعل وتزداد, وفي السنة الثانية جاء صحفي سوري صاحب جريدة إسلامية اسمها (المنار) فدعاه الاستاذ الصّواف إلى مشاركتنا في رحلة إلى منطقة سلمان باك (المدائن)[1] وهو الصحفي السوري بشير العوف، وتعرفت على طالبين من طلاب دار المعلمين كانوا موجودين ضمن المشاركين في الرحلة, وهما سعيد أحمد السامرائي- رحمه الـلـه- الذي أصبح بعد تخرجه مسؤول الإخوان في سامراء, وعبد الرحمن حجي علي الذي أصبح مسؤول الإخوان في المقدادية, والذي أصبح من المؤرخين المشهود لهم واساتذة الجامعات المرموقين واصبح متخصصا بالتاريخ الإسلامي ولاسيما تاريخ الأندلس وهو الآن مقيم في إسبانيا, وقد نال الدكتوراه من جامعة كمبرج في بريطانيا, وكان كل منهما في المرحلة النهائية (الصف الثالث) وكنت في الصف الثاني وطلبت منهما أن نتعاون داخل المدرسة ولم يكن هناك طالب آخر في المدرسة يحمل فكر الإخوان سوانا نحن الثلاثة, وكان التوجه العام بين

يعمل ضمن تشكيلات الحزب الإسلامي

(1) سلمان باك وهو الصحابي الجليل سلمان الفارسي. المنطقة تبعد جنوب شرقي بغداد بحوالي ثلاثين كيلو.

الطلاب هو التوجه الشيوعي ولم يكن هناك حركة للقوميين العرب عدا طالب واحد, وهو ناظم جواد, أخو حازم جواد القيادي في حزب البعث, والذي تولى أيام حكم البعثيين الأول وزارة الخارجية, وبعد التخرج وإزدياد نشاط البعثيين في العراق إنضم ناظم جواد إلى حزب البعث, ولما أصبحتُ في الصف الثالث من العام الدراسي 1952/1951 أصبح عددنا خمسة طلاب فقد التحق في السنة الأولى أربعة طلاب كانوا يحملون أفكار الإخوان وهم:

1. خليل فضيل الكبيسي -رحمه الـلـه- وكان والده الحاج فضيل من كبار أهل كبيسه والمتكلم بإسمهم والمدافع عن حقوقهم أمام المسؤولين الحكوميين, وقد نال الأخ خليل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية وأظن أنه كتب عن حلف بغداد, وأصبح استاذا في كلية القانون والعلوم السياسية وتوفي في أثناء الحرب العراقية الإيرانية.
2. خالد شريف العاني من الفلوجة ولا أدري اين هو الآن؟
3. قاسم عبد الكريم العاني -رحمه الـلـه- من الفلوجة أيضا وتعين معلما في الفلوجة إلى أن توفي.
4. عبد القادر إسماعيل خوشناو من إخواننا الأكراد, وتعين معلما في المنطقة الكردية, ولا أعرف عنه شيئا الآن.
5. رشيد جلال تركماني من كركوك, ثم إلتحق بالجيش في القوة الجوية, ولا أعرف عنه شيئا الآن.

وتشكلت منا أول أسرة في دار المعلمين الإبتدائية, وترأسها الأستاذ محمد محمود الصواف ثم أوكل رئاسة الأسرة إلى الأخ حسين صالح (أبو علي) وكنا نجتمع في شعبة الإخوان في الأعظمية إلى أن خرج الأخ حسين من الجماعة, ثم تخرجت من دار المعلمين وانتقل عملي الإخواني إلى لواء الدليم وذلك سنة 1952م.

الجمعياتُ الإسْلامِيَّةُ فِيْ الْعِرَاق

تأسست جمعية الأخوة الإسلامية في العراق سنة 1949م, برئاسة الشيخ أمجد الزهاوي وسكرتارية الأستاذ الصَّوَّاف، وبالتعاون مع مجموعة من الأفاضِل، منهم: الأستاذ (محمد طه الفيّاض) صاحب جريدة (السِّجِل) التي تغيّر اسمها في العهد الجمهوري لتحمل اسم (الفجر الجديد)، والأُستاذ المحامي (خضر عبد الرحمن) الذي أصبح رئيس ديوان الوقف، وهو بمثابة وزارة الأَوقاف في العهد الملكي والجمهوري, والسَّيِّد (محمد عاصم النقيب) رحمهم اللـه جميعا .

وفي السنة نفسها تأَسست جمعية التربية الإسلامية، التي أَسست مدارسَ إبتدائية ومدرسة ثانوية في بغداد، وكان تأثيرها واسعا في تربية النشئ، ثم حُلت لمّا أُلغي التعليم الأهلي أيّام حكم البعث، وترأس الجمعية أيضا الشيخ أمجد الزهاوي، وكان الأستاذ المجاهد عبد الوهاب عبد الرزاق السامرائي السكرتير العام للجمعية -رحمه اللـه- وهو الرئيس الحقيقي للجمعية, وأصدرت الجمعية مجلة باسم (مجلة التربية الإسلامية) وهي مازالت تصدر إلى الآن، وحافظت على سِمَتِها ومنهجها على الرغم من التّقلبات السّياسية من العهد الملكي إلى العهد الجمهوري إلى عهد الحكومات بعد سقوط بغداد .

وكانت هناك جمعيات أخرى تأتي في مقدمتها (جمعيّة إنقاذ فلسطين) التي تأسست سنة 1947م برئاسة الشيخ أمجد الزهاوي وسكرتارية الأستاذ الصّوّاف، وذلك سنة 1947م، واستمرت هذه الجمعية في نشاطاتها السياسية إلى مجيء البعثيين سنة 1968م، ومقرّها مع مقر جمعية الأخوة الإسلامية في بابِ المُعَظَّم في الفرع المقابل لجامع (الأزبك) والسالك إلى (محلَّة السور) التي فيها

تكية (الشيخ كمر) إحدى تكايا الصّوفيّة السنيّة في بغداد .

وقد استطاعت جمعية إنقاذ فلسطين أن تشكِّل فوجا من المجاهدين العراقيين وترسله إلى فلسطين قبل بدء الحرب الفلسطينية سنة 1948م.

وأذكُر جيدا تلك الليلة التي وصل فيها هذا الفوج إلى (الرَّمادي) وكان يرافقهم الأستاذ الصّوّاف، فخرج أهل الرمادي شيبا وشبابا لاستقبالهم والترحيب بهم، وتقديم الأكل والشراب لهم، ولمّا بدأت المعركة زارهم الأستاذ الصّوّاف في ميادين القتال وكان على اتصالٍ بهم، يمدهم بالسلاح والغذاء وكل ما يحتاجون إليه، وقد استُشْهِد عددٌ منهم .

وللشيخ أمجد الزهاوي والأستاذ الصّوّاف نشاط واسع في معالجة القضيّة الفلسطينية، وقد تناول ذلك من كتب عن شخصية الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ الصّوّاف.

وكانت هناك جمعيات إسلامية تأسست قبل جمعيات(الأخوّة الإسلامية والتربية الإسلامية وإنقاذ فلسطين)، وأقدم جمعية هي (جمعية الشّبّان المسلمين) التي تأسست سنة 1929م وأصدرت مجلّة باسم (العالم الإسلامي)، ولم تستمر هذه المجلّة، وكان مقر الجمعية في الصالحية بجانب محطة الإذاعة العراقية، ولم يكن لها نشاط وكان آخر رئيس لهذه الجمعية التاجر العراقي المعروف (عبد الحميد الدّهان)، وحاول الإخوان في زمنه أن يُنَشِّطوا الجمعية، فلما أحسَّ أنهم يريدون أن يوجّهوا الجمعية نحو العمل المنظم، إستقال من الجمعية، وأنه حلّ محلّه (الدكتور حسام سعيد النعيمي) الأستاذ في كلية الآداب، وبدأت الجمعية تنشط وتقيم احتفالات كثيرة وتسعى إلى توزيع الإعانات لاسيَّما أيّام الحصار، وتقيم كل سنة مهرجانا باسم (الشعر النبوي)، وهي مازالت قائمة ومقرها في منطقة (المنصور) غرب بغداد، مقابل مستشفى الهلال الأحمر، ولكن نشاطها ضعيف

بسبب الظروف الأمنية والسياسية .

و(جمعية الهداية الإسلامية) تأسست سنة 1930م, وكانت تصدر مجلّة اسمها (الهداية)، ثمّ تأسست (جمعية الآداب الإسلامية) بعد سنة 1940م، وانضمّ الأستاذ الصّوّاف إلى هذه الجمعية سنة 1947م، فاختلف مع الشيخ (كمال الطائي) إمام جامع (المراديّة) في باب المعظّم، وأحد أكابر علماء بغداد وأُدبائها، فخرج الأستاذ الصّوّاف من هذه الجمعية، وكانت تُصدِر مجلة باسم (الكفاح)، ومازالت قائمة يرأسها الشيخ (صبحي السامرائي) ومقرّها في (جامع عادلة خاتون) قرب جسر الصّرّافيّة في الرّصافة في منطقة (العيواضيّة) من محلّات بغداد الشهيرة, والشيخ صبحي السامرّائي أصله ضابط شرطة في شرطة المرور، وأصبح عنده توجه إسلامي علمي، فأصبح من العلماء السّلفية المعتدلين في بغداد، والتفّ حوله جماعة من الشباب ليعاونوه في إدارة الجمعية، وعلى رأسهم رجل فاضل اسمه (حميد نادر)، وبيني وبينهم تعاون وتشاور وهم على أنشطة ثقافية، ويرعون دورات تحفيظ القرآن في مناطق الرصافة ويديرون مركزا صحيّا في منطقة (الفضل)، ولهم إسهام في مساعدة أُسر فقيرة كثيرة، والحياة الأمنيّة المضطربة دعت الشيخ صبحي السامرائي إلى الهجرة من العراق وهو الآن في لبنان.

جمعيّةُ الأُخُوَّةِ الإِسْلاميّة[1]

تأسست جمعية الأخوة الإسلامية ـ كما ذكرنا سابقا ـ برئاسة الشيخ أمجد الزهاوي وسكرتارية الأستاذ الصَّوّاف سنة 1949م، وبدأت نشاطها في بغداد، واتخذت مقرات لعقد اجتماعاتها في عدّة مساجد منها (مسجد السراي) وهو مسجد (الملك غازي) في الطريق القادم من سوق السراي والمتجه إلى مديرية الشرطة السابقة و(سوق هرج) الشهير، وكذلك (جامع السليمانية) مقر المدرسة السليمانية التي كان الشيخ أمجد الزهاوي يدرس فيها .

بدأت صلتي بالإخوان منذ انتقالهم إلى المدرسة السليمانية، وفي الوقت نفسه كانت للإخوان لقاءات في مسجد الأزبك، وذلك في حدود سنة 1950م، ومن هذا المسجد بدأ نشاط الإخوان يمتد إلى مناطق بغداد وألوية العراق المختلفة، بجهود الصَّوّاف والإخوان العاملين الذين سبق ذكر الكثير منهم[2] .

وتأسست قبل هذا التاريخ مكتبات كثيرة تحمل عناوين متعددة منها (الشباب المسلم) و (الإخوان المسلمون)، فكانت في مدينة الأعظميّة مكتبة في منطقة (رأس الحَوّاش) يديرها مجموعة من الشباب منهم (طارق عبد الوهّاب العوسج)، الّذي نال درجة الدكتوراه في الأَدب الإسلامي من القاهرة فيما بعد، ودرس في كلية الآداب، وبعد سنة 1994م أيّام الحصار خرج واشتغل في عدّة بلدان منها : ماليزيا والإمارات العربية، وقد توفي في بغداد بعد سنة 2003م

(1) كتبت الأخت الفاضلة إيمان الدبّاغ من الموصل رسالة ونالت بها درجة الماجستير من جامعة الموصل عن جمعية الأخوة الإسلامية .

(2) لن أُفصِّل القول في هذه الجمعية لأن الأخت إيمان الدبّاغ قد أجادت في الحديث عنها، ولكنني سأبيّن نشاطي الشخصي داخل هذه الجمعية وحركة الإخوان التي تمثل الجمعية نشاطاتها.

أي بعد سقوط بغداد .

وكانت هناك مكتبة أخرى في الأعظميّة يديرها الأخ (منيب الدروبي) في الزقاق المتفرع من شارع الإمام الأعظم قبل البريد, وكان يسكن إلى جوار المكتبة (محمود عبد الوهّاب) القاريء المشهور في الإذاعة العراقية .

وتأسست مكتبة في (باب الشيخ)، وفي الزبير (مكتبة الإخوان المسلمين), وفي أربيل تأسست مكتبة في وقت متقدّم سنة 1945م كان يشرف عليها (المهندس عبد الوهّاب الحاج حسن) من جملة الطلبة الذين تأثروا بالأساتذة المصريين الموفدين إلى العراق .

وفي سنة 1947م أسس مجموعة من المتأثرين بحركة الإخوان مكتبة في كركوك كان يشرف عليها (المحامي نور الدين الواعظ) الذي أصبح فيما بعد من قادة الإخوان في العراق، وتولّى رئاسة بلدية كركوك بعد ثورة تموز سنة 1958م، وهو الآن مقيم في تركيا، وكان يعاونه كل من (سليمان القابلي) رحمه الـلـه، و (سيد أحمد) رحمه الـلـه، ومازالت المكتبة موجودة يشرف عليها أبناء الأستاذ سليمان القابلي دون أن ترفع عليها (لافتة) فيها عنوان المكتبة .

وفي سنة 1951م على ما أذكر افتتح للإخوان شعبة في الأعظمية وكان مقرّها في ظهر سوق الأعظمية مقابل (جامع أبي حنيفة)، وبعد إنشاء (جسر الأئمة) جرى هدم للمنطقة لتوسعة الشارع النافذ إلى الجسر، وتأسست شعب في الفضل وكان يشرف عليها ثُلّة من الإخوان أذكر منهم (الحاج محمود الجبوري) ـ إبو حامد ـ رحمه الـلـه) الذي كان يشتغل في وزارة الداخلية في مديرية الجمعيات، ووالد الشيخ الدكتور (أحمد محمود الجبوري) ـ أبو دعاء ـ رئيس قسم الحديث النبوي وعلومه ـ الجامعة الإسلامية ـ بغداد .

وفتحت في الكرخ شعبة يُشرف عليها (المحامي مصطفى الوهب العاني)

الّذي خرج من الجماعة في وقت متقدم, وذلك سنة 1953، ويعاونه كل من الأخ (سامي مكي العاني) الذي نال شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة قبل سنة 1970م, واشتغل مدرِّسا في كلية الآداب ـ جامعة بغداد، وكلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية، وأُعيرت خدماته إلى جامعة الكويت، وهو الآن في الإمارات العربية يعاني من مرض عضال، ويرقد في أحد المستشفيات، وممن كانوا يشرفون على شعبة الكرخ الأخ (جاسم العاني) رحمه الـلـه، الّذي أصبح فيما بعد طبيبا, وتولّى رئاسة صحة الرمادي، ثمّ انتقل إلى بغداد، وممن يشرفون على هذه الشعبة أيضا الأخ (علي صالح السعدون) الّذي تخرّج من كلية الحقوق واشتغل في مديرية البريد في المحطة العالمية غربي بغداد، وصدر عليه أمر إلقاء قبض في سنة 1971م, فهرب من العراق إلى سوريا, وهو الآن مقيم في أمريكا مع ولده (عمر), وانقطع عن الإتصال بنا منذ سنة 1974م, وسأتحدث عنه في سيـــــاق حديثي عن عمل الإخوان .

وعن طريق الأستاذ مصطفى الوهب والأخ سامي العاني تم اتصال (الدكتور عبد الكريم زيدان) بالإخوان في حدود سنة 1952م، وأوّل لقائي بالدكتور عبد الكريم كان في هذه السنة في شعبة جمعية الأخوة في الأعظمية، فقد كان هناك لقاء إسبوعي لطلاب الجامعة من الإخوان، فألحقونا بهم ـ نحن طلاب دار المعلمين ـ فشرح لنا الدكتور عبد الكريم سورة (العصر) في أربع لقاءات، فشرح في أوّل درس معنى قوله تعالى (الَّذِينَ آَمَنُوا) وفي الدرس الثاني معنى قوله تعالى (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)وفي الدرس الثالث معنى قوله تعالى (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) وفي الدرس الرابع معنى قوله تعالى(وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)وكان الأستاذ الصّوّاف إذا سافر خارج العراق يوكل الأستاذ عبد الكريم زيدان في إدارة الإخوان, لأنّه وجد فيه العلم والحكمة والعقل، وكان الأستاذ

عبد الكريم مديرا للمدرسة (النجيبية الدينية) التي كان مقرّها في (شارع المتنبي) في محلة (نجيب باشا) قرب شارع الرشيد، وقد نال درجة الدكتوراه من كلية الحقوق ـ جامعة القاهرة ـ قبل سنة 1970م، وتولّى رئاسة قسم الدين في كلية الآداب, ودرس في كلية الحقوق، وتولى عمادة كلية الدراسات الإسلامية قبل أن يُلغى التعليم الأهلي سنة 1975ـ 1976م وتلحق كلية الدراسات الإسلامية بكلية الآداب باسم (الدورة المسائية الخاصة).

ثمّ فتحت شعب كثيرة في ألوية العراق المختلفة ـ في البصرة والزبير مثلا ـ وهاتان المدينتان دخلت إليهما دعوة الإخوان في وقت متقدم عن طريق المجلّات التي كان يصدرها الإخوان, مثل (مجلة الإخوان المسلمين) التي دخلت البصرة والزبير سنة 1941م, وكان للشيخ المصري (أحمد الأحمر) ـ مندوب الأزهر إلى البصرة ـ أكبر الأثر في نشر الدعوة في البصرة والزبير, فنشأت طبقة كبيرة من الشباب تحمل أفكار الإخوان، أذكر منهم الأخ (عبد اللـه عقيل) و (عبد الواحد أمان) الذي تخرج لاحقا من كلية التجارة في بغداد, واستعاد جنسيته الكويتية فاستقر هو وإخوانه هناك إلى أن أُحيل على التقاعد، وقد أسهم في نشر دعوة الإخوان في الكويت، ومازالت لي علاقة طفيفة به، والأخ (عبد الصمد الرديني) من أُسر البصرة المشهورة, و(خليل عقرب) الذي تخرّج من دار المعلمين العالية وعمل مدرّسا في البصرة، ومديرا لأوقاف البصرة, ومازال موجودا في البصرة ويشرف على (ديوان آل عقرب), والأخ (عبد الهادي باحسين) و (المهندس قيس قرطاس) والأخ (عبد القادر الأبرش) الّذي تخرج من دار المعلّمين العالية, واشتغل في التدريس في البصرة.

وقد عمّت شعب الإخوان ومكتباتهم غالب ألوية العراق، فالمدينة التي لاتُفتح فيها شعبة, تفتح فيها مكتبة, مثل (حديثة وعانه وهيت والديوانية

وديالى) وكان يشرف على مكتبة الأخوة الإسلامية في الديوانية السيد (جواد محمد عطا) رحمه الـلـه، الموظف في بريد الديوانية ووالد (المحامي محمد جواد) الذي يعمل الآن في الديوانية، وكان يساعده الضابط (محمد فرج) الذي أُعْدِمَ هو ومجموعة من الضبّاط وغيرهم ـ وكان عددهم خمسين ـ بعد سيطرة البعثيين على الحكم سنة 1968م, وهذه أوّل حملة إعدامات تقع أيّام (ناظم كزار) في سجن (قصر النهاية) الّذي كان في الأصل قصر (الأمير عبد الإله) والّذي قُتلتْ فيه العائلة الملكية أيام ثورة 14 تموز.

وفتحت مكتبة في (شهربان) يديرها الحاج (أكرم جاسم خان), ومن الإخوان في ديالى الحاج (عباس محمد الجبوري) صاحب محل لبيع المواد الإنشائية يسمى في العراق (سكلّة), ومن مشاهير شهربان من الإخوان الحاج (حسون أبو سامي), وكنّا كثيرا ما نلتقي به في بغداد, لأنه كان شديد الصلة بالأستاذ الصّوّاف، وكان في (بعقوبة) الحاج (عبود) صاحب مقهى ويشرف على نشاط الإخوان، وكثير التردد إلى بغداد, ولا أذكر أهناك مكتبة أم لا!.

وليس من غرضي التوسع في الحديث عن جمعية الأخوة الإسلامية فقد أشبعت هذا الموضوع بحثا الأخت إيمان الدّباغ, وإنما أتحدّث عن عملي الخاص, وربما اضطررت للإشارة إلى العمل العام في هذه الجمعية وبحركة الإخوان المسلمين.

ففي سنة 1951م وكنت طالبا في دار المعلمين ذهب الأستاذالصّوّاف ومجموعة من الإخوان إلى الرمادي ولم أكن معهم، ففتحوا مكتبة للجمعية بجوار (المسجد الكبير) الذي لم يكن غيره في الرمادي، وانتمى إليه مايقرب من مائة وخمسين شخصا على رأسهم (ملّا فاضل محمود رحيم النعيمي) البصير, واعظ منطقة الرمادي، ولم يكن في البلدة من يحفظ القرآن غيره, والحاج (عبد النبي

شبيب الهيتي) الذي كان موظفا في معارف اللواء، والحاج (محمود اللافي) أخو الحاج (هميّم) المقاول المعروف والد كل من الحاج (رشيد هميّم) والدكتور (عبد اللطيف هميّم) الذي دَرَّسْتُهُ في (مدرسة الرشيد الإبتدائية في الرمادي) وفي كلية الدراسات الإسلامية، وشباب كثيرون سأتعرض لبعضهم حينما أتحدّث عن عملنا في (لواء الدّليم).

وقمنا بزيارة مع الأستاذ الصّوّاف إلى الرمادي والفلوجة وأقمنا هناك احتفالا بمناسبة المولد النبوي على ما أذكر، وعدنا إلى بغداد في الليل وكان المشرف على الرحلة الأخ (حسين صالح الأعظمي) المعروف بـ (أبي علي) الذي أحدث فيما بعد أكبر انشقاق في حركة الإخوان في وقت متقدّم، وذلك سنة 1952م، وتحدّث في الرمادي الأستاذ الصّوّاف وبعض الأخوة من دار المعلمين العالية أذكر منهم الأخ (صبحي أحمد الداودي) من أربيل، والأخ (أحمد نجم الدين البرزنجي) وكان أخا نشطا وفعّالا, وبقيت صلتي به إلى أن توفي بعد سقوط بغداد, وقاد انشقاقا صغيرا يضم بعض الطلبة في بغداد, وبقي وفيا لحركة الإخوان إلى أن توفاه الـلـه .

وفي سنة 1952م والأستاذ الصّوّاف في جولة خارج العراق وأظنّه في باكستان, حصل انشقاق كبير كان له أكبر الأثر في عرقلة عمل الإخوان, وقاد هذا الإنشقاق الأخ حسين صالح الأعظمي ـ أبو علي ـ الذي كان المربي الحقيقي لشباب الأعظمية, وكان رئيس أسرتي, وأصابت شباب الإخوان نكسة كبيرة, وخاصّة أن الأستاذ الصّوّاف غير موجود، وتولّى الأستاذ المحامي (حامد خليل الفيّاض) جمع الإخوان وتوحيد صفّهم.

ومازلت أذكر أنني لمّا ذهبت إلى شعبة الجمعية بعد أداء صلاة الجمعة في جامع أبي حنيفة, واعتاد الإخوان أنّهم يجتمعون بعد الصلاة لمدارسة خطبة

الجمعة، فرأيت في دهليز الدار الأخوة (عبد الملك أمين الطائي) و(كمال عبد اللـه القيسي) و (بدري عويد العاني) جالسين القرفصاء ورؤوسهم منكوسة إلى الأرض وأحسبهم كانوا يبكون .

واستطاع أبو علي أن يأخذ مجموعة من إخوان الأعظمية وفتح مكتبة في السوق سمّاها (مكتبة الإخوان المسلمين)، وادّعى أنّه هو الذي يتحدّث باسم الإخوان المسلمين، أمّا نحن فجمعية الأخوّة الإسلامية، ولمّا عاد الأستاذ الصّوّاف واختير الأستاذ عبد الكريم زيدان حَكَمًا، أعطى الحق للأستاذ الصّوّاف، والخلاف نشأ من الإختلاف في موارد الجمعية الإستهلاكية التي أنشأها الإخوان في الأعظمية، وأظنّ أنّ الجمعية استولى عليها أبو علي وانقطعت صلتها بجمعية الأخوة الإسلامية .

وفي هذه السّنة 1952م في الشتاء بلّغنا الإخوان بأن نذهب لاستقبال الأستاذ (سعيد رمضان) أحد قادة الإخوان في مصر وصهر الإمام الشهيد حسن البنّا وصاحب مجلة (المسلمون) التي كانت تصدر في القاهرة، وبعد سنة 1954م انتقلتْ إلى جنيف، وكانت من أرصن المجلّات الإسلامية وأكثرها انتشارا في العالم الإسلامي، ويكتب فيها أكابر العلماء والمفكرين، وكان من جملة المشتركين فيها في بغداد (عبد السلام عارف) لمّا كان ضابطا قبل ثـورة 14تمّوز .

فاجتمعنا في شعبة الأعظمية ليلا، ومن هناك انطلقنا إلى (مطار المثنّى) بحافلة من نوع (اللوري)، وكان معنا الأستاذ الصّوّاف إذ لم تكن عنده سيّارة، وفي إحدى غُرَف المطار التقينا بالأستاذ سعيد رمضان، بطربوشه المصري وسمته العذب، وكان عائدا من باكستان في طريقه إلى القاهرة، ولم توافق الحكومة العراقية على دخوله بغداد، وحدثنا عن أواصر الأخوّة، وكان معي إخواني طلّاب دار المعلمين الإبتدائية وأنا قبل الذّهاب إلى هذا اللقاء أخبرت مراقب القسم الداخلي من الأساتذة، وأظنّ أنّه الأستاذ (سعيد عبد الكريم الكردي)

الذي كان يشرف على الإذاعة الكردية الحكومية في بغداد، وقلت له نحن ذاهبون لاستقبال صديق في المطار، والطائرة تأتي متأخّرة ورجوته أن يخبر الحرّاس في القسم الداخلي ليفتحوا لنا باب القسم، ولمّا عدنا فتح لنا الحرّاس الباب، ودخلنا إلى القسم الداخلي, وفي اليوم الثاني كانت هناك مباريات لكرة القدم بين الفريق المدرسي للواء الدليم وفريق بغداد، وكنت محبّا للرياضة وأحرص على حضور مثل هذه المباريات, والتقيت في الملعب بالطالب (ناظم جواد) القومي, فقال لي: ياعدنان اذهب إلى (الردهة)[1], وأخرج كل ما عندك من كتب سياسية أو مجلّات, لأنّ مدير المدرسة الدكتور (نوري الحافظ) قد سألني عنك, وهل عندك نشاط سياسي؟ وأخشى عليك من المتابعة الأمنية, فشكرته, وقلت له: الآن اتضح لي لماذا جاء المدير إلى المطعم وطلب منّي أن أحضر إلى غرفته الساعة السابعة مساءا، وهي الساعة التي تبدأ فيها المطالعة الإجباريّة لطلبة القسم الداخلي، فكنّا ملزمين أن نجلس في صفوفنا في القسم الدراسي لمدة ساعتين من السابعة إلى التاسعة مساءا، وفعلا ذهبت إليه في الموعد المحدد, فقال لي: يا عدنان (صاير سياسي), وكأنّ السياسة ممنوعة على الشباب, هذه عقلية رجال الحكم والمسؤولين عن التربية والتعليم يومذاك، والدكتور نوري الحافظ كان شيوعيا ثمّ ترك الشيوعية وأصبح من رجال النظام الملكي، فقلت له: كيف يا أستاذ ؟ فقال: تذهب إلى استقبال سعيد رمضان وهو من كبار رموز الإخوان المسلمين؟ فاعتذرت بحجّة, وهي أنني أعرف الأستاذ سعيد رمضان من خلال اشتراكي في مجلة (المسلمون), وهو رئيسها فأردت أن أشارك في استقباله في المطار مع محبيه والمعجبين به، فلمّا لجّ في الكلام تركته وخرجت، فوجدت الإخوة الّذين كانوا معي أيضا قد استدعاهم للتحقيق معهم، فقلت لهم وبصوت مرتفع: لا تخافوا، ولا يستطيع أن يفعل شيئا، وأردت أن أُسمِعه

(1) كنا ننام في قاعات تحوي مايقرب من عشرين سريرا تسمّى كل قاعة (ردهة) وهي على ما أعتقد كلمة عاميّة أو عربية مولّدة لم أجد لها معنى في المعجم .

الكلام, ولمّا دخلوا عليه أنّبهم، وقال لهم: (لا تصلّوا) جماعة, وفي الأصل كانت عندنا غرفة اتخذناها مُصلّى بموافقة رسمية, وكنّا نقيم فيها لقاءات ودروسا دينية, وهددهم بالفصل, فقال له أحد الإخوة وهو شيعي من (الكاظمية) سبق أن ذكرته واسمه (محمد ابراهيم شوكت): أستاذ إذا فصلتنا, أذهب أبيع لبنا في الكاظمية وأعيش, ثم صرفهم ولم نغيّر مسيرتنا ولكننا قللنا الدروس في المصلّى بل ألغيناها .

وكان ممن يعمل معنا من إخواننا الشيعة إثنان هما (محمد ابراهيم شوكت) و (وكاصد ياسر الزيدي) الذي نال الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة القاهرة, واشتغل معي في كلية الشريعة في مكّة المكرّمة, واشتغل في جامعة الموصل, وبقينا على صلة إلى أن مات بعد سقوط بغداد, وبعد تخرجه من كلية التربية عمل في مدينة الناصرية، وكنت أزوره في الناصرية ونتشارك في الدعوة إلى فكرة الإخوان في هذه المدينة وكان على رأس العمل فيها شاب مثقف من أهل السّنة اسمه (قيس سلمان) ثم سافر إلى الكويت, وأعتقد أنّه عمل في إذاعة الكويت, وانقطعت أخباره .

وكان الأخ محمد ابراهيم شوكت من جماعة الخالصي في الكاظمية, وكان يأخذنا إلى مدرسة الخالصي (جامعة مدينة العلم) في الكاظمية, ونحن نأخذه معنا إلى جامع الأزبك وإلى المركز العام لجمعية الأخوة, وبقيت الصلة به، وكان يزورنا في حي العدل في العقد السابع من القرن الماضي, ثم انقطعت أخباره.

وكانت روح الأخوة هي السائدة بين السّنّة والشّيعة فليس هناك حقدٌ أو قتلٌ، على الرغم من وجود الخلاف المذهبي، وكان الأمر لا يتعدى خطبة هنا أو هناك من خطيب سنّي أو شيعي، ومقالة في جريدة من الجرائد, وكانت لنا صلات مع مراجع شيعية, وممن زاروا مقر الجمعية الشيخ (محمد مهدي الخالصي) وكان ولده الطالب في كلية الحقوق (محمد مهدي) يتردد على المركز

العام حتى بعد تخرّجه من كلية الحقوق وانتسابه إلى الجيش برتبة ضابط احتياط، وهو أكبر من الشيخ (جواد الخالصي) وأظنّه الآن مقيم في إحدى البلدان الأوروبيّة، ومازلت أذكر زيارة رئيس جماعة (فدائيّان إسلام) الإيرانية (نواب صفوي) إلى بغداد, واتصاله بالأستاذ الصّوّاف, وحضوره احتفالا دينيا في جامع أبي حنيفة, وإلقاءه خطبة في الجامع بحضور عدد غفير من المسلمين.

ودخلت دعوة الإخوان السلمين الموصل وما حولها في وقت تقدم وكان من أوائل الداعين لفكرة الإخوان المسلمين هو السيد عبد الرحمن السيد محمود ولما عاد الاستاذ محمد حمود الصواف ن مصر بعد أن أكمل دراسته الأولية في الأزهر سنة 1941 قام بنشاط واسع في نشر دعوة الإخوان المسلمين في الموصل وسانده كل من عبد الرحمن السيد محمود وعبد الرحمن محمود الرحيّم ولكن لم يفتح فرع للجمعية إلا سنة 1952 وتولى رئاستها بصورة مؤقتة الأستاذ عبد الحافظ سليمان خريج كلية الشريعة في بغداد ثم انتخب الشيخ عبد الـلـه الإربيلي رئيسا لها ولما حُلّت الجمعية سنة 1954 وتحول العمل الى العمل السري تولى الأستاذ غانم حمودات قيادة الإخوان ، والأستاذ غانم خريج دار المعلمين العالية قسم اللغة العربية سنة 1951 وهو من أقدر الإخوان المربين ، قضى عمره مربيا ومرشدا وعلما لأجيال متعاقبة من أبناء الموصل ، لاسيا طلاب الثانوية الشرقية في الموصل ويعد فرع جمعية الأخوة الإسلامية في الموصل أوسع فروع الجمعية بعد المركز في بغداد ، وبرز في الموصل عدد كبير ن قادة الحركة منهم الدكتور إدريس الحاج داود والدكتور احمد عبد الـلـه الرّحو والأستاذ ابراهيم عبد الـلـه شهاب والحاج صبري الليلة والأستاذ صلاح الدين عبد المجيد والدكتور عمر عبد الـلـه الذي اغتالته يد الإرهاب بعد احتلال العراق من قبل الامريكان ، والدكتور محمد شاكر الذي يقود الحزب الاسلامي في الموصل والدكتور حازم عبد الـلـه خضر والدكتور هاشم يحيى الملاح والدكتور عبد الرزاق قاسم الصفار والدكتور عماد الدين خليل .

الإمام الشهيد حسن البنّا

لا أظن أن هناك شخصية إسلامية ظهرت من عدة قرون ترقى إلى منزلة الإمام الشهيد حسن البنّا, ولم تعطَ له فرصة كافية لإتمام مشروعه ونشر فكرته ومبادئه فقد اغتيل في شارع الملكة نازلي سنة 1949م في القاهرة والذي سمي بعد الثورة المصرية (شارع الجلاء) وعمره آنذاك لم يزد على 42سنة وكان هدفه استنهاض الأمة العربية والإسلامية والعمل الجاد إلى رقيّها ووحدتها في ظل الشريعة الإسلامية ولا أريد أن أتوسع في عرض فكره وإنما سأكتفي باقتطاف نبذٍ من آرائه التي نشرها في إحدى رسائله التي ألفها سنة 1943م: "أيها الأخوان: أنتم لستم جمعية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضوعة لأغراض محدودة المقاصد ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن, ونورٌ جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة اللـه وصوت داوٍ يعلو مرددا دعوة الرسول ﷺ ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء, بعد أن تخلى عنه الناس. إذا قيل لكم: إلامَ تدعون؟ فقولوا: ندعو إلى الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضة. فإن قيل لكم: هذه سياسة! فقولوا: هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام وإن قيل لكم: أنتم دعاة ثورة! فقولوا: نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به, فإن ثرتم ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن اللـه أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين"[1].

استطاع الإمام حسن البنا أن يكمل مسيرة الشيخ محمد رشيد رضى, مؤسس مجلة العروة الوثقى, ومؤلف تفسير المنار, وصاحب جريدة المنار المصرية ولمّا توفي تولّى الإمام حسن البنا رئاسة تحرير المجلة ,بعد موافقة ورثة محمد رشيد رضا على ذلك.

(1) مجموعة رسائل الإمام الشهيد. مركز البصائر للبحوث والدراسات ص529.

استطاع الإمام حسن البنا أن ينشر مبادئ الإخوان في مصر والبلاد العربية, وتوسعت حركته حتى أصبحت تهدد الحكومة المصرية, وهي على الرغم من كل ما واجهته من مصاعب وعراقيل في مصر مازالت أكبر قوة معارضة للحكم المصري, ولاقى أنصارها الإعتقال والإعدام والتشريد, وقد ألفت في سبيل ذلك مؤلفات عدة.

وقد دعا الإمام حسن البنا إلى تشكيل قوة جهادية لتحرير فلسطين والوقوف في وجه اليهود الصهاينة, فجهز فوجا من المجاهدين وتقدم الفوج إلى فلسطين, وأبلى بلاء مشهودا ولمّا انتهت الحرب وعقدت الهدنة,عاد الإخوان المجاهدون فاعتقلوا في معسكر (الهاكتسيب), وألف الإخوان قوة سرية لمجابهة الإنكليز في قناة السويس, سنة 1954م, وأسماء شهدائهم مكتوبة على نصب تذكاري أمام جامعة القاهرة, وقد ألف الأستاذ كامل شريف -رحمه اللـه- كتابين عن تلك الأحداث هما: (الإخوان المسلمون وحرب فلسطين) و (المقاومة السرية في قناة السويس).

امتاز الإمام حسن البنا عمن سبقه أو لحقه أنه مزج بين العلم والعمل والدعوة والحركة, ولم يكتفِ بالوعظ والإرشاد وبث العلم بل عمد إلى تنظيم الجماهير بحركة لها منهجها وبرامجها فكانت تلك الحركة هي جماعة الإخوان المسلمين, وكان عمليا في تفكيره, فأسس الشركات الإقتصادية التي ترفد الجماعة بالمال الضروري للعمل, وأسس المستشفيات, والفرق الرياضية, وأقام المعسكرات الكشفية, وسعى إلى تربية جماهير الإخوان التربية الإسلامية العملية, فجزاه اللـه خيرا عن المسلمين والإسلام[1].

---

(1) الذي يريد أن يطلع على منهج وفكر الإمام حسن البنا بإيجاز أن يقرأ رسائله وهي مطبوعة, انظر (مجموعة رسائل البنا) إعداد مركز البصائر للبحوث والدراسات.

الشيخ أمجد الزهاوي

الشيخ أمجد أبو سعيد ابن الإمام محمد سعيد مفتي العراق. ينتهي نسبه إلى الأمير سليمان باشا رئيس الأسرة البابانية الذي أنشأ مدينة السليمانية في المنطقة الكردية من شمال العراق، والتي سميت بإسمه، وهو من ذرية الصحابي خالد بن الوليد المخزومي. ولد في بغداد سنة 1882م وبها نشأن وتعلم القرآن ودرس على يد أبيه، وعلى يد علماء عصره، ومن أشهر أساتذته محمود شكري الآلوسي وعبد الوهاب النائب والعلامة رسول الهندي وقد كرس حياته لطلب العلم الشرعي، تخرج من كلية الحقوق والقضاء العالي في أسطنبول عام 1906م. أشتغل قاضيا في الموصل، ثم نقل إلى بغداد. وترأس مجلس التمييز الشرعي وعمل أستاذا في كلية الحقوق وكان يحاضر في دار العلوم العربية والدينية أنيطت به بعد وفاة مفتي العراق الشيخ قاسم القيسي مهام الإفتاء إلا أنه رفضها رسميا.

أستقر به المقام أواخر أيامه بخدمة العلم والتعليم وكان مجلسه الخاص في مدرستة بجامع السليمانية برصافة بغداد ملتقى العلماء والأدباء وطلاب العلم وربما عقد حلقات تدريس في جامع الدهان القريب من داره الكائن في شارع الإمام الأعظم في أطراف ضاحية الأعظمية.

عرف بتواضعه وزهده ونال احترام الجميع من مسؤولين وحكام ووزراء وملوك وساسيين وعلماء وكان ميسور الحال وأشتهر بعفته وصلابة رأيه وموقفه الحازم من الإلتزام بالشرع.

ولما ألقي القبض على الشيخ ضاري المحمود الزوبعي بعد أن غرر به سائقه النصراني وسلمه للسلطات العراقية في لواء الموصل وقدم الشيخ ضاري للمحاكمة سنة 1928م كان الشيخ أمجد الزهاوي أحد محاميه الذين دافعوا عنه أمام المحاكم العراقية.

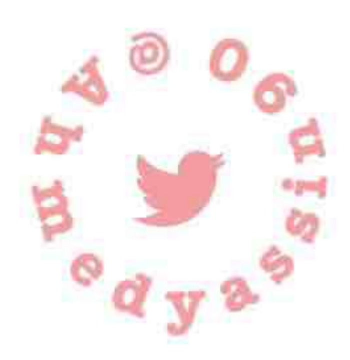
ذاع صيته في العالم الإسلامي لكثرة أسفاره وتجواله في أقطار المسلمين من شمال أفريقية إلى الباكستان وماليزيا وأندنوسيا والتقى بالملوك والرؤساء ودعاهم إلى تحمل المسؤولية في الدفاع عن قضايا الأمة، وكانت هناك ثلاث قضايا في الساحة الإسلامية، فلسطين والجزائر وكشمير، وكان للأستاذ محمد محمود الصواف الفضل الكبير في خروج الشيخ أمجد الزهاوي من عزلته إلى الانطلاق في تحمل عبء الدفاع عن قضايا المسلمين وشارك بصحبة الصواف في عدة مؤتمرات انعقدت في بقاع مختلفة من العالم الإسلامي وترأس جملة مؤتمرات إسلامية، وهو من مؤسسي رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة. وترأس في العراق جملة جميعات إسلامية، في مقدمتها جمعية الأخوة الإسلامية التي تحمل أفكار الإخوان المسلمين وكان الاستاذ الصواف سكرتيره فيها، وترأس جمعية إنقاذ فلسطين التي شكلت ثلاثة أفواج من المجاهين حاربوا أيام الحرب الفلسطينية سنة 1948م وأستشهد جملة من مجاهديها في أرض فلسطين وترأس أيضا جمعية التربية الإسلامية التي أسست جملة مدارس في بغداد وأسهمت في تربية مجموعة كبيرة من شباب بغداد، وكان رئيسا لرابطة علماء العراق.

زار مصر سنة 1948م والتقى بالإمام الشهيد حسن البنا وأعجب به فآزر الأستاذ الصواف في دعوته لنشر أفكار الجماعة في العراق وأصطحبه في جولاته في العالم العربي والإسلامي.

ولما اشتد طغيان الشيوعيين أيام حكم الزعيم عبد الكريم قاسم فأضطر الأستاذ الصواف إلى الهجرة إلى سوريا ثم إلى المملكة العربية السعودية، جرت اتصالات بينه وبين الشيخ أمجد الزهاوي فدعاه إلى الهجرة إلى السعودية، فشد الرحال إليها واستقر به المقام في المدينة المنورة.

ولما اندحر الشيوعيون وزال حكم عبد الكريم قاسم بإنقلاب المشير عبد السلام عارف ومجموعته واستقر الوضع في بغداد عاد الشيخ أمجد الزهاوي إلى

العراق وما لبث أن توفي في بغداد في 1967/11/17م وشيعه موكب مهيب شارك فيه أعلام بغداد من وزراء وعلماء ورجالات العشائر وطلاب العلم وجموع غفيرة من الأهالي. وأم الصلاة عليه الشيخ عبد القادر الخطيب إمام وخطيب جامع أبي حنيفة رحمه اللـه، اللهم ارحم الشيخ أمجد الزهاوي وجميع العلماء العاملين إنك سميع مجيب الدعاء[1].



(1) انظر كتاب (الشيخ أمجد الزهاوي عالم العالم الإسلامي) تأليف كاظم أحمد ناصر المشايخي- مطبعة أنوار دجلة.

الأستاذ الصواف -رحمه الـلـه-

الصّواف بلا منازع هو مؤسس حركة الإخوان المسلمين في العراق وهو باعث الدعوة الإسلامية في هذا القطر, ولا اغالي إذا قلت أنه لم يظهر في العراق عالم أو داعية إسلامي يرتقي إلى مصاف الصّواف, ربما يكون هناك علماء أجلاء يفوقون الصّواف علميا, وهناك فعلا كثير من العلماء في عصره وبعد عصره, أوسع منه علما ومعرفة. مثل مفتي العراق القديم يوسف عطا والعلامة الشيخ قاسم القيسي, والحاج نعمان الأعظمي وفؤاد المدرس,والشيخ أمجد الزهاوي, وعبد الـلـه الشيخلي وعبد القادر الخطيب, وغيرهم من العلماء, ولكن الصّواف يختلف عنهم لا من حيث العلم, وإنما من حيث العمل, فهو صاحب حركة ودعوة وإحتكاك بالناس ولا سيما الشباب, وكان كثير الحركة داخل العراق, وما من مدينة إلا زارها, بل حتى القرى وقد صاحبته في بعض زياراته إلى لواء الدليم, إلى الفلوجة والرمادي وهيت وحديثة وكان يحضر الاحتفالات الدينية في كثير من المدن, وكانت لخطبه في جامع الأزبك أكبر التأثير في نفوس الشباب الذين يحضرون هذه اللقاءات, وكان -رحمه الـلـه- مرجعا لرجال التحرير, ولاسيما قادة التحرير في المغرب العربي, وأي زعيم عربي يأتي إلى العراق فالأستاذ الصّواف هو الذي ينظم لقاءاته مع الساسة العراقيين ومع الحكومة, وكان مقره في المركز العام في باب المعظم محط أنظار الساسة العراقيين, والعرب الوافدين للعراق وكان محترما لدى الجميع, وكان يشارك شباب الإخوان في رحلاتهم ومخيماتهم, وقد وجد في علّامة العراق والعالم الإسلامي الشيخ أمجد

الزهاوي خير معين وسند, وقد قاما بنشاط واسع وسافرا إلى بلدان عربية وإسلامية كثيرة, للعمل من أجل القضية الفلسطينية, وقضايا التحرر العربي والإسلامي في حقبة مهمة من تاريخ الأمة, ونضالها من اجل التحرر من الاستعمار فزارا سورية ومصر والأردن وفلسطين قبل النكسة وبعدها وباكستان وأندنوسيا, وربما صاحبهما في بعض أسفارهما الشيخ علي الطنطاوي قاضي دمشق والأستاذ الجامعي والكاتب الإسلامي. وأذكر حادثة طريفة لها دلالتها وقعت لنا معه, ففي سنة 1954وكنت آن ذاك معلما في الرمادي, وكانت عندنا شعبة لجمعية الاخوة الإسلامية, فجاءنا خبر من بغداد أن الشيخ أمجد الزهاوي والأستاذ علي الطنطاوي والأستاذ الصّواف يصلون إلى الرمادي في الليل, قادمين من سورية في أعقاب جولة للعمل للقضية الفلسطينية فينبغي أن يُستَقبلوا, وكان الوقت في شهر شباط والبرد على أشده فخرجنا مجموعة من الشباب لاستقبالهم أغلبهم توفي ومازال منهم الأخ محمد نجم عبد خوير حيا في الرمادي ولما وصلوا إلى مكتب الجوازات وكان هذا المكتب في الرمادي وكذلك الكمرك, فهرعنا لإستقبالهم, فلما ترجلوا من السيارة, استغرب الأستاذ علي الطنطاوي فقال للأستاذ الصّواف: من هؤلاء الشباب الذين جاؤوا لإستقبالنا في هذا الوقت المتأخر والجو بارد؟ فقال له الأستاذ الصّواف هؤلاء شباب الإخوان فأندهش, وقال للأستاذ الصّواف بصوت مسموع: و اللـه لو قيل لي أن جبل قاسيون قد انتقل من الشام إلى العراق فقد أصدق, ولكنني لن أصدق أن تكون هناك حركة للأخوان في العراق, لكن هذه ثمرة جهودك وعملك الموفق الذي بنى هذه الحركة في العراق.

والذي جعل الأستاذ الطنطاوي يقول هذا هو أنه عمل مدرسا في البصرة وبغداد وكركوك, وتكونت عنده فكرة سيئة عن المجتمع العراقي إنه مجتمع غير متدين ويجهل الإسلام وليس فيه مراكز إسلامية كمصر التي فيها الأزهر.

تبدأ حركة الصّواف منذ عودته من مصر سنة 1947/1946, وعُرِضَت عليه وظائف قضائية, ولكنه فضّل أن يشتغل في التدريس فَعُيِن في كلية الشريعة, ومن هناك بدأ نشاطه الفكري والسياسي والتف حوله مجموعة من شباب الكلية المتحمسين للإسلام أذكر منهم الطالب الزبيري عبد الـلـه العقيل الذي هو الآن مستشار في السعودية وسبق أن تولى مناصب في منظمات إسلامية منها منظمة المؤتمر الإسلامي وله نشاط دعوي واسع لاسيما في مجال نشر الثقافة الإسلامية,والطالب نعمان السامرائي الذي تولى رئاسة الحزب الإسلامي العراقي سنة 1960 أبان حكم الزعيم عبد الكريم قاسم -رحمه الـلـه- وهو الآن مستقر في الرياض بعد أن نال الدكتوراه في الأزهر وعمل في جامعة الرياض إلى أن أحيل على التقاعد. والطالب الأردني يوسف العظم (رحمه الـلـه) والذي انتخب نائبا في البرلمان الأردني ومؤسس مدارس الأقصى وأحد الشعراء الإسلاميين المعدودين, والطالب عبد الرزاق قاسم الصّفار -رحمه الـلـه- من الموصل وقد نال الدكتوراه من الأزهر وأشتغل في التدريس الجامعي وزامَلتُه في كلية الدراسات الإسلامية في السبعينيات وبعد أن أحيل إلى التقاعد ذهب إلى ليبيا, وكان يتردد عليّ لما كنت في جامعة الزرقاء الأهلية عند إيابه من ليبيا, والطالب محمد ياسين السنجري من الموصل -رحمه الـلـه- الذي أصبح عالم نينوى. والطالب محمد سمير من تكريت -رحمه الـلـه- عديل رئيس الجمهورية

السابق أحمد حسن البكر -رحمه الـلـه- واشتغل في التدريس في تكريت وبغداد, والطالب عبد الحافظ سليمان -رحمه الـلـه- من الموصل اشتغل في التدريس إلى أن توفي وإبراهيم منير المدرس, اشتغل في التدريس وانتدب للتدريس في السعودية وفي أفغانستان أيام الاحتلال السوفياتي وأحيل على التقاعد وهو الآن رئيس جمعية التربية الإسلامية في بغداد.

اتخذ الاستاذ الصّواف من كلية الشريعة منطلقا للدعوة الإسلامية والعمل السياسي وفق المنظور الإسلامي, وكان يرسل الطلاب إلى الوعظ والإرشاد في القرى العراقية لبث روح التديّن ومحاربة الجهل والعقائد الفاسدة.

وسبق نشاط الصّواف أن المرشد العام العام للأخوان المسلمين في مصر الإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الـلـه- أن دفع مجموعة من الأساتذة للذهاب إلى العراق للتدريس, وبث فكرة الإخوان وهم (حسين كمال الدين) وعلي عبد الحفيظ في كلية الهندسة, محمد عبد الحميد يدرس في المدارس الثانوية, والأستاذ محمود يوسف في دار المعلمين الإبتدائية, كان يدرس اللغة العربية والدين ,وكنت من طلابه مدة دراستي في دار المعلمين, ولم أرَ في حياتي التدريسية مدرسا مثله,فكان لما يدخل إلى الصف له هيبة وإجلال من جميع الطلبة وبقي في العراق وتزوج ونحن طلبة من فتاة كردية من بيت الطلباني أظن أنها أخت السيد مكرم الطلباني وتجنّس بالجنسية العراقية وتوفي في العراق بعد التسعين من القرن الماضي وزامَلتُه في كلية الآداب لما انتقل إليها في العقد السابع من القرن السابق وعلى الرغم من قوة شخصيته وعلمه ودماثة خلقه إلا أنه لم يؤثر في الطلبة ولم نسمع منه شيئا خارج الدرس النظامي سواء أكان ذلك في دروس

اللغة العربية أو في دروس الدين.

ولكن الأساتذة المصريين الآخرين الذين كانوا يعملون في كلية الهندسة استطاعوا أن يؤثروا على مجموعة من الطلبة منهم المهندس المشهور إحسان شيراز والمهندس عبد الوهاب الحاج حسن الذي أسس شعبة للأخوان ومكتبة في أربيل وترأسها, والمهندس عدنان رانيه, عديل الرئيس عبد السلام عارف -رحمه الـلـه-, وقد اعتُقِل أيام حكم البعث, وإنطمست أخباره, واشيع أنه مات في المعتقل, والمهندس تحسين عبد القادر, الذي تولى رئاسة هندسة الأشغال العسكرية في وزارة الدفاع العراقية, والمهندس توفيق الوتاري, والمهندس أسامة محمد علي -رحمه الـلـه- وشكلت من هؤلاء الطلبة أول أُسرة [1] اخوانية.

واستطاع هؤلاء الطلبة أن يؤثروا على طلبة آخرين أذكر منهم المهندس عبد الغني شنداله, الذي كان من أنشط الإخوان وأقواهم, وكان على رأس شعبة باب الشيخ[2], وربما إمتدّ نشاطه إلى مواضع أخرى, والمهندس محمود القدسي من عنه, وقد زاملت في عملي الإخواني ثلة من هؤلاء المهندسين منهم المهندس عدنان رانيه الذي كان يتردد علينا في الرمادي والمهندس محمود القدسي الذي عمل في مديرية أشغال الرمادي والمهندس عبد الغني شنداله.

ولما جاء الاستاذ الصّواف إلى بغداد وبدأ نشاطه انضم أغلب هؤلاء

---

(1) يقوم تنظيم الإخوان على تشكيلات تبدأ بالاسرة, وهي تقابل الخلية في التنظيمات السياسية السرّية مثل الشيوعية والبعثية.

(2) المقصود بالشيخ هو الشيخ عبد القادر الكيلاني ومحلته من أشهر محلات بغداد وتسمي باب الشيخ والذين ينتسبون إليها يسمون (الشيخلية).

المهندسين إليه, وشاركوه في العمل, وتولى إدارة جمعية الاخوة الإسلامية عندما تأسست سنة 1949بعضهم.

وكنت معجبا إعجابا شديدا بالأستاذ الصواف, أرى فيه قائدا مخلصا وزعيما سياسيا فذا وخطيبا قلّ نظيره, وكانت له حركة قوية في أثناء الأزمة الفلسطينية, والعمل على الحيلولة دون عقد معاهدة (جبر- بيفن) والتي تسمى معاهدة (بورت سميث) التي عقدت في هذا الميناء البريطاني, بين رئيس الوزراء العراقي (صالح جبر) الشيعي ورئيس وزراء بريطانيا (بيفن), فقاد الأستاذ الصواف الجماهير من كلية الشريعة في الأعظمية منطلقا إلى شوارع بغداد, وحملته الجماهير على أكتافها وهو يخطب أكثر من مرة, منددا بهذه المعاهدة, وذلك أيام الوثبة سنة 1948م, التي حدثت فيها إصطدامات عنيفة بين الشرطة والجماهير, وقتل فيها عدد من المتظاهرين, في الساحة الواقعة في نهاية الجسر القديم (هكذا كان يسمى) من جهة الكرخ, وسمي هذا الجسر فيما بعد (جسر الشهداء), وسميت الساحة (ساحة الشهداء) وكان الشهداء الذين سقطوا في هذه الإصطدامات من جميع التوجهات السياسية, القومية والشيوعية والإسلامية ومن شهداء الإخوان الشهيد (قيس عمر الآلوسي) الذي كان طالبا في كلية الهندسة.

ولمّا عقد مهرجان أسبوع المرأة , وتكلمت فيه الطالبة (سافرة جميل حافظ) فوصفت الأديان وبضمنها الإسلام أنها (زائدة دودية) ثارت ثائرة الأستاذ الصواف, وحشد العلماء ورجال الفكر من الإسلاميين, وتكلم من الإذاعة منددا بهذا المهرجان, شارك فيه جمع من العلماء والفضلاء.

وكان للأستاذ الصواف برنامج في الإذاعة كل صباح, اسمه (على مائدة القرآن) استمعت له الجماهير العراقية بشغف بالغ, وكنت استمع له وجمهرة من الناس من مذياع الإذاعة العراقية. الذي يبث من المقاهي والمحلات التجارية, لأن أغلب الناس لا يملكون (الراديوات), ولكن الشيوعيين ومن لفّ لفّهم من العلمانيين لم يرق لهم هذا البرنامج, فطفقوا يسمونه (على مائدة الدولار) حسدا وحقدا منهم.

وعلى الرغم من إستطاعة الاساتذة المصريين أن يؤثروا على بعض الطلبة ولا سيما في كلية الهندسة, إلا أنهم كانوا يائسين من نجاح حركة الإخوان في العراق, وفي إحدى إجتماعات الإخوان المسلمين في المقر العام في القاهرة, وبحضور المرشد قدم المدرس محمد عبد الحميد أحمد, بعد عودته من العراق وإنهاء عمله, تقريرا أعرب فيه عن يأسه من نشر فكرة الإخوان في العراق, فقام الاستاذ الصّواف وكان في المرحلة النهائية من دراسته في الأزهر ورد ردا قويا عليه, ووعد المرشد والإخوان أنه إذا عاد إلى العراق سينشر دعوة الإخوان وسيبذل أقصى الجهد في ذلك وكان الصّواف آنذاك عضوا في الهيئة التأسيسية العامة للأخوان في مصر والعالم الإسلامي فانتخب ليكون أول[1] مراقب عام للأخوان في العراق وقد وفّى بعهده ووعده, فجزاه اللـه خيرا عنا وعن المسلمين.

---

(1) المراقب العام في تنظيم الإخوان يعني رأس التنظيم مثل رئيس الحزب أو الأمين العام.

العمل في الرمادي

أنهيت دراستي في دار المعلمين الإبتدائية في نهاية العام الدراسي 1952/1951م وكان عدد المتخرجين من جميع أنحاء العراق أقل من ثمانين متخرّجا, وكنا ستة متخرّجين من لواء الدليم, ثلاثة من قسم الرياضة, وثلاثة من القسم المتوسط الذي أنتمي إليه, وصدر أمر تعييننا جميعا في لواء الدليم, ونُسِبتُ إلى مدرسة البوعيثة في قريتنا, وذلك بطلب من مدير المدرسة وهو من عشيرتي (البوذياب) واسمه (مخلف حواس) خرّيج دار المعلمين الريفية في بغداد,فاستجاب لطلبه مدير المعارف وكان المربي الفاضل طه مكي -رحمه الـلـه- , وباشرت في المدرسة يوم 1952/9/13م وكنت أسكن في الرمادي ولم يكن هناك جسر يربط الرمادي بمنطقة الجزيرة التي تقع فيها قرية البوعيثة والمدرسة, والذهاب على الدراجات الهوائية عبر نهر الفرات بواسطة عبّارة وكنت أعزب, نعيش أنا ووالدتي فشجعني مدير المدرسة أن أسكن معه في بيته القروي الواسع، وكانت زوجته من أقربائي أيضا, فاستجبت لطلبه بعد التشاور مع والدتي وبقينا هناك أشهرا معدودة ثم عدنا إلى الرمادي برغبة والدتي.

جئت إلى الرمادي فوجدت مكتبة الأخوة الإسلامية شبه معطلة, وليس فيها إلّا شخصان أحدهما: الأخ عواد سمير الدراجي[1] والأخ الحاج مصطفى جميل ممد[2] من الأسر التركية التي استعربت في الرمادي, مثلها مثل جميع الأسر

---

(1) دخل مدرسة الشرطة وتخرج مفوض شرطة (رقيب) وعمل في بغداد وتوفي في وقت مبكر, وكان من أبرز لاعبي كرة الطائرة في الرمادي لطول قامته وضخامة كفه.

(2) الأخ الحاج مصطفى من الأسر المعروفة في الرمادي ووالده كان سائق سيارة البريد, وعمل صاحب محل كهربائي مات بعد إحتلال العراق وكانت لي به صلة وثيقة لم تنقطع طيلة هذا الزمن الممتد من سنة 1952 إلى أن وافته المنية في الرمادي هذه السنة 2010م.

التركية(العثمانية) في جميع أنحاء العراق. ويتردد على المكتبة ثلاثة أشخاص أكبر منا سنا هم: ملا فاضل محمود رحيم النعيمي (ذكرته سابقا) والحاج محمود اللّافي (ذكرته سابقا) والأخ عبد النبي شبيب الهيتي[1]. فبدأت أتردد يوميا على المكتبة, وذلك في العطلة الصيفية للعام الدراسي 1952/1951م, وطلبت من الأخوين مصطفى وعواد أن أنظر في سجل الأسماء, وقرأته وجميع الأسماء كنت أعرفها لأنني واسع المعرفة بأهالي الرمادي, وبدأت أتصل ببعضهم إلى أن إستطعت أن أعيد عددا كبيرا منهم لاسيما الذين تربطني بهم معرفة قوية, وبدأنا نقوم ببعض الأنشطة, وقمنا بإحتفال في مناسبة الهجرة النبوية في الجامع, وتكلمت فيها شارحا قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وازداد عدد المنتمين للمكتبة وكان كل واحد يدفع إشتراكا شهريا قدره ربع دينار (250فلسا), نغطي به تكاليف إيجار المكتبة ومصروفات أخرى, ولما ازداد العدد استأجرنا دارا في شارع الأطباء والصيدليات المتفرع من الشارع العام والمتجه إلى السوق في وسط البلدة وكنا كل أسبوع نجتمع بعد صلاة الجمعة لنتدارس خطبة الجمعة التي كان يلقيها الشيخ عبد الجليل الهيتي - رحمه اللـه- ونقيم ندوات وإحتفالات يحضرها جمع من الناس وأصبحت شعبة جمعية الأخوة الإسلامية من الشعب البارزة في العراق لا تضاهيها إلا شعبة الأعظمية في بغداد,وشعبة الجمعية في الموصل لفارق عدد السكان في المكانين.

وبدأنا بأنشطة منها رياضية وثقافية من نشر الكتب وتوزيع الصحف الإسلامية وشرعنا بنشاط رياضي واسع وشكلنا فرق كرة قدم والكرة الطائرة

(1) الأخ عبد النبي شبيب الهيتي من بيت كحلي في عنه, وأصلهم من عشيرة المحامدة كان موظفا في معارف الرمادي منذ أن كنت طالبا في الرابع إبتدائي, من خيره أخوان الرمادي وكبرائهم نفي إلى الموصل أيام الزعيم عبد الكريم قاسم بعد حوادث ثورة الشواف. توفي في التسعينيات من القرن الماضي في مدينة الرمادي.

وكرة السلة, وقمنا بسفرات متعددة إلى بعض قرى المنطقة, وفي الصيف أقمنا مسبحا على نهر الفرات وعند مشروع الورار, وكنا في المسبح نعقد دروسا دينية فكرية, وعملنا كان دينيا فكريا وثقافيا, بعيدا عن السياسة, ولم أكن مسؤولا عن الإخوان, وكان المسؤول ملا فاضل محمود رحيم -كما ذكرت سابقا - لكنني كنت شابا نشطا متحمسا لفكرة الإخوان وللدين, ولما كنت طالبا في دار المعلمين وفي بدء تكوين فكرة الإخوان عندي كنت كلّما أذهب إلى الرمادي أتردد إلى مكتبة الشباب القومي ألتي أصبحت فيما بعد منبرا للبعثيين, وكنت أحمل هما وطنيا دينيا ولكني غير مسيس حزبيا إلى أن تبلورت فكرة الإخوان المسلمين عندي.

كانت الرمادي هادئة, والحكومة في العهد الملكي ماسكة بزمام الأمر, ولم تكن هناك إضطرابات سياسية, ولا أزمة, والحكومة متسامحة إلى حد ما, وإذا ما اعتقل إنسان بشبهة سياسية, أو احتجز, سرعان ما يتدخل وجهاء البلدة فيطلق سراحه,وكان رجال الأمن (الشرطة السرية) ثلاثة, نعرفهم ويعرفوننا, ونختلط بهم في المقاهي والمسجد. واستمرّ الأمر هكذا إلى أن استبد الشيوعيون بالشارع وسيطروا على الحراك السياسي ومن بعدهم سيطر البعثيون بعد أن تمكنوا من الإستيلاء على الحكم.

وكان هناك صراع سياسيّ وفكريّ بين جميع التوجهات وغالب ما يتفق الجميع ضدنا نحن أصحاب التوجه الإسلامي, ولم يكن في الساحة السياسية الإسلامية غير الإخوان, فلم يكن هناك وجود لحزب التحرير الإسلامي ولا للسلفية, واشتد الأمر علينا سنة 1957م لمّا اتفق الشيوعيون والقوميون والبعثيون على مخاصمتنا. وكنا في الرمادي نشكل أكبر قوة سياسية, وإن كان نشاطنا في غالب الأمر دينيا تعبديا, ندعو الناس للإلتزام بالدين ونحث على

الإلتزام بالأخلاق ونشر الثقافة الإسلامية, ونقيم الإحتفالات الدينية, ونوزع الكتب الفكرية ولاسيما رسائل الإمام حسن البنا.

وكانت للجمعية مجلة بإسم (الاخوة الإسلامية) تنشر مقالات فكرية وسياسية, تعبر عن وجهة نظر الجماعة, ولمّا نشر الشاعر وليد الأعظمي قصيدته المشهورة (قالوا زيارة شيخ..)[1] التي نظمها في آب سنة 1954, تهكّم على الحكومة العراقية لمنعها الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين من دخول العراق مجاملة لحكومة مصر, سحبت الحكومة إمتياز المجلة وأغلقتها, ومن ثم حلّت الحكومة الجمعية, وانتقلت ممتلكاتها إلى جمعية التربية الإسلامية, بحسب نظام الجمعية, أنها إذا حلت تنتقل ممتلكاتها إلى أقرب جمعية لها, وكانت جمعية التربية الإسلامية هي الأقرب لها, لأن رئيس الجمعيتين واحد وهو (الشيخ أمجد الزهاوي).

فعمدنا بعد ذلك إلى العمل السري ولم يتوقف نشاطنا الدعوي, ولمّا قامت ثورة 14 تموز سنة 1958انقسمت الجماهير العراقية على قسمين, قسم يؤيد التوجه الشيوعي وقسم يناهض الشيوعية, وهذا القسم يضم البعثيين والقوميين والإسلاميين بتحالف غير مكتوب, وكان للإخوان دور فاعل في التصدي للشيوعية, واتخذنا المقاهي والمساجد مكانا لأنشطتنا وكنا نقوم باجتماعات سريّة في البيوت، منها بيت الحاج محمود اللافي الذي كان له نشاط واسع في نشر حركة الإخوان في الرمادي وخارجها. وكانت اتصالاتنا مستمرة مع إخواننا في جميع مناطق اللواء. وافتتحنا مكتبة لبيع الكتب والمجلات الإسلامية يتردد عليها أفراد الإخوان سميّناها (الوعي الجديد) وبقيت إلى ما بعد ثورة 14 تموز ثم حلّت محلّها (المكتبة الإسلامية) قرب الجامع الكبير, نبيع فيها الكتب الإسلامية

---

(1) ديوان وليد الأعظمي ص187.

والقرطاسية ويتردد إليها أعضاء الجماعة,ثم انتقلت ملكيتها إلى أحد الإخوان اسمه (الحاج خالد الكبيسي). ولم يتوقف نشاطنا الدعوي خلال المدة التي سيطّر فيها الشيوعيون على الشارع ,وفي 14تموز 1959 قامت إحتفالات في الرمادي بمناسبة الذكرى الأولى لنجاح الثورة فحصل في الشارع إحتكاك بين الشيوعين والكتل السياسية المناوئة لهم التي تضم الإسلاميين والقوميين والبعثيين والمستقلين و أبناء العشائر فهزم الشيوعيون واضطروا إلى الإختفاء في بيوتهم, واوشكت الجماهير بأن تفتك بأحد رجال الشرطة السرية واسمه فياض العلواني وأحد الشيوعيين واسمه غالب عبد الجبار المندلاوي[1] فاستطعت أن أنقذ حياتهما لما كنت أمتلك من قدرة بدنية ومكانة عند الجماهير.

وجرت مظاهرات صاخبة تهتف بحياة الزعيم وتندد بالشيوعية ,فجاء الجيش من معسكر الحبانية وسيطّر على الوضع, فاضطر العقلاء أن ينسحبوا من الشارع وبعد ذلك جرت إعتقالات واسعة ضمن فئات مختلفة من أبناء الشعب, ونقل غالبهم إلى بغداد, واعتقلوا في مدارس الشرطة الواقعة خلف السدّة, ولاقى زوار هؤلاء المعتقلين إعتداءات وإهانات من سكان الصرائف التي يمرون بها إلى المعتقل.

وقد جرت في هذه السنة نفسها إنتخابات نقابة المعلمين في الرمادي وفي جميع العراق, وكانت هناك قائمتان: قائمة تضم الشيوعيين وقائمة تضم الجهات المناوئة لهم وكان المنتسبون للإخوان يشكلّون أكبر عدد من القائمة. فعمد الشيوعيون إلى محاصرة المعلمين المناوئين لهم في مبنى البلدية التي كانت مقرا لصناديق الإقتراع, وكان اليوم يوم جمعة وجاء أحد المعلمين مستغيثا بالمصلين

(1) غالب عبد الجبار المندلاوي: ابن أحد وجهاء الرمادي,تخرج من كلية الحقوق, وعمل محاميا في الرمادي , ثم ترك الشيوعية, وأظنه مازال حيا في الرمادي.

ليفكوا الحصار المفروض عليهم, فخطب الشيخ عبد الجليل الهيتي محرضا المصلين وداعيا لهم ليفكوا الحصار عن إخوانهم المعلمين, وثنى على كلامه الأخ الحاج عبد النبي شبيب الهيتي, فخرج المصلون بعد صلاة الجمعة وهم يهتفون بهتافات معادية للشيوعية وهتافات إسلامية واستطاعوا أن يفكوا الحصار عن إخوانهم المعلمين, فهزم الشيوعيون ودارت مظاهرات تهتف بهتافات إسلامية و عربية وبحياة الزعيم ثم جاء الجيش والقيّ القبض على مجموعة من شباب الرمادي ومنهم مجموعة من الإخوان ونقلوا إلى بغداد احتجز بعضهم في مقر شرطة الخيالة الملكية السابق في الكسرة مقابل البلاط الملكي السابق, وجماعة اخرى في شرطة السراي في بغداد, وكان معهم على ما أذكر صدام حسين قبل أن يشتهر ويذاع صيته.

وكنت أزور جميع هؤلاء المعتقلين في مقار إعتقالاتهم, وكانت الشرطة متساهلة مع الزوار بل كانت تبدي شيئا ملموسا من التعاطف.

شُعْبَةُ الْفَلُّوجَةِ

تقع مدينة الفلوجة على نهر الفرات, في أقرب نقطة بين الفرات ودجلة, في وسط منطقة زراعية واسعة, وتحيط بها عشائر كثيرة, ينتسبون إلى (الجميلة) القيسية, و(البو عيسى) الطائية, و(المحامدة, والبو علوان) الدّليم, وفي داخلها بيوتات كثيرة تنتمي إلى عشائر مختلفة, مثل (الجبور), و(الجنابيين), و(العبدلي), بل حتّى (التكارتة)[1].

دخلت دعوة الإخوان إلى الفلوجة قبل الرمادي, ومن أقدم الإخوان في هذه المدينة الأخ (بدري عويّد العاني)[2], زميلي في متوسطة الفلوجة, سبق ذكره, والأخ (ميمون عويّد الكبيسي)[3], وهو ليس أخا بدري العاني, وتعرّفت عليه سنة 1952م لمّا كان طالبا في المتوسطة (الإعدادية), والأخ (هاشم خليل المهيدي)[4], من أُسر الفلوجة المرموقة, وأسرته: إخوانه وأبناء عمّه مشهورون

(1) نسبة إلى مدينة تكريت في محافظة صلاح الدين .

(2) بدري عويد العاني: تخرج من كلية العلوم في جامعة بغداد ـ قسم الأحياء , وتعين مدرّسا في كلية العلوم, ونال درجة الماجستير, ونال درجة الدكتوراه من إحدى جامعات بريطانيا, وكان طريقي إلى الإنتماء إلى الإخوان, وهو الآن في بغداد .

(3) ميمون عويد الكبيسي: عاش في الفلوجة, ودرس فيها, وشارك وهو في الإبتدائية سنة 1948م في المظاهرات التي اندلعت في الفلوجة, في أثناء اشتداد القضية الفلسطينية, وألقى قصائد شعرية إنشادا, ليس من نظمه, تخرج من كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ قسم اللغة العربية, 1962/1961م, عمل موظفا ثم مدرّسا في أحد المعاهد, والآن يتردد بين سوريا والأردن والعراق, لم نفترق منذ سنة 1952م إلى الآن, عملنا سوية في العراق وفي السعودية لما أعيرت خدماتنا هناك سنة 1966م.

(4) هاشم خليل المهيدي: تخرّج من كلية الطب في تركيا , وعُيِّن طبيبا في مستشفيات بغداد, كان من الإخوان النشطين, أحيل على التقاعد, وهو الآن في دولة الإمارات, وعلاقتي به مستمرة ووطيدة , لم تنقطع منذ كنا شبابا.

بطول قامتهم, وبتفوقهم في لعبة الكرة الطائرة, ويمكنهم أن يشكلوا فريقا يتبارى مع أقوى الفرق الرياضية, ومجموعة من (بيت ذهيبة), ولا سيّما بيت الحاج (حمد علي الذهيبة), أصلهم من (بني تميم), وهم سُنّة على خلاف بني تميم الّذين يسكنون حوالي الكاظمية فهم شيعة .

منهم الحاج (عبد الحميد الذهيبة) الذي تولّى مسؤولية شعبة الفلوجة في مرحلة من مراحل العمل, وإخوته: (عبد المجيد)[1], و(ياسين)[2], وتعاقب على مسؤولية شعبة الفلوجة كل من الأخ بدري العاني والأخ ميمون الكبيسي, في أول نشوء حركة الإخوان, ثمّ تولّى المسؤولية الأخ (فاضل دولان)[3], وبعد ان انتقل إلى بغداد تولّى الأخ عبد الحميد مسؤولية الإخوان .

وفُتِحَتْ شعبة الإخوان في الفلوجة سنة 1953م, ومقرها في الشارع العام, وضمّتْ عددا كبيرا من الشباب, طلّابا ومعلّمين وأصحاب محلّات تجاريّة, منهم الأخ (شعبان ذياب الكبيسي), وأخوه (عدنان)، والشاعر فاضل فرج الكبيسي، ومحمد عبيد العلواني, وقام الإخوان بنشاط ثقافي ودعوي واسع في الفلوجة,

(1) عبد المجيد الذهيبة : أنهى الثانوية في الفلوجة , ثم ذهب إلى سوريا, ودرس في كلية الحقوق في الجامعة السورية, ومنها انتقل إلى كلية الحقوق في جامعة بغداد, ومنها تخرّج, عمل في الأوقاف, ثم في جامعة بغداد, وأحيل على التقاعد, ثم عُيّن مديرا عامّا في هيئة إدارة أموال الأوقاف واستثمارها في ديوان الوقف السّنّي بعد الإحتلال, وهو ما يزال يعمل فيها .

(2) ياسين الذهيبة : أكمل الدراسة الثانوية في الفلوجة, ودخل الكلية العسكرية , ووصل إلى رتبة لواء, وأحيل على التقاعد بعد الإحتلال الأمريكي للعراق, وهو يعمل الآن مع الحزب الإسلامي في قسم العشائر .

(3) فاضل دولان العاني : تخرج من كلية الحقوق ـ جامعة بغداد, واشتغل محاميا, ثم عُيّن في مجلس شورى الدولة, قبل الإحتلال الأمريكي, وأحيل على التقاعد, ويشتغل مع الحزب الإسلامي, تولّى رئاسة تحرير جريدة الحزب (دار السلام), ثم تركها, أعرفه منذ سنوات طوال لمّا كان يعمل محاميا في الفلوجة, صلتي لم تنقطع به, وهو الآن في بغداد .

وفي القرى المحيطة بها, وقاموا بنشاط رياضي متميّز, ودأبوا على إقامة مسبح في الصيف على ضفاف نهر الفرات, تقام فيه أنشطة رياضيّة وثقافيّة, وكنّا نزورهم ونجري معهم مباريات في الكرة الطائرة وكرة القدم, ويقيمون كتائب ليلية في البيوت ومقر الشعبة, وفي الخلاء خارج البلدة, وقد شاركتهم في إحدى الكتائب.

وتعيّن الأخ (نعمان عبد الرزاق السامرّائي) مدرّسا في ثانوية الفلوجة, بعد تخرّجه من كلية الشريعة, فأسهم في نشر الدّعوة بين صفوف الطلبة, وتولى توعية الإخوان في شعبة الجمعية, ثم انتقل منها إلى سامرّاء, وهو يُعَد من أوسع الإخوان, ويمتاز بالهدوء ودماثة الخلق, والوعي السياسي, وكان يكتب في مجلّة (الأخوة الإسلامية), وما زلت أذكر آخر مقال له في المجلة المذكورة, بعنوان (بين النصر والأجر), عالج فيه مسألة الإستعجال في تحقيق النصر, وركّز على أن المسلم إن فاته النصر, فلن يفوته الأجر, إذا أخلص النيّة لله تعالى.

شُعْبَةُ حَدِيْثَةَ

تقع حديثة على ضفاف نهر الفرات غرب الرمادي, تبعد حوالي مائة وثلاثين كيلو متر عن الرمادي, وتقع بينها وبين الرمادي مدينة هيت و(ناحية البغدادي) التي فيها (قاعدة الأسد)[1], وتتبع حديثة قريتان تقعان جنوبها, هما: (آلوس) و(جُبّة), وبرز من آلوس علماء أعلام, منهم (أبو الثّناء الآلوسي) مؤلّف تفسير (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني)[2], والعلّامة محمود شكري الآلوسي, وللآلوسيين وجود في بغداد وتكريت .

ومدينة حديثة تقسم على قسمين: القسم القديم يقع وسط نهر الفرات ويسمى (الحويجة), والقسم الآخر يقع في الجانب الأيمن من الفرات, ويسمى عند أهالي الدليم (الشّاميّة), وتضم حديثة بلدتين هما: (الحقلانيّة) نسبة إلى (وادي حقلان), الواقع جنوب شرق حديثة، ونَشَأت الحقلانية بعد تأسيس خط النفط الذاهب إلى (حيفا وطرابلس), ويسكنها عمّال شركة النفط التي تدير هذا الخط, والبلدة الثانية: (كي ثري)[3] ـ K3 ـ وتضم مجمّعا للعمال الذين يشتغلون

---

(1) قاعدة الأسد: وهي قاعدة أنشأتها حكومة البعث, تضم مطارا من أوسع المطارات في العراق , سيطر عليه الأمريكان, ولا أظنّ أنهم سيتخلون عنه بعد انسحاب قواتهم سنة 2011م .

(2) انظر: التفسير والمفسرون, الدكتور محمد حسين الذهبي, دار الحديث ـ القاهرة , 2005م, ج1 , ص302 ـ 308 .

(3) كي ثري ـ K3 ـ جاء هذا الإسم من كون هذه البلدة يصل إليها خط النفط القادم من كركوك, فهو يبدأ من كركوك, وتسمى (كي وان) ـ K1 ـ و(كي) رمز كركوك, ويتجه الخط إلى (الصينية) قرب مدينة (بيجي), بعد أن يعبر نهر دجلة, وتسمى المحطة (كي تو) ـ K2 ـ ثم يتجه إلى منطقة حديثة بعد أن يعبر نهر الفرات , وتسمى المحطة التي ينتهي إليها (كي ثري) ـ K3 ـ ومنها يتفرع إلى خطين: خط يذهب إلى حيفا في فلسطين, وقد أغلق بعد حرب فلسطين, وهو يمر بالأردن, وخط يتجه إلى طرابلس في لبنان عبر سوريا, ويغلق عند تأزم الوضع بين العراق وسوريا .

في المحطة, ويبدو أن فكرة الإخوان قد انتشرت في منطقة حديثة قبل أن يصل إليها دعاة من الرمادي, وأعتقدُ أن انتشارها جاء عن طريق الكتب والجرائد والإذاعات, فقد جاءنا ونحن نجلس في شعبة الرمادي عصرا كالعادة, شابٌّ فسلّم ورحبنا به, وبعد أن جلس قال: أنا أخوكم (محمد حمد رمضان الهيتي) من الحقلانية, ثم قال معاتباً: لماذا لا تواصلونا نحن إخوانكم في حديثة وكِي ثري والحقلانية؟, إننا نشكّل عددا كبيرا, ولم يتّصل بنا أحد, لا من بغداد ولا من الرمادي, فشكرناه, ووعدناه أن نزورهم, وكانت هذه الواقعة في نهاية العام الدراسي 1952 ـ 1953م .

فلمّا جاءت العطلة الصيفية, وكانت في رمضان, عقدنا العزم على الوفاء بعهدنا, فسافرنا إلى الحقلانية أنا والأخ (ملّا فاضل محمود رحيم الواعظ), وهو مسؤول شعبة الرمادي, والأخ المعلم (خلف عبيد الفرّاجي) ـ رحمهما اللـه تعالى, فلما وصلنا إلى الحقلانية بعد الظهر, أرشدَنا الأهالي إلى بيت الأخ محمد حمد الهيتي, فاستقبلنا وأدخلنا إلى بيته, ولما حان وقت صلاة العصر توجه بنا إلى المسجد, وكان مسجدا صغيرا, وكانت صلاة الجماعة منتهية, فصلينا العصر, فرأينا حلقة من المصلّين وعلى رأسهم شخص يقرأ لهم في كتاب, فجلسنا معهم بعد أن رحّبوا بنا, وبعد أن انتهى الدرس بدأنا نتحدث معهم, فوجدناهم من المؤمنين بفكرة الإخوان, وتعرّفنا عليهم, وكان الذي يقرأ في الكتاب مدير مدرسة كِي ثري, واسمه الحاج (حامد عبد اللـه الدّاموك)[1], والآخرون هم أصحاب حوانيت, أذكر منهم: الحاج (عبد الرزاق جاسم), والحاج (محمد سعيد الفيصل), والحاج (عبد الكريم الشيخ), وآخرون, وقسم كبير منهم قد انتقلوا

---

(1) الحاج حامد عبد اللـه الداموك: خريج دار المعلمين الإبتدائية, اشتغل معلما في الحبانية, ثم مدير مدرسة كِي ثري, وانتقل إلى بغداد, وأعيرت خدماته إلى السعودية سنة 1966م, اشتغل هناك خمس سنوات وعاد إلى بغداد, ثم أحيل على التقاعد, وهو الآن في سوريا بسبب الظروف الأمنية, زاملته في بغداد وكنا نسكن في حي واحد, هو حي العدل غربي بغداد.

إلى رحمة الـلـه, وآخرهم الحاج محمد سعيد الفيصل الّذي تجاوز عمره التسعين, مات في النصف الأول من هذه السنة 2010م .

وفي اليوم الثاني ذهبنا إلى حديثة, ونزلنا في ضيافة الشيخ (عبد المجيد الوهيّب), شيخ (آل جعفر), ينتسبون إلى قبيلة (شَمَّر), فوجدنا جلَّ أبنائه من مؤيدي الإخوان, ولما مات خلفه ابنه (عبد المحسن), ووجدنا هذه العشيرة شيبا وشبانا من مؤيدي الإخوان, فمن شبابهم الذين تعرَّفنا عليهم: (محمود دلّي آل جعفر), ثم أصبح محاميا, وتولّى مسؤولية شعبة حديثة, والأخ المعلم (خالد حسين) الذي أصبح محاميا بعد تخرّجه من كلية الحقوق, توفي بعد احتلال الأمريكان للعراق ـ رحمه الـلـه, والأخ المعلم (رافع سليم), وكان شاعرا, توفي قبل سنة 2006 ـ رحمه الـلـه, والأخ المعلم (مساعد مسلم)[1], والأخ (خليل اسماعيل عفّات)[2], ومعه أخوه ضياء[3] كان أصغر سنا منه, انتظم في صفوف الإخوان لما شبَّ, وهناك آخرون من غير بيت آل جعفر, أشهرهم الإخوان (عبد المحسن جميل) توفّي بعد

---

(1) الأخ مساعد مسلم: اشتغل معلما في بغداد, ثم أكمل دراسته في كلية الشريعة ـ جامعة بغداد ـ ونال درجة الدكتوراه من الأزهر الشريف, ودرّس في كلية الشريعة في بغداد, وأيام الحصار ترك العراق , وذهب إلى قطر, ودرّس في جامعتها, ثم تركها وعين مستشارا في وزارة الأوقاف, وهو ما زال هناك, عملنا سويّة في بغداد, وألتقي به عند زيارتي دولة قطر .

(2) خليل اسماعيل عفات: نال درجة البكالوريوس في العلوم السياسية من كلية التجارة والإقتصاد في جامعة بغداد, ثم نال الماجستير من كلية الإقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة, اشتغل مدرّسا ثم أستاذا في كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد, ونال منها درجة الدكتوراه, وأيام الحصار جاء إلى الأردن فعمل في جامعة الزرقاء الأهلية, وزاملته فيها, توفي في عمان في حادث دهس سنة 2006م

(3) ضياء إسماعيل عفات، تخرج في كلية الدراسات الإسلامية في عام 1973 واشتغل موظفا في وزارة التجارة، وتزوج عام 1978 من ابنتي الدكتورة أسماء، ثم نقل إلى ديوان الوقف السني بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وذهب ضية تفجير إرهابي في ديوان الوقف السني يوم 2008/1/7.

سنة 1990م، و(عبد المنعم جميل) توفي بعد احتلال الأمريكان للعراق ـ رحمهما الله تعالى .

وفي حديثه قمنا بعقد دروس ثقافية ودعوية في جميع البيوت التي زرناها, ثم عبرنا إلى (بروانة) في الجانب الأيسر من نهر الفرات, بواسطة زورق, والنهر في عنفوان تدفقه, إذ كانت الأيام أيام فيضانات في الشهر الخامس, ولم يكن في المنطقة جسر يربط ضفتي النهر, وذهبنا إلى بيت عالم المدينة (السيد رحيم), فوجدنا أولاده كلهم من مؤيدي الإخوان, وجلسنا معهم وتحدثنا بأمور الدعوة وحاجة المجتمع إلى من يرشده إلى تعاليم الإسلام, ثم التقينا بمجموعة كبيرة من أهالي المنطقة وشرحنا لهم مباديء الإخوان الإسلامية, وحثثناهم على نشر تعاليم الإسلام, والإلتزام بآدابه وأخلاقه .

ثم عدنا إلى حديثة, وعرّجنا بعد ذلك إلى (بني داهر), الواقعة على التلال المحاذية للطريق الذي يربط حديثة بالحقلانية, وتناولنا السحور عند الأخ (حسين أحمد السالم), أحد عمّال شركة النفط, وشرحنا للحاضرين مباديء الإخوان التي من صلب الإسلام, وبعد ذلك توجهنا إلى الحقلانية, وصلينا الفجر تحت جسر وادي حقلان, إذ كان ماؤه منحسرا لتوقف موسم الأمطار, ولما انتصف النهار غادرنا الحقلانية وتوجهنا إلى الرمادي, بعد جولة دعوية مثمرة, والحمد لله تعالى.

وبعد زيارتنا هذه حديثة, انتشرت دعوة الإخوان فيها, ومما زاد في انتشارها أنه تعيّن في ثانويتها مدرسين من الإخوان, هم: الأخ (صبحي جميل العاني), خريج دار المعلمين العالية, الذي أصبح فيما بعد مديرا للثانوية, والأخ (أمين ياسين سبتي الدوسري)[1], خريج دار المعلمين العالية ـ قسم الإنجليزي, والأخ

(1) الأخ أمين ياسين: نال درجة الماجستير من كلية الآداب, واشتغل مدرّسا في قسم اللغة الإنجليزية في نفس الكلية, بعد أن اشتغل في حديثة والرمادي, وأعيرت خدماته إلى السعودية في كلية الشريعة في مكة المكرمة سنة 1967 ـ 1968م , وزاملته في الرمادي, وفي كلية الآداب ـ جامعة بغداد, وفي كلية الشريعة في مكة المكرمة, وكنا متعاونين في حقل الدعوة الإسلامية, توفي بعد احتلال الأمريكان العراق سنة 2008م .

(حاتم عبد الـلـه العاني), كذلك خريج دار المعلمين العالية ـ قسم الإنجليزي, فاستقوى طلّاب الإخوان بهم, وازداد نشاطهم وعددهم.

وتعيّن في نفس الوقت في ثانوية حديثة كلٌّ من: الأستاذ (عبد الـلـه سلوم السامرّائي)[1], والأستاذ (حسن العَلَويّ)[2], البعثيّان, وكانا نشطين, وكانت حديثة معقلا من معاقل حزب البعث, فحصل صراع قوي بينهم وبين الإخوان, وجرت مصادمات وصلت حد العراك, وانقسم أهالي حديثة على قسمين: قسم يؤيّد الإخوان و(بيت جعفر), وقسم يؤيّد البعثيين, وجرت منازعات ودعاوى في الشرطة, وأوكل الطرفان محامين, وتوكل عن الإخوان كل من: المحامي (نور الدين الواعظ), والمحامي (فاضل دولان), وكلاهما من الإخوان, ثم جرى صلح بين الطرفين وهدأت الأمور.

(1) عبد الـلـه سلوم السامرائي: خريج قسم التاريخ في دار المعلمين العالية, مثقف ومتحمس لنشر أفكار حزب البعث, أرسى قواع الحزب في حديثة ثم انتقل إلى الرمادي ثم إلى سامراء, عُيّن وزير الإرشاد والثقافة في أول حكومة تشكلت بعد الإنقلاب على عبد الكريم قاسم, ثم نقل إلى ممثل العراق في الجامعة العربية, حضر مناقشتي في كلية الآداب ـ جامعة القاهرة سنة 1965م , وأرسل لي كتاب شكر, اختلف مع الرئيس الراحل صدام فسُجن, ثم عُفي عنه, ونُسّب إلى كلية التربية, وفي أيامه الأخيرة تحول إلى باحث إسلامي, فألّف جملة كتب أشهرها (الشعوبية), توطدت العلاقة بيني وبينه وكان يزورني ويجري بيننا حديث عن الفكر الإسلامي والعروبة, توفي في بغداد بحدود سنة 1993م ـ رحمه الـلـه تعالى .

(2) حسن العلوي: خريج كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية, عُيّن مُدرّسا في حديثة, ثم نُقل إلى الرمادي, ونُقل بعد ذلك إلى بغداد, وأُسند إليه رئاسة تحرير مجلّة (ألف باء), ثم اختلف مع الرئيس الراحل صدام وخرج من العراق, وهو الآن مقيم في سوريا, ورشح لمجلس النواب في الدورة الحالية (2010), ورشح رئيس مجلس في البرلمان الحالي لكبر سنه, فاعتذر, فرُشح مكانه الدكتور فؤاد معصوم .

النَّشَاطُ الرِّيَاضِي

كان لنا اهتمام كبير بالنشاط الرياضي, فأنشأنا الفرق الرياضيّة المختلفة (كرة قدم, وكرة سلّة, والكرة الطائرة), ونقيم مباريات للفرق الرياضيّة الأخرى, وسافرنا كثيرا إلى الفلوجة لنجري معهم مباريات في كرة القدم والكرة الطائرة, ونذهب إلى بغداد, ونزور (نادي المنصور) في الكرخ, وملعب (الشبّان المسلمين) الواقع في (الصالحيّة) قرب الإذاعة العراقية .

وكنا نعمل في منطوق الحديث النبوي [المؤمن القوي خير وأحب إلى الـلـه من المؤمن الضعيف وفي كل خير][1], والقوة تشمل قوة البدن والروح والعقل والنفس، فكنّا حريصين على تقوية أنفسنا في كل هذه المجالات, وكان للإخوان فريق كرة قدم في بغداد, يتبارى مع الفرق الرَّسمية وغير الرَّسمية, وأشهر لاعبيه الأخ المعلّم (ابراهيم طه الأعظمي), الّذي تولّى توجيه الناشئة في الأعظمية، بعد وفاة الأخ (مهدي صالح الدّبّاغ) سنة 1951م, مؤلّف كتاب (الناشئة), والأخ المهندس (عبد الغني شندالة) الّذي أُعْدِمَ في أول وجبات الإعدامات, زمن (ناظم كزار), أول استلام البعثيين بعد انقلابهم على الرئيس الراحل (عبد الرحمن عارف) رحمه الـلـه, والأخ (محمد الآلوسي) الّذي أصبح محاميا فيما بعد, وقاد انشقاقا, وهو ثاني انشقاق بعد انشقاق (حسين صالح ـ ابو علي), وحاول أن يؤثّر علينا في الرمادي, ولم يستطع, لأنني كنت متمسكا بقيادة الصّوّاف, وكنت راعي الدعوة في كل اللواء, والإخوان يسمعون كلامي, وبعد ذلك أسس كتلة سمّاها (الجبهة الإسلامية), التَفَّ حولها عدد من إخوان

---

(1) سنن النسائي الكبرى, أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي, دار الكتب العلمية ـ بيروت , ط1, 1991م ، ج6، ص159, رقم الحديث (10457) .

الأعظمية, منهم الأخ (طارق عبد الوهّاب العوسج) والّذي تخلّى عنه فيما بعد, وعاد إلى صفوف الإخوان, وتعاون مع الآلوسي الشيخ (عبد العزيز البدري) الّذي أعدمه البعثيون بعد استيلائهم على الحكم, وأسسا شركة نقل سمّوها (الفتح), وهاجر إلى السعوديّة وبقي فيها أكثر من ثلاثين سنة, وأسس كتلة سمّاها (الكتلة الإسلاميّة), شارك في المعارضة السياسية ضد حكومة البعث, وخَفَتَ نشاطه بعد سقوط بغداد والإحتلال الأمريكي للعراق, وهو الآن في الأردن على ما بلغني .

وكنّا نقيم مخيمات كشفية في مناطق مختلفة من اللواء, وفي مناطق أخرى من العراق, وسأتحدث عن قسم من هذه المخيمات التي شاركت فيها في مبحث لاحق بمشيئة اللـه تعالى.

وأسسنا ناديا رياضيّا في بغداد, سمّيناه (نادي التربية), كان مقرّه قرب (شارع المغرب), وله فرع في الرمادي, تولّى رئاسته الأخ المعلم (صالح كبع), يعاونه الأخ (محمد نجم عبد خوير), وما زال حيّا, وكنّا نقيم مسابح على نهري (دجلة) و(الفرات), في بغداد والفلوجة والرمادي والموصل, وفيها برامج ثقافية ودينية وفكرية, لاسيّما بعد صلاتَيْ العصر والمغرب, وهي سبيل من سبل جلب المؤيدين والأنصار للجماعة, وقد نقدم بعض المسرحيّات كما فعلنا في الأعظمية, وكان يشرف على هذه المسرحيّات الأستاذ (توفيق لازم), وهو ليس من الإخوان, والد الدكتورة (عربية توفيق) الأستاذة في كلية الآداب, وقد زاملتها في تلك الكلية.

الشيخ عبد العزيز السالم

لم يكن هناك في لواء الدّليم علماء لهم تأثير في الوسط الإجتماعي, ولم تكن هناك مدارس شرعيّة نشطة، وفي سنة 1948م عُيِّنَ في (الفلوجة) عالم, هو الشيخ (عبد العزيز السالم السامرّائي), من عشيرة (البو نيسان) السامرّائية, وتلميذ الشيخ (أحمد الراوي) في مدرسة (سامرّاء الدينية), وكان رجلا حازما, ومدرّسا على درجة كبيرة من العلم والدين والتقوى, وكانت المدرسة في الفلوجة في (الجامع الكبير), المطلّ على نهر الفرات في مؤخرة الفلوجة القديمة, وتسمّى المدرسة (الآصفيّة), خرّجَتْ مجموعة من العلماء, ينتمون إلى مختلف المدن السّنيّة, وكنّا ونحن طلّاب في الصف الثالث متوسط في الفلوجة, نحضر خطب الجمعة التي يلقيها الشيخ عبد العزيز, وطلبته أصبحوا أشهر علماء العراق, منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ صبحي الهيتي, مرّ ذكره سابقا, والشيخ (عبد الغفور الهيتي), والشيخ (ابراهيم جَدِي الهيتي), والشيخ الدكتور(عبد الملك السعدي), والدكتور(حمد عبيد الكبيسي)[1], وأخوه الدكتور (أحمد الكبيسي) الذي اشتهر في دروسه الرمضانيّة في مساجد العراق, ثم انتقل إلى الإمارات, وهو الآن فيها, وجاء إلى العراق بعد سقوط بغداد, واحتلال الأمريكان بغداد, وقاد مظاهرة شاركت فيها جماهير سنيّة كبيرة, وأصدر جريدة

(1) الدكتور حمد عبيد الكبيسي: أكمل دراسة الدكتوراه في الأزهر الشريف, وتعين أستاذا في جامعة بغداد, والجامعة المستنصرية, ثم عُيّن عميدا لمعهد إعداد الأئمة والخطباء, ونُسّب للعمل الإسلامي في أمريكا من قبل الحكومة العراقية في عهد الرئيس الراحل صدام حسين, ثم عاد إلى العراق وعمل في وزارة الأوقاف, وأيام الحصار ذهب إلى دولة الإمارات وعمل أستاذا في كلية الدراسات الإسلامية في دبي, وبعد احتلال العراق من قبل الأمريكان عاد إلى بغداد, وتوفي فيها أظن سنة 2006م .

سمّاها (الساعة), وشكل تيّارا سمّاه (الوحدة الوطنية), ولم يبق في العراق إلّا مدة يسيرة, ثمّ عاد إلى الإمارات, وكان مؤهلا لزعامة السنّة في العراق, ولكنّ الظروف لم تساعده, ولي صلة به منذ عقود, وكنت إذا زرت الإمارات ألتقي به .

وممن درسوا في مدرسة الشيخ عبد العزيز السامرّائي, الدكتور (حارث سليمان الضّاري), وكان الذي يشرف على تدريسه مباشرة الدكتور (عبد الملك السعدي), وأكمل دراسته في الأزهر, ونال الدكتوراه, وهو الآن من مشاهير أهل السّنّة, والأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق, ويتردد الآن بين سوريا والأردن وبعض الدول العربية.

وكانت لنا صِلَة طفيفة بالشيخ عبد العزيز, لأنّ جلّ العلماء كانوا يتخوّفون من أي نشاط فيه نزعة سياسية, وحركة الإخوان حركة سياسية إسلاميّة, وانتقل الشيخ عبد العزيز إلى سامرّاء, وهناك توفّي سنة 1974م .

وَخَلَفَهُ في المدرسة الشيخ ابراهيم الجدي, تلميذه, والذي سجن بعد قيادته مظاهرة ضد الحفل الماجن الذي أقيم في نقابة المعلّمين في الفلوجة, التي كان يسيطر عليها البعثيّون, وتوفّي في الفلوجة إثر صعقة كهربائيّة .

بَيْتُ السَّعْدِيّ

نَشَأَتْ هذه الأُسرة في هيت, وأصلهم من سامرّاء, من عشيرة (البو عبّاس), وكان والدهم (عبد الرحمن) يشتغل في البناء, وحرص على تربيتهم تربية دينية علميّة, وبرز منهم العالم الجليل الدكتور عبد الملك السعدي, وهو الذي أشرفَ على توجيه إخوته: الدكتور (عبد الرزاق السعدي) الّذي درَّسْته في كلية الدراسات الإسلامية, والدكتور (عبد العليم السعدي), مفتي محافظة الأنبار, الذي اغتالته يد الإرهاب الآثمة على عتبة داره في الرمادي, في النصف الثاني من عام 2010م, والدكتور(عبد الحكيم السعدي) درّسته في كلية الدراسات الإسلامية, وهو يعمل الآن في قطر, والدكتور (عبد القادر السعدي), الذي أشرفت عليه في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في كلية الآداب ـ جامعة بغداد, وهو يعمل الآن في جامعة الشارقة, والدكتور (عبد الـلـه السعدي), درّسته في كلية الآداب ـ جامعة بغداد, وشاركت في مناقشة رسالته للماجستير .

وكان لهذه الأسرة فضل كبير في نشر الوعي الديني, لا سيّما بعد أن استقرّ بهم المقام في الرمادي, وتعيين الشيخ عبد الملك إماما للجامع الكبير في الرمادي, وخطيبا للجمعة فيه سنة 1965م, وبعد تخرّج الشيخ عبد الملك من المدرسة الآصفيّة, دَرَسَ في (كلية الإمام الأعظم), ثم نال درجة الماجستير من كلية الآداب ـ قسم الدّين, وبعد ذلك أكمل الدكتوراه في (جامعة أمِّ القُرى) في مكّة المكرّمة, وانتقل الشيخ عبد الملك إلى الأردن أيّام الحصار, وعمل سنوات عدّة في (جامعة مؤتة) في (الكرك), وهو الآن يعمل في (جامعة العلوم الإسلامية العالمية) في (عمّان), وهناك تعاون قديما وحديثا بيننا, وتربطني بهذه الأُسرة روابط وثيقة, وصلتي بهم مستمرّة حتّى الآن, وكان هناك تعاون وثيق وتشاور بينهم وبين الإخوان, لأن عملنا مشترك وهو خدمة الإسلام والمسلمين.

زيارات قادة الحركة الإسلامية للرمادي

زار جمعية الأخوّة في الرمادي مجموعة من قادة الحركة الإسلامية, وكان الأستاذ الصّوّاف يرافقهم في هذه الزيارات, منهم الشيخ (محمد نمر الخطيب) الفلسطيني, وألقى خطبة الجمعة في مسجد الرمادي, والتقى بالإخوان وتحدّث لهم بأحاديث إسلامية, وزار الرمادي الشيخ (محمد بشير الإبراهيمي) الجزائري, رئيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر, خليفة المجاهد (عبد الحميد بن باديس), مؤسس جمعية علماء المسلمين, ومؤسس مدارس تعليم اللغة العربية أيّام الحكم الفرنسي للجزائر, وكانت لهذه الجمعيّة جريدة تسمّى (البصائر), وكانت تصل إلينا, ثم زارنا الأستاذ (مصطفى الصيرفي)[1], وذلك بعد حلّ جمعية الأخوة الإسلامية سنة 1954م, وجمعنا في بيت الأخ الحاج (عبد النبي شبيب), وألقى درسا في الدّعوة, وحدّثنا عن العمل في سوريا, وذلك قبل أن يحدث الصّدام مع حكومة البعث, على أثر الإصطدامات التي وقعت في حماه, وأدّت إلى اعتقال أعداد كبيرة من الإخوان السوريين, وتشريد المئات منهم, ولا زال عدد كبير منهم مشردين في كثير من الدول العربية والأوروبيّة .

(1) الأستاذ مصطفى الصيرفي مدرّس من (حماه) من قيادات الإخوان , ومن الذين أرسوا دعائم الدعوة في حماه, وبعد هجرته من سوريا, عمل مديرا لمدارس الأندلس الخاصة في دولة قطر, وقد زرته في إحدى زياراتي إلى قطر.

إخوان عملت معهم

الإخوان الذين عملت معهم في الرمادي كثيرون سأذكر مجموعة منهم الذين أسهموا في العمل والنشاط، يأتي في مقدمتهم الأخ مصطفى جميل ممدّ والأخ عواد سمير الدراجي اللذان أسهما في إرساء العمل عند بدء نشأته (رحمهم الـلـه) والأخ عبد النبي شبيب الهيتي (رحمه الـلـه) والأخ المعلم محمد عبد الوهاب محمد أمين، والحاج محمود اللافي، والأخ عبد الغفور حميد أبو حيدر (رحمه الـلـه) أحد معلميّ وكان مدير مدرسة العزة الابتدائية وقد زاملته في التدريس مدة سنتين، والأخ المحامي يوسف طه ياسين العاني (رحمه الـلـه) وكان نقيب المحامين في الرمادي وترأس الحزب الإسلامي في الرمادي سنة 1960م، والأخ المعلم خلف عبيد الفراجي (رحمه الـلـه) وترأس شعبة الرمادي بعد ملا فاضل الذي كان أول رئيس لشعبة الرمادي والأخ محمد نجم خوير العبيدي، والأخ عيدان عبد الفهداوي مأمور سجن الرمادي (رحمه الـلـه) والأخ المعلم حسن مطر الندا (رحمه الـلـه) والأخ عبد العزيز عواد الكبيسي (رحمه الـلـه) والأخ الحاج شاكر محمود البنا (رحمه الـلـه) وأخوه محمد البنا الذي قتله البعثيون سنة 1960 أول أيام تأسيس الحزب الإسلامي، والاخ الشاعر يوسف عبد اللطيف الدوري (رحمه الـلـه) الموظف في مديرية زراعة الرمادي والأخ جمعة نافع الراوي المدرس في ثانوية الزراعة الرمادي الذي ترأس شعبة الرمادي بعد انتقالي إلى بغداد للدراسة في كلية التربية وهو خريج كلية الزراعة، وأبعد إلى كربلاء عند سيطرة حزب البعث على الحكم، والأخ حاتم عبد الـلـه النجار العاني الذي تولى مسؤولية العمل بعد إبعاد الأستاذ جمعة نافع الراوي، ثم أبعد إلى (قلعة دزه) شمال العراق فتولى مسؤولية الشعب الأخ المعلم خضر عبد الرحمن العاني وبقي مسؤول الرمادي إلى احتلال العراق من قبل الأمريكان وممن عمل في الرمادي

الأستاذ يوسف بكري العاني خريج كلية الشريعة، والأخ المعلم عبد العزيز محمود الراوي (رحمهم الله)، والأخوة جمعة وحاتم ويوسف وعبد العزيز وخضر كلهم وافدون إلى الرمادي بسبب عملهم الوظيفي، وكانوا يشكلون لجنة تنظيم الإخوان في الرمادي إلى الاحتلال، وكنت أشرف عليهم إلى أن غادرت العراق إلى الأردن سنة 1994م.

المُخَيَّمات الكَشْفِيَّة[1]

اعتاد الإخوان أن يقيموا مخيّمات كشفية في مناطق مختلفة من العراق, فمثلا: أقمنا مخيّما كشفيًا في منطقة (بحيرة الحبّانيّة), عند مخرج الحبّانيّة الآتي من البحيرة والمتجه إلى نهر الفرات, الّذي يرفد الفرات بالمياه أيام انخفاض النهر في الصيف, وحضر هذا المخيّم الأستاذ الصّوّاف .

وأقمنا مخيّما في منطقة (حديثة), وحدث خلاف بين إخوان حديثة وأخ من (بروانة) اسمه (خضر شعيثة), فاعتدى بعض الإخوة عليه, فاشتكى عند الشرطة, ولكنه لم يكن يعرف مكان المخيم ولا الشرطة تعرفه, فكان في معزل عن الناس, في وادٍ من وديان حديثة، قريبا من نهر الفرات, وكنت المسؤول عن المخيّم, وكان المخيّم يضم مجموعة من إخوان جميع مناطق اللواء .

ولمّا انتهى المخيّم, وعاد إخوان حديثة إلى مدينتهم, أُلقي القبض على مجموعة منهم, ويبدو أن هذا الأخ المشتكي قد ندم على شكواه, وكنت قد كتبت ورقة فيها المستلزمات التي يجب أن يصحبها الأخ معه, مثل : مصحف وكتاب المأثورات[2], ومستلزمات النوم, وأعطيت نسخة منها للأخ المشتكي, مثله مثل الإخوان المشاركين في المخيّم, ولكنّه أفاد بأنّ الورقة كُتِبَتْ من قبل أخ آخر غيري .

(1) المخيم الكشفي: مخيم تربوي وثقافي ورياضي, تعقد فيه دروس فكرية ودعوية, وتمارس فيه أعمال رياضية، وربما تكون عنيفة, وتقام فيه صلاة التهجد وقيام الليل, وتجري فيه بعض السباقات الرياضية, وفي بعض الأحيان نأخذ موافقات رسمية, ولما حلت الجمعية سنة 1954م شرعنا بأخذ موافقات باسم جمعية التربية الإسلامية.

(2) المأثورات: كتاب أدعية, كتبه الامام حسن البنا, فيه أدعية, كان الإخوان يتلونها صباحا مساءا, منفردين أو مجتمعين, وقد طبع الكتاب عدّة مرات.

ولمّا أُرسلت الورقة إلى (التحريات الفنيّة) في بغداد, تبيّن أنها مخالفة لخط الّذي نُسبت إليه الورقة المكتوبة, فأُطلِق سراح الإخوة المحتجزين .

وتلقف البعثيون هذه الحادثة, فنشروا في الصحف أن الإخوان يتدربون على السلاح, لتشويه سمعة الإخوان, ولتحريض الحكومة علينا, فردّ اللـه كيدهم في نحورهم .

وكنّا نقيم مخيّمات لجميع الإخوان في العراق, وقد عقدت عدة مخيّمات, وسأتعرّض للمخيمات التي شاركت فيها, وأولها المخيم الّذي أُقيم في (سواره توكه) في منطقة دهوك, التي كانت تابعة يوم ذاك إلى محافظة الموصل سنة 1954م, وقد شارك في هذا المخيم أربعون أخا من مختلف ألوية العراق, وكان يقوده ضابطان كل منهما برتبة (نقيب), وهما: النقيب (فاضل النعيمي), والنقيب (نجيب عبود), ويشرف على تنظيم المخيّم وإدارته الأخ المهندس (عبد الغني شندالة) .

وقمنا بأنشطة مختلفة, منها تسلق الجبال, ودروس تثقيفية, وألعاب رياضية, وحضر الأستاذ الصّوّاف هذا المخيم, وقام الإخوان المشاركون بمسيرة راجلة إلى (بامرني), والتقينا بالشيخ (مسعود النقشبندي), ونزلنا في ضيافته, وكان الأستاذ الصّوّاف معنا وتربطه بالشيخ مسعود علاقة وطيدة, ثم توجهنا بالسيارة إلى (سرسنك), وعدنا إلى مقرنا في سواره توكه, وتقع بامرني على الحدود العراقية ـ التركية, وتحيط بها سلسلة جبال شاهقة, والمنطقة من أجمل مناطق شمال العراق, وسكانها متدينون وينتمون إلى الطريقة الصوفية النقشبندية, ولما أسست الجمهورية اختار قادة الحركة الشيخ (خالد النقشبندي) ليمثل الأكراد في مجلس السيادة, لمكانة هذه الأسرة في المجتمع الكردي.

وفي سنة 1956م أقمنا مخيما آخر في منطقة (جومان), في لواء أربيل,

غادرنا بغداد متوجهين بالقطار إلى إربيل, ونزلنا في (تكية) الشيخ (محيي الدين البرزنجي), ومن هناك توجهنا إلى منطقة المخيم, على ضفة نهرٍ جارٍ قرب جسر جومان, والآن جومان أصبحت قضاء, وتقع بعد (كلي علي بك) على الطريق الذاهب إلى (حاجي عمران) في أطراف محافظة أربيل, وكان يقود هذا المخيم الأستاذ (سعد الدين الوليلي)[1] المصري, ويعاونه الأستاذ عبد الغني شندالة, وقمنا بمسيرة إلى (حاجي عمران), وكانت المسيرة مؤلّفة من فصيلين : أحدهما يقوده الأستاذ عبد الغني شندالة, والفصيل الآخر أقوده أنا, واستغرقت المسيرة ست ساعات ونصف, وكنا نسير ونحن نرتدي ملابس رياضية, كما يسير الجنود النّظاميون, وكان الطريق يمر بمنطقة سهلة (دشت), كما يسمّيها الأكراد, وكلما نمرّ على مركز شرطة تحيينا الشرطة بالتحية العسكرية, وكان أكراد المنطقة يحتفون بنا لأنهم يرونا نصلّي وملتزمين بأهداف الدين, وبعد أن قضينا النهار في منطقة حاجي عمران القريبة من الحدود الإيرانية, عدنا بالسيارات إلى مقرّنا في جومان .

وكان برنامج المخيم يشمل أنشطة رياضية وأنشطة ثقافية, وأنشطة تعبدية متمثلة بصلاة التّهجد وإقامة الليل, وعادة نأخذ موافقة رسمية بإقامة مثل هذه المخيمات, ولمّا حُلّت جمعية الأخوة الإسلامية سنة 1954م جعلنا نإخذ هذه الموافقات باسم جمعية التربية الإسلامية, للصلة الوثيقة بين الجمعيتين, ولكون الشيخ أمجد الزهاوي هو رئيس كلتا الجمعيتين, ولمّا انتهى الوقت المحدد للمخيم عدنا إلى أربيل ومن هناك عدنا إلى بغداد .

(1) سعد الدين الوليلي: أحد القادة المصريين الذين أسقط عنهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الجنسية المصرية, ودخل العراق باسم مستعار, وكان يتولى قيادة الكشافة الإخوانية في مصر, وصدر أمر بالعفو عنه, فعاد إلى مصر, وتوفي هناك بعد سنة 1970م على ما أظن .

نِظامُ الكَتائِب

نظام الكتائب أفرده الإمام الشهيد حسن البنّا برسالة سمّاها (الكتائب)، وهو نظام عملي تربوي وثقافي وتعبّدي، يُفتَرَض أن يشارك فيه جميع الإخوان، يجتمعون في بيت أحد الإخوان أو في أحد المقرّات، وفي بعض الأحيان يقام خارج المدينة، في أحد الفضاءات بعيدا عن السكّان، الهدف منه تقوية الإخوان روحيّا وعلميا وبدنيا، وهو في حقيقته إقامة ليلٍ، وإذا عُقِد خارج المدينة يضاف إليه برنامج بدني رياضي، وترتب حراسات الكتيبة .

وقررنا مرة أن نقيم كتيبة خارج الرمادي، ونحن سائرون مترجلين لحقنا شخص يمتطي درّاجة هوائية، فعرفناه وعرفنا اسمه (حامد الفرّاجي)، وكان بعثيّا، ثم عاد مرة أخرى يتابعنا وانصرف، ثم عاد مرة ثالثة فتصدى له الأخ الحاج (محمود اللافي)، وقال له: إن عدت مرة أخرى، فعلنا بك كذا وكذا، فولّى هاربا .

وبعد أن استقر بنا المقام في المكان الّذي اخترناه بعيدا عن الطرق السالكة، وقبل أن نبدأ برنامجنا، ظهر ضوء سيارة تتجوّل في المنطقة، ثمّ ترجّل منها شخص ونادى: حاج محمود، حاج محمود، فلمّا أوشك الحاج محمود أن يجيبه، طلبت منه أن يسكت، وطلبت من الإخوة أن ينبطحوا على الأرض، لأنّي كنت مسؤولهم، وقلت لهم: هؤلاء شرطة، وأنّ حامدا الفرّاجي قد اتصل بهم، وأوشى بنا، علما بأنّنا لا نقوم بأيّ عمل يخالف القانون، وبعد ذلك انصرفت السيّارة، ويبدو لي آنذاك أنّهم خافوا أن يتقدموا إلينا، لأنّهم كانوا يظنّون أنّنا نحمل سلاحا، وفي حينها لم يكن معنا سلاح، سوى أنّ الحاج محمودا يحمل مسدسا مجازا من قبل الحكومة.

ولمّا عدنا إلى الرمادي صباحا, علمنا من بقيّة إخواننا ومن الناس أنّ حامدا الفرّاجي قد أخبر الشرطة بأننا خرجنا لنتدرب على السلاح, وأن الحاج محمودا قد هدده بالقتل, وسجّل دعوى في مركز الشرطة, وقبل بدء المحاكمة, تشاجر حامد الفرّاجي مع أصحاب حوانيت من مؤيدي الإخوان, فصدرت منه عبارة فيها كفر, فشكاه مَن تشاجر معهم, ولمّا استدعي للشرطة تبيّن أنّه جندي هارب, فأُلقي القبض عليه, وسيق إلى الخدمة العسكرية, وانتهى الموضوع.

هِتافَاتُ الإخْوَانِ وَشِعاراتُهُم

كنّا في اجتماعاتنا ومسيراتنا ورحلاتنا نهتف ونرفع شعارات وهتافات كلها جاءتنا من مركز الدعوة في مصر, وأشهرها: هتاف (اللـه أكبر ولله الحمد), وهو مأخوذ من الحديث النبويّ الشريف, ومنها (اللـه أكبر ولا حكم إلّا بالقرآن), و(اللـه غايتنا, والرسول زعيمنا, والقرآن دستورنا), و(لا شرقيّة ولا غربيّة, إسلاميّة إسلاميّة), و(اللـه اكبر, والجهاد سبيلنا, والموت في سبيل اللـه أسمى أمانينا), وليس هناك هتاف أو شعار باسم قائد من قادة الإخوان, ولا باسم المرشد العام, بل هي شعارات وهتافات إسلاميّة, تدعو إلى الجهاد والإسلام في وقت كانت الأمّة تخوض فيه صِراعا مُحتدما مع الإستعمار والصهيونيّة.

وكانت هناك أناشيد إسلاميّة كنّا ننشدها في مسيراتنا واحتفالاتنا, وأشهرها نشيدان, سأنقل مطلعهما, وهما:

نشيد الكتائب[1]:

هوَ الْحَقُّ يَحْشُدُ أَجْنَادَهُ	وَيَعْتَدُّ لِلْمَوْقِفِ الْفَاصِلِ
فَصُفُّوا الْكَتَائِبَ آســادَهُ	وَدُكُّوا بِهِ دَوْلَةَ الْباطِلِ[2]

والآخر هو:

(1) نشيد الكتائب: من شعر الأستاذ عبد الحكيم عابدين، أحد قادة الإخوان الّذين أسقط عنهم الجنسية المصرية جمال عبد الناصر سنة 1954م.

(2) دولة الباطل: هي إسرائيل.

يا رسوْلَ الـلـهِ هَلْ يُرْضِيكَ أَنّا إخوَةٌ في الـلـهِ لِلْإسلامِ قُمْنا

نَنْفُضُ الْيَومَ غُبار النَّومِ عَنّا لا نَهابُ الْمَوْتَ لا بَلْ نَتَمَنّى

أَن يَرانا الـلـهُ في ساحِ الْفِداء

زياراتُ الصَّوّافِ لِلِواءِ الدّليم

كان الأستاذ الصّوّاف دائب الحركة, وقام بزيارات متعددة للواء الدليم, وقد رافقته في أكثر من زيارة, منها زيارة حديثة مرتين, وطلب في الزيارة الأولى من الأهالي أن يبنوا مسجدا، في منطقة مطلّة على الفرات, اسمها (خريزة)[1], فلمّا اكتمل بناء المسجد, دُعي الأستاذ الصّوّاف لافتتاحه, فرافقته, وألقى كلمة قيّمة, ولم يكن هناك جامع قبله, لا في منطقة الحويجة, ولا في المنطقة التي على جانب النهر من جهة الضّفّة اليمنى للنهر (الشّاميّة), وعقد عدة لقاءات مع إخوان حديثة, وأهالي المدينة, ثمّ عدنا إلى الرمادي, وذهب الأستاذ الصّوّاف إلى بغداد .

ورافقت الأستاذ الصّوّاف في زيارته لمدينة (هيت), والتقينا بمجموعة من وجهاء هيت, منهم: الحاج (ناجي مطر) مختار هيت, والشيخ (فاضل الدّبّو), من أهل العلم, والد الدكتور (ابراهيم فاضل الدّبّو)[2], والحاج (محمد خليل النّشوة), والد الحاج (جاسم) والد الدكتور (قوام الدّين), واسمه الرّسمي (عبد السّتّار), ولكن المعروف في البلدة وخارجها (الحاج جاسم) .

وكان الجميع مؤيدين لفكرة الإخوان, ويحملون همّا إسلاميًا, ولم تكن هناك شعبة أو مكتبة للإخوان في هيت, وتبنّى فكرة الإخوان الحاج جاسم المذكور آنفا, وهو من وجهاء هيت, فالتفّ حوله الإخوان الشباب, وكان عندنا

---

(1) كأنها تصغير (خرزة).

(2) كان ابراهيم الدبو إمام مسجد الوشاش, ثم أكمل دراسته الجامعية, ونال درجة الدكتوراه, وعمل في كلية الشريعة, وأيام الحصار جاء إلى الأردن وعمل في إحدى جامعاتها, وكانت لي به صلة, وترك الأردن بعد الإحتلال الأمريكي للعراق, وصلتي مقطوعة به الآن.

مجموعة من طلبة هيت يدرسون في دار المعلمين الإبتدائيّة, فتأثّر قسم منهم بفكرة الإخوان, وآمنوا بها, منهم الأخ (عبد الواحد شكر), ولا زال حيا بعد إحالته على التقاعد, والأخ (جندي محمود شلاش), برز في هيت بعد وفاة الحاج جاسم .

وازداد عدد الإخوان في هيت من المعلّمين والطلّاب وأصحاب المحلات التجارية, وقبل بدء العام الدراسي 1955 ـ 1956م إتّصل بي إخوان هيت وطلبوا أن أنتقل إلى مدينتهم, لرعاية دعوة الإخوان ودعمها,فاستجبت لرغبتهم فانتقلت إلى هيت, معلما في قرية (الحسنيّة) عبر نهر الفرات, واسمها (المشرق), كنّا نذهب إليها على الدرّاجات, ولم يكن في المدرسة سواي وسوى المدير, وهو من هيت, وكانت المدرسة مؤلّفة من أربعةِ صفوف, وكان طلّاب كل صفّين يجلسون في غرفة واحدة, فكنّا نقسم الدرس إلى قسمين, فنعطي نصف الدرس لأحد الصّفّين والنصف الآخر للصف الآخر, وهذا النظام كان شائعا في القرى لقلة عدد الطّلّاب, ولضعف الإقبال على التعليم في المناطق القرويّة .

وكنّا في هيت نقوم برحلات إلى المناطق القريبة من هيت, وإلى (كبيسة) على الدراجات, ونجري سباقات بالكرة الطائرة، ولم يكن عندنا تنظيم أُسَري، ونكتفي باللقاءات العامّة في البيوت والمساجد, وإلقاء الدروس في المساجد, وكنت أُلقي بعض الدروس بعد خطب الجمعة في أحد مساجد هيت, وكانت الشيوعيّة منتشرة في هيت, فتجري بيننا وبينهم مناقشات في المقاهي, ولمّا سيطر الشيوعيّون على الشارع العراقي بعد ثورة 14 تمّوز ازداد نشاطهم وسيطروا على المدينة, ورفعوا شعارات مُستَهجَنة, منها: (هيت قطعة من السوفيت, احكم ياالمهداوي احكم), ثمّ اضمحلّ تأثيرهم, بعد سحب الزعيم عبد الكريم تأييده لهم .

وكانت في هيت مكتبة صغيرة تبيع كتبا مختلفة, ومنها كتب الإخوان, يملكها شخص اسمه (محمد هندي) من الإخوان, والده أحد وجهاء هيت, يملك خانا مشهورا سكنت فيه بضعة أيّام, قبل أن يلتحق بي أهلي, وهو بمثابة فندق, إذ لم يكن في هيت فندق, ولم أمكث في هيت سوى سنة واحدة, إذ انتقلت بحسب طلبي إلى الرمادي, بعد أن استقرّ العمل الإخواني في هيت, وأصبحت هناك قاعدة من الشباب والكبار, وكانت في هيت عائلة تسمى عائلة (الخطيب), وكانوا يتولون خطبة الجمعة في جامع (القلعة الكبير), وهم بيت علم ودين, ولكن تأثيرهم الديني ضعيف, ولم يكن في هيت علماء سوى العالم (طه علوان السامرّائي), وكان من الإخوان, يُدَرِّس العلم الشرعي لمجموعة من طلاب العلم في هيت, وبرز من هيت: الشيخ (صبحي الهيتي), الذي اشتهر في مواعظه في الإذاعة, وكان معلما في محافظة ديالى, ثم انتقل إلى أوقاف الرمادي, وأصبح خطيب الجمعة بعد وفاة الشيخ (عبد الجليل الهيتي), ومواعظه كانت مؤثرة, ونال شهرة واسعة في جميع العراق.

وهيت تُعَد من أقدم مدن العراق, وتقع على ضفاف نهر الفرات في الجانب الأيمن, المُسمّى (الشّاميّة), وفيها قلعة أثرية قديمة, ويسمى القسم المبنيّ فوق القلعة بـ (الولاية) والقسم المبنيّ أسفل القلعة يسمّى (القلقة) و(المملحة), وفيها عيون ماء كبريتية, وعيون للقير السائل, وهي مشهورة ببساتينها, وتقع غرب الرمادي على بعد (65 كيلو متر).

زيارَةُ مسؤولي الإخوانِ لِلِواء الدّليم

كانت الرمادي مركز لواء الدليم, وهي ما زالت مركز محافظة الأنبار, وكان يزورنا مسؤولو الإخوان بصورة مستمرة, وكنت أصطحبهم لزيارة مناطق اللواء, فقد جاء مثلا الأخ (عبد الحافظ سليمان) من الموصل, خرّيج كلية الشريعة, وهو قيادي بارز في الموصل, فرافقته في جولة إلى هيت وحديثة, ثمّ جاء الأخ (محمود شريف الخيّاط) البصير, الّذي كان في قيادة الإخوان ثم خرج بعد سنة 1954م, فاصطحبته إلى هيت وحديثة وعانه, وانطلقنا من حديثة إلى (عانه), ولم نجد سيّارة سوى (شاحنة) لنقل البنزين على شكل صفائح إلى عانه, وكان المقعد المخصص للسائق الذي يقود السيّارة ومعه راكب آخر, فلا يتّسِع المكان إلّا لراكب واحد, فأجلست الأخ محمود فيه, وركبت في أعلى السيّارة على صفائح البنزين.

وصلنا عانه وقت الظهر, ونزلنا في محطة تعبئة الوقود, وهي في الجانب الشرقي من عانه, وتوجهنا إلى بيت الأخ (حاتم عبد اللـه النجّار)[1], مسؤول الإخوان في عانه, الّذي يقع بيته في الجانب الغربي ويسمى (الرأس الغربي), تقطنه بيوت متفرقة من بيوتات عانه, لا تجمعهم عشيرة واحدة, وأهل عانه وإن كانوا يُلَقّبون بالعاني, نسبة إلى مدينة عانه إذا خرجوا خارج عانه, إلّا أنهم ينتمون إلى بيوتات وعشائر مختلفة, منها مثلا بيت (دلّة علي), وهم أكبر بيوتات

(1) حاتم عبد اللـه النجار: خريج قسم اللغة الإنجليزية, في دار المعلمين العالية (كلية التربية حاليا), درس في عانه ردحا من الزمن, ونفي إلى قلعة دزة في المنطقة الكردية, أيام عبد الكريم قاسم, ثم عاد الى الرمادي, ودرس فيها, وهو من الإخوان المنظّرين فكريا ومثقف ثقافة واسعة, وشارك في قيادة الإخوان في الرمادي أيام حل التنظيم سنة 1971م, وهو يعمل مستشارا للمراقب العام في العراق .

عانه, وبيت (كُحْلي) وأصلهم دليم من عشيرة (المحامدة), وبيت (غازي) و(السواهيك) في القسم الغربي من عانه, وأصلهم (راويّون) وتقع هذه المحلة وسط عانه قرب الجامع الكبير, وبيت (خبّاطة), وهناك محلات أخرى, مثل محلّة (السّدّة) و محلّة (الشّريعة) الكائنتان في شرق عانه .

ومدينة عانه من أقدم مدن العراق وكانت تسمى (عانات), ورد ذكرها في الشعر, تقع على ضفة نهر الفرات, وهي ثاني مدينة يمر بها الفرات وهو منحدر إلى شط العرب, والمدينة الأولى هي (القائم) وتسمى أيضاً (حصيبة) .

ولم يكن في عانه في تلك الحقبة إلّا مسجد واحد تقام فيه صلاة الجمعة, في وسط عانه, مطلٌّ على نهر الفرات, وكان الحاج (شريف العاني) ـ والد السياسي الشيوعي (عزيز شريف) ـ عالم عانه الوحيد, وإمام جامعها وخطيب الجمعة, ولا تأثير له في المجتمع, وكانت هناك جوامع صغيرة مبثوثة في محلّات عانه المتفرقة, منها (جامع الحاج محمد شبلي) رحمه اللـه, الّذي كان من أكبر مؤازري الإخوان في عانه .

والتقينا في هذه السفرة بمجموعة كبيرة من الإخوان, فيهم طلبة في الثانويّات والكليات, وفيهم معلّمون في المدارس الإبتدائيّة ومدرسون في المدارس الثانويّة[1] .

(1) منهم: الأخ يونس كافي, معلم, توفي منذ عدة سنوات, والأخ قاسم حميد , معلم, من بيت دلة علي, وإخوته: راغب وغالب, وعارف رشاد, تخرج فيما بعد من كلية التربية ـ قسم التاريخ, وقد زاملته في كلية التربية, ومصطفى عبد الرزاق, من السواهيك الراويين, وأيوب عبد اللـه, وهو ليس أخا حاتم عبد اللـه الذي مر ذكره, وقد تولى مسؤولية الإخوان في عانه بعد خروج الأخ حاتم عبد اللـه منها, وقد كان ذا عقلية ممتازة ومتجردا للدعوة, توفي قبل سنة 1980م, وكان من المعلمين النشطين في عمله, والأخ مد اللـه لافي, معلم, من بيت خباطة, والأخ عبد

واعتماد أهل عانه في معيشتهم على رواتب أبنائهم الموظّفين, فجغرافية المنطقة لا تسمح بأي عمل, فالمدينة محصورة بين النهر وأراضٍ مرتفعة على شكل تلال جرداء.

وبعد أن أنهينا لقاءاتنا في عانه توجهنا إلى (راوه), فوجدنا فيها إخوانا لا يقلّون وعيا وإدراكا عن إخوان عانه, وتركيبتهم أيضا مثل تركيبة إخوان عانه, طلبة ومعلمين وفيهم أصحاب مهن, ومسؤولهم هو الأخ (كاظم فتحي العسكري)[1], الّذي سبق أن أشرت إليه, وكان أحد معلميّ في الإبتدائية, درّسني في الصف الخامس الإبتدائي, ثم ترافقنا في العمل الدعوي في لواء الرمادي وفي بغداد, ولم تكن هناك في عانه أو راوه دور لجمعية الأخوّة الإسلامية, ولا في حديثة أيضا, إنما كانت هناك مكتبات في عانه وحديثة و(الحقلانيّة), فكل الإجتماعات والدروس واللقاءات تكون في البيوت والجوامع, وبعد أن أنهينا جولتنا عدنا إلى بغداد .

الـلـه رشيد ـ ابو سمير ـ معلم, من محلة السدة شرقي عانه, وانتقل إلى بغداد, وتوفي أيام الحصار على العراق.

(1) تخرج الأخ كاظم فتحي من دار المعلمين الإبتدائية قبل سنة 1945م, ثم التحق بدار المعلمين العالية سنة 1957 / 1958م, وتزاملنا في كلية التربية , التي كان اسمها سابقا (دار المعلمين العالية) ثلاث سنوات, ثم نال درجة الماجستير من كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ قسم اللغة العربية, وانتقل إلى الجامعة المستنصرية, وأعيرت خدماته إلى المملكة العربية السعودية, عين مفتشا في وزارة المعارف, وهو والد الدكتور (عصام الراوي) الذي قتل في بغداد من قبل أعداء أهل السنة من الإرهابيين, ووالد أحمد الراوي الأخ العامل في الدعوة الإسلامية في بريطانيا وفي أوروبا, وقد ترأس الإتحاد العام للشباب في تلك الديار, وتوفي الأخ الحاج كاظم الراوي في بريطانيا سنة 2009م, ودفن هناك رحمه الـلـه.

الإتصال بالسوريين

وفي سنة 1960م وأنا معلم في بغداد وطالب في قسم اللغة العربية بكلية التربية, أُمرت من قيادة الإخوان ـ وكان على رأس التنظيم (كمال عبد اللـه القيسي)[1] نائب المراقب العام الأستاذ عبد الكريم زيدان ـ أن أذهب إلى سوريا لغرضين: الأوّل: أن ألتقي بالأستاذ الصّوّاف وكان في منطقة (القامشلي), والثاني: أن أجري مباحثات مع الحكومة السورية للتعاون من أجل وقف المد الشيوعي.

فتوجهت إلى (راوه) ومن هناك تسللت إلى سوريا بمساعدة أحد الراويين الذي كنت أعرفه لتردده إلى الفندق الإسلامي في الكرخ, ودخلنا إلى منطقة (البو كمال) عبر نهر الفرات, بلا جواز سفر ودون المرور بالمنافذ الرسمية, والتقيت بالمسؤولين السوريين, وكان عندهم علم مستقبل بمجيئي, فأخذوني إلى دمشق, وتباحثت معهم, وقلت لهم: أريد أن ألتقي بالأستاذ الصّوّاف, فأخذوني إلى القامشلي إلى الفندق الذي ينزل فيه, والتقينا بالسيد (عبد الرحمن السيد محمود)[2], فأخبرني بأن الأستاذ الصّوّاف قد سافر إلى السعودية, فعدت إلى (دير الزور) واجتمعت مع اللواء (أمين الحافظ), وكان قائد المنطقة الشرقية قبل

(1) كان معيدا في كلية العلوم ـ قسم الأحياء ـ ثم أكمل الدكتوراه وتعين في الكويت, ثم انتقل الى البحرين, لأن زوجته من احدى أسر شيوخ البحرين, فاستقر هناك وانقطعت صلته بإخوان العراق, وكان من أحسن قياديي الإخوان, وتولى قيادة الإخوان بعد خروج الصواف من العراق قبل تولي الدكتور عبد الكريم زيدان المراقب العام للإخوان المسلمين سنة 1960م .

(2) عبد الرحمن السيد محمود , تاجر من الموصل ويسمى (عبد الرحمن A.B.C), من أصدقاء الأستاذ الصواف, والمتعاونين معه في نشر افكار ومباديء الحركة في الموصل, وكان له اتصال بإخوان مصر لتردده على القاهرة بسبب أعماله التجارية.

أن يصبح رئيس الجمهورية السورية, وكنت آنذاك أحمل اسما مستعارا وهو (صالح الدليمي), وأوصلني السوريون إلى قرب الحدود العراقية من جهة ناحية (القائم), وكان يرافقني في العودة أحد الإخوان من ناحية القائم, هو الأخ (نوري خليفة) خرّيج كلية الشريعة, وكان ذلك ليلا, فلمّا أصبح الصباح عدت إلى بغداد, وأبلغت الإخوان بنتائج رحلتي .

وأُمرت مرة ثانية بالذهاب إلى سوريا لاستكمال المباحثات, فذهبت عن طريق القائم, فقد كان هناك ضابط احتياط برتبة نقيب من الإخوان هو (عبد السلام عبد الرزاق الكبيسي) أحد زملائي في الدراسة في متوسطة الفلوجة, ومكثت عنده إلى منتصف الليل, ثمّ عبرت الحدود العراقية ـ السورية خلسة دون المرور من المنفذ الحدودي الرسمي, لأن السفر إلى سوريا شبه ممنوع, فضلا عن أنني لا أحمل جواز سفر, وسرت مشيا على القدم إلى أن وصلت إلى مدينة البو كمال, وبتُّ في (فندق الجمهورية) العائد لأحد الإخوان, وهو عانيٌّ في الأصل اسمه (حسين القبع), وفي الصباح اتصلت بالمسؤولين السوريين وتباحثت معهم, وذهبت إلى دير الزور, والتقيت باللواء (أمين الحافظ), وكان قائد المنطقة الشرقية قبل أن يتولّى رئاسة الجمهورية, وتباحثت معه في ما يتعلّق بالوضع في العراق, وسيطرة الشيوعيين, وإيجاد التعاون بيننا في ما يتعلّق بالوقوف في وجه المد الشيوعي في العراق, وبعد أن استكملت المباحثات معه, رغبت في زيارة بعض الأشخاص ومنهم: الدكتور (حسن هويدي) الّذي كان طبيبا في دير الزور, وعرفني به الأخ (جميل توفيق الجوهرجي) العاني, وقد أصبح فيما بعد الدكتور حسن هويدي المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا, الّذي أصله فيما أعتقد أنه (راويّ).

وفي دير الزور وفي البو كمال ومناطق كثيرة في سوريا أسر كثيرة أصلها من

عانه وراوه, وهناك عوائل كثيرة مقسمة بين سوريا والعراق, وقد برز منهم أشخاص كثيرون, تولّى قسم منهم مراكز عليا, منهم مثلا الدكتور (يوسف زعين) الّذي تولّى رئاسة الوزراء في سوريا, ووالده تاجر من تجار (سوق الشورجة) في بغداد .

ولمّا استكملت مباحثاتي مع السوريين, عدت إلى القائم بعد أن أوصلني السوريون إلى الحدود العراقية, وبتّ تلك الليلة في بيت أحد الإخوان وفي الصّباح غادرت إلى بغداد.



الإتصال بالإخوان في البلاد العربية

رغبت قيادة الإخوان في العراق أن توثق علاقتها بالإخوان في قسم من الدول العربية, فكلفني الإخوان بالسفر إلى هذه الدول وكان ذلك في سنة 1962م, واستحصلت على جواز سفر بصفتي مديرا لدار النذير للطباعة والنشر التابعة للمطبعة الإسلامية, وكلتاهما تحت إدارة الإخوان, وإن كان عمل الإخوان في ذلك الحين سريا وساعدني بعض معارفي في الحصول على جواز سفر, لأن الموافقة على السفر في ذلك الوقت ليست سهلة, فسافرت عن طريق البر إلى الأردن واتصلت بالمراقب العام للإخوان المسلمين الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة وكانت بيني وبينه معرفة, إذ دُعي للمشاركة في المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في بغداد بتوجيه الزعيم عبد الكريم قاسم, ودعوته مع مجموعة من الإخوان إلى داري, فالتقيت به في عمان وأفهمته بمهمتي, وشرحت له الوضع العام في العراق, ووضع الإخوان وطلبت منه أن يرشدني إلى من يوصلني إلى جماعات الإخوان في سورية ولبنان ومصر فأعطاني توصية إلى الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية, وقال لي هو الذي سيوصلك بالإخوان في لبنان ومصر, فذهبت برا إلى دمشق فالتقيت بالدكتور مصطفى السباعي, وبينت له الغرض من الإلتقاء به وتباحثت معه فيما يتعلق بالوضع في سورية, وحدثته عن الوضع في العراق بصورة عامة, وعن وضع الإخوان, وأخذت منه توصية للإخوان في لبنان ومصر, فذهبت إلى لبنان وبعد أن وصلت إلى بيروت واصلت السفر إلى طرابلس, وفي الصباح ذهبت إلى مقر (جماعة عباد الرحمن) وكان الأستاذ فتحي يكن هو رئيس الجماعة, وهذه الجماعة تتبنى منهج الإخوان المسلمين, وبينت له الغرض من الإلتقاء به وجرى

بيننا حديث مفصل عن الوضع في لبنان وفي العراق, ووضع الإخوان في كلا البلدين, ثم عدت إلى بيروت واتصلت بجمعية المقاصد الخيرية وهي جمعية إسلامية سنية لها مدارس منتشرة في بيروت ولبنان, تهتم بالتربية الإسلامية وهي قريبة من مبادئ الإخوان المسلمين وحجزت إلى القاهرة في اليوم الثاني وهو اليوم الذي وقع فيه إنقلاب كميل شمعون الفاشل, فوصلت إلى القاهرة وهذه أول مرة أزور فيها مصر وتوجهت من المطار إلى مكتبة (وهبه) وتقع في شارع إبراهيم باشا بحسب توجيه الدكتور مصطفى السباعي ثم اتصلت بالأخ حمد عبيد الكبيسي [1] الذي كان يدرس في القاهرة وعن طريقه تم الإتصال بأخ مصري كان مكلفا بشؤون الإخوان في البلاد العربية وهذا حسب توجيه الدكتور مصطفى السباعي أيضا.

واجتمعت بهذا الأخ أكثر من مرة وأعطاني معلومات جمة عن وضع الإخوان في مصر في تلك الحقبة الصعبة من تاريخ الدعوة الإسلامية في مصر, وتم عن طريقه الإلتقاء بقيادات إخوانية على مستوى رفيع منهم الأستاذ فريد عبد الخالق عضو مكتب الإرشاد والأستاذ المحامي عبد اللـه رشوان, والأستاذ عثمان المجددي الأفغاني الأصل والذي اكتسب الجنسية المصرية هو ووالده سفير الأفغان السابق في مصر الشيخ صادق المجددي, وكان معي في هذا اللقاء الأخ هاشم الملاح الذي كان يدرس في كلية الحقوق جامعة القاهرة.ولمّا أكملت المباحثات مع الإخوان المصريين عدت إلى بيروت ومن ثم عن طريق البر ذهبت إلى الأردن وكان هناك مؤتمر إسلامي في القدس برئاسة الملك حسين بن طلال-رحمه اللـه- وقد دُعي إلى هذا المؤتمر علماء من العراق, على رأسهم الشيخ أمجد الزهاوي ودُعي أيضا الأستاذ الصواف الذي كان في السعودية فعزمت على

(1) الأخ حمد عبيد الكبيسي سبق ذكره عند الحديث عن الشيخ عبد العزيز السالم.

الذهاب إلى القدس, وكانت هي والضفة الغربية جزء من المملكة الأردنية الهاشمية, ولمّا وصلت إلى القدس وحضرت المؤتمر والتقيت بالأستاذ الصواف والشيخ أمجد الزهاوي والعلماء العراقيين الذين كانوا مدعوين إلى المؤتمر وجرى حديث مفصل عن وضع الإخوان في العراق مع الأستاذ الصواف ولمّا إنتهى المؤتمر عدت إلى عمان ومن ثم عدت إلى بغداد وقدمت تقريرا مفصلا عن رحلتي هذه إلى قيادة الإخوان.

الوضع بعد 14 تمّوز 1958م

كان الأستاذ الصّوّاف قد كلفني أنا والأخ (كامل محمد علي) رحمه اللـه ـ وهو أخو قاسم حمودي صاحب جريدة الحرية ـ لنذهب إلى أربيل ونأخذ أحد إخوة أربيل معنا لنحدد مكانا لمخيّم كشفي في منطقة (جومان), على طريق (حاجي عمران) بعد منطقة (كلالة), فركبنا في القطار إلى أربيل واصطحبنا الأخ (فيصل عبد القادر السكري) الذي تخرّج من كلية العلوم ـ قسم الكيمياء, وأخذ الدكتوراه من إحدى الدول الأوروبيّة، وعمل أستاذا في كلية العلوم ـ جامعة بغداد.

وتوجهنا في سيارة أجرة إلى منطقة جومان وتجولنا في المنطقة, وحددنا مكان المخيّم, بجانب مجرى وادٍ أشبه بالنهر الصغير، وقريبا من الطريق، وكان ذلك يوم 13 تموز 1958م, فبتنا تلك الليلة في المنطقة, وبعد صلاة الفجر من يوم 14 تموز وقبل أن تبزغ الشمس ذهبنا مرّة أخرى إلى المنطقة وتأكدنا صلاحها للمخيّم, وقلت لأخويّ: إذا فلنعد إلى أربيل بعد الفطور, فاقترحا عليّ أن نبقى في إحدى قرى المنطقة بعض الأيّام, فقلت لهما: إننا مرسلون من الأستاذ الصّوّاف بمهمة, وقد أنجزناها, فلنعد إلى أربيل ثمّ إلى بغداد, ونحن جلوس في المقهى لتناول الفطور مرّت السيارة التي أقلّتنا بالأمس, والشارع محاذي للمقهى, فتوقف السائق قليلا وقال لنا: ألا تعودون معي إلى أربيل؟ فقلت لأخويّ: فلنعد معه, ولكنهما رجواني أن أستجيب لرغبتهما, فصرفت السائق.

واستمرينا في تناول الفطور, وكان في المقهى كالعادة راديو, فسمعنا ضوضاء وكلاما غير مفهوم, فقلنا لصاحب المقهى واسمه(عثمان): (كاكا

عثمان) إفتح الراديو على بغداد, فقال: هذه بغداد, فقلنا له: لعلها (بغداد الحرة) التي كانت تبث من سوريا, وهي معادية للحكومة العراقية, وذلك في أوّل تأسيس (الجمهورية العربية المتّحدة), فقال: و اللـه هذه بغداد وليست الحرّة, فأصغينا قليلا وبشدّة, فقال أحدنا: يبدو أن هناك انقلابا في بغداد, وتأكدنا من وقوع الإنقلاب, وهنا وللمزاح قلت لأخويّ: هل تريدان أن تذهبا للقرية؟ فقالا: لا, يجب أن نعجّل في الذّهاب إلى أربيل فقلت لهما: ألم أقل لكما فلنذهب مع سائق الأجرة الذي طلب منّا أن نعود معه؟.

فوقفنا على قارعة الطريق بانتظار سيّارة, والطريق شبه مقطوع, فمرّت سيّارة (قلّابة) فأوقفتها وأركبت الأخوين في المقدّمة مع السائق, وركبت أنا في (بدي السيّارة) , وانطلقنا إلى أن وصلنا إلى (راوندوز) فوجدنا سيارة الأجرة التي أقلتنا بالأمس موجودة, فركبنا فيها وتوجهنا إلى أربيل, ونزلنا في أحد الفنادق, وبعد قليل جاء إخوة من (الموصل) يريدون أن يذهبوا إلى بغداد ليستفسروا عن هذا الإنقلاب, وكان على رأسهم الأستاذ (غانم حمّودات) مسؤول الإخوان هناك, فذهبنا معهم إلى كركوك والتقينا بالأستاذ المحامي (نور الدين الواعظ), ولي معرفة سابقة به منذ سنة 1954م, ولكنها معرفة طفيفة, فوجدناه رجلا مُلِمّا بالرجال, وأنه يعرف جميع قادة الثورة ويعرف (عبد الكريم قاسم) وعبد السلام عارف وأعضاء (مجلس السيادة) المُشكّل من ثلاثة أشخاص: الفريق (نجيب الربيعي) وهو سُنّي ـ رئيسا للمجلس, وهو شخص متديّن, و (محمد مهدي كبّة) الذي كان رئيس حزب الإستقلال, وهو شيعي, والسيد(خالد النقشبندي) كردي سنّي، وهذا المجلس يشكل التركيبة العراقية, وكأن المحاصصة الطائفية والعرقية متأصلة في المسيرة السياسية العراقية, ولم تكن بدعة ارتجلت بعد الإحتلال .

وبعد أن جلسنا معه الوقت الكافي توجهنا إلى بغداد بسيارة أجرة, ووصلنا إلى منطقة (المفرق) قرب بعقوبة, فأوقفنا الجيش لأن هناك منع تجوّل لا ينتهي إلّا في الساعة الخامسة صباحا, وسمعنا من بعض الجالسين كلاماً مجرحا موجعا لحركة الإخوان، ويبدو أن الشيوعيين قد بدأوا حملتهم ضد الإخوان من أوّل يوم نجاح الثورة, ولمّا حان وقت رفع حضر التجوّل انطلقنا إلى بغداد, فذهبنا إلى الأستاذ الصّوّاف فوجدناه في بيت نسيبه (العسكري) في منطقة (راغبة خاتون), وتناقشنا معه وسألناه عن موقفنا, فقال: نحن نؤيّد الإنقلاب وقد اتصلنا بهم وأبلغناهم ذلك, إلاّ أن الشيخ أمجد الزهاوي تحفظ, مخافة أن يفشل الإنقلاب كما في ثورة (رشيد عالي الكيلاني) في سنة 1941م .

وبعد أن تم استيضاحنا من الأستاذ الصّوّاف غادرت المكان وخرجت, وكانت المظاهرات والتجمعات تملأ شوارع بغداد, والناس مؤيدون للحركة التي صاحبتها أعمال همجية وغوغائية ذهب ضحيتها كثير من الأشخاص الأبرياء من العراقيين والأجانب, وخاصّة الأردنيون, فقد كان هناك اجتماع بين القادة الأردنيين وأركان الحكومة العراقية, لمواصلة المحادثات بصدد الإتحاد الهاشمي العربي الذي تم بين العراق والأردن، الذي تمّ بموجبه اختيار الملك (فيصل الثاني) ليكون ملكا على هذا الإتّحاد, والملك (حسين بن طلال) نائبا له، واصبح عنوان الإذاعة العراقية (اذاعة الإتّحاد الهاشمي), وجرى قتل الأسرة الحاكمة من رجال ونساء بصورة مؤلمة, وجرى سحل بعض الجثث في شوارع بغداد, منها جثة الأمير (عبد الإله بن علي) الذي كان وصيّا على الملك فيصل قبل تتويجه، ثم تم سحل جثة (نوري السعيد) بعد العثور عليه وقتله, فكانت ثورة دموية كان الشارع فيها في قبضة الشيوعيين وسيطرتهم .

وعلى الرغم من تأييد الإخوان للحركة وإصدارهم البيانات في ذلك, إلّا

أنهم واجهوا حملة عنيفة ضدهم وكأن الثورة إنّما قامت ضدهم وليس ضد الحكم الملكي, وقد اعتدي على كثير من الإخوان الذين يتحدثون في المساجد داعمين للثورة, ولمّا حدث حريق في (محطّة الكيلاني) للنفط قرب (ساحة الطيران)، أُشيع أن الإخوان هم الذين أشعلوا النار في هذه المحطة .

وانقسم الشعب العراقي إلى كتلتين: كتلة يقودها الحزب الشيوعي واليساريون، وكتلة تتألف من مجموع المناوئين للشيوعيين (تتألف من القوميين والبعثيين والإسلاميين والمستقلين), وتتميّز الكتلتان من هتافاتها وشعاراتها, فالشيوعيون وأحلافهم رفعوا هذا الشعار: (اتحاد فدرالي, صداقة سوفاتيّة), والجهة المناوئة لهم رفعت شعار: (وحدة وحدة عربية, فلتسقط الصهيونية) و (لا شرقية لا غربية, فلسطين عربية), وما شابه ذلك من شعارات, وهذا مرجعه من الإختلاف حول الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة, المُشَكَّلة من سوريا ومصر آنذاك, فالقوميون والإسلاميون يؤيدون الوحدة, والشيوعيون وحلفاؤهم لا يؤيدون الوحدة، وإنما يؤيدون اتحادا فدراليا, وهذه أول مرة يرفع فيها شعار (الفدرالية) في العراق.

وسيطر الشيوعيون على الشارع وعلى إدارة المعركة السياسية, وحصل صراع سياسي عنيف صاحبته أعمال عنف من قتل وسحل في بغداد ومحافظات أخرى، مثل كركوك والموصل ومدينة سامراء والناصرية, فقد وقع حادث بشع في مدينة الكاظمية, فقد تصدى الشيوعيون لشاب قومي اسمه (عبد الأمير عباس الطويل) وأجهزوا عليه في الشارع أمام الناس بقناني البيبسي كولا, وبعد أن فارق الحياة ربطوه بحبل وسحلوه متوجهين إلى الأعظمية, فلما شعر بهم أهل الأعظمية وقف الأخ الشاعر (وليد الأعظمي) وخطب في الناس, فوثبوا جميعا متصدين لهم على جسر الأعظمية, واستطاعوا أن يردوهم على أعقابهم

ناكصين, وأفضع حوادث العنف وقعت مرتين, المرة الأولى في الموصل أعقاب فشل (حركة الشوّاف) في آذار 1959م, والثانية في كركوك عند الإحتفال بالذكرى الأولى لثورة 14 تموز 1959م, وهذه الأخيرة هي التي دفعت الزعيم عبد الكريم قاسم إلى إيقاف دعمه للشيوعيين بل العمل على محاربتهم .

ففي آذار 1959م توجه الشيوعيون في قطار سمّوه (قطار السلام) إلى الموصل وهو لا يخلو من التحدي لأهل الموصل, إذ كان التوجه فيها قومي عربي إسلامي, وفي أثناء وجود الشيوعيين في الموصل حدثت ثورة القائد العسكري لمنطقة الموصل اللواء (عبد الوهّاب الشواف) الذي أصله من منطقة (كبيسة) في محافظة الأنبار, وقريب السيد(عبد العزيز الشواف) الذي كان من الشخصيات العراقية المرموقة, وأظنّه تولى رئاسة مجلس النواب في حقبة من الحقب, وبعد فشل الثورة التي كانت مدعومة من الرئيس (جمال عبد الناصر) عن طريق سوريا قام الشيوعيون بأعمال همجية واستهدفوا قتل كثير من القوميين والبعثيين والإسلاميين, وعلّقوا بعض الجثث على أعمدة الكهرباء, منهم العالم (هاشم عبد السلام), وبرز في تلك المدّة في الموصل من الشيوعيين اسم (عبد الرحمن القصّاب), وبرز من البعثيين والقوميين اسم (أياد ثابت) وأخته (يسرى) .

وحصل في بغداد هيجان واسع وقامت مظاهرات كبيرة يقودها الشيوعيون, وهاجموا سفارة مصر في منطقة (الوزيرية) التي هي الآن (أكاديمية الفنون), ورفعوا شعارات مناهضة لمصر, منها (شيلوا[1] سفارتكم, ما نريد وحدتكم), والأمر الغريب أن الأستاذ الصّوّاف قد استهدف من قبل المتظاهرين الذين يقودهم الشيوعيون ورفعوا شعارا ضده كرر كثيرا, وهو بأعقاب رفع

(1) (شيلوا) معناها في العراقية (احملوا), ويعنون غلق السفارة وقطع العلاقات مع مصر .

الشعار الذي ذكرته آنفا الذي استهدف مصر والوحدة, وهو (انعل ابو الصّوّاف لابو وحدته, ميّة ألف دولار جوّة جبّته), ولا أدري ما الربط بين الأستاذ الصّوّاف والوحدة ومصر, والجميع يعرف أن هناك خلافا مستعصيا بين الإخوان والرئيس جمال عبد الناصر وحكّام مصر.

وهجمت الجماهير الغوغائية على مقر (جمعية إنقاذ فلسطين) في باب المعظّم, واعتدوا على بعض الموجودين هناك , منهم الأخ الأستاذ (فليح السامرائي) الذي أصبح فيما بعد سنة 1960م سكرتير الحزب الإسلامي, والأخ (نور السامرائي) رحمه اللـه, الذي يعمل في سدنة الحضرة العسكرية في سامراء, وحرقوا الكتب, وقيل أنّهم حرقوا نسخا من القرآن, ربما يكون ذلك قد حدث بصورة عفوية .

ولا بدّ لي أن أعرج على حادثة وقعت لي وأنا طالب في الصف الأول
من كلية التربية, وكان الصراع بيننا وبين الشيوعيين صراعا فكريّا وسياسيا, ولكنه في بعض الأحيان لا يخلو من العنف والأعمال المنافية لحقوق الإنسان وللقيم الأخلاقية, وكنا يوم ذاك نسكن في القسم الداخلي, ولم نجد غرفة في
أبنية القسم الداخلي المنتشرة في منطقة الوزيرية, القريبة من كلية التربية,
ولكننا وجدنا (كراجا) في قسم داخلي قرب السفارة التركية والسعودية, في بيت كبير من بيوت الوزيرية, الّذي اتُّخِذَ قسما داخليا, فاتفقنا مع إدارة القسم الداخلي بأن نسكن في هذا الكراج بعد أن يُؤثث بالأسرّة ومراتب المنام, ونحن خمسة طلبة في الصف الأوّل من أقسام مختلفة وميول متفرقة, فأنا في قسم اللغة العربية, والإخوان (عدنان عبد الصمد البياتي) تركماني وهو من كركوك, و(نشأت عبد الغفور) كردي أصله من السليمانية ويسكن كركوك, هما في قسم الجغرافيا, و(علي فاضل سلطان) بعثي من الكوت, في قسم الجغرافيا أيضا,

و(عبد الرسول قمر الدين) أصله من لبنان, قريب من الشيوعيين, وفي قسم الجغرافيا كذلك, وكنّا أنا ونشأت وعدنان عبد الصمد من الإخوان المسلمين, وعلى الرغم من اختلافاتنا السياسية والفكرية كنّا نعيش في جوٍ مملوءٍ بالأخوّة والمحبة.

وفي ليلة من ليالي الشتاء البارد, داهمت غرفتنا مجموعة من المقاومة الشعبية الشيوعية, معهم بعض أفراد الشرطة, وقاموا بتفتيش مستلزماتي وكتبي, فلم يعثروا على شيء فانصرفوا, وبعد ذلك قلت لمن معي: إنهم سيعودون مرة أخرى, إذ غرضهم أن يُلقوا القبض عليّ, فلا بد من حجة, فطلبت منهم أن يناموا, وأطفأت الأنوار, ثم عمدت إلى مجموعة من المنشورات كنت أخبّئها في مكان من الغرفة, ورميتها خلف السياج في بيت السفير الهندي الملاصق للقسم الداخلي, وحوالي الساعة الثانية جاءت المجموعة نفسها مرة أخرى, وفتشوا بدقة فوجدوا منشوراً في أحد جيوب بنطلوني, صادر من حزب يحمل عنوان (الكفاح العربي), ووجدوا ورقة فيها أسماء وإزاؤها مبالغ, فقالوا: هذه اشتراكات حزبية ؟ فقلت لهم: أمّا المنشور فقد عثرت عليه في الشارع وهو صادر من حزب قومي, وتعرفون جيدا أنني صاحب توجّه إسلاميٍّ ومن الإخوان, أمّا الورقة التي فيها جمع مبالغ فهي مصروفات سفرة إلى (الحبانيّة) قامت بها شعبتنا بموافقة الإتّحاد العام للطلبة الّذي يسيطر عليه الشيوعيّون.

فلم يقبلوا حجتي فاقتادوني إلى مركز شرطة الوزيرية المجاور لقسمنا, والواقع في الشارع القادم من منطقة (الصّرّافية) الذّاهب إلى (الجامعة المستنصرية) مقابل مقبرة ضحايا الإنجليز في الحرب العالمية الأولى, ويفصل بينه وبين الشارع السكّة الحديدية القادمة من محطة غربي بغداد في الكرخ, وكان الجو باردا وممطرا, وسلموني إلى مدير مركز الشرطة الخافر, ثمّ انصرفوا بعد أن أسمعتهم كلاما فيه استهزاء بهم ونقد لتصرفاتهم, وجرى حوار بيني وبين مدير

المركز, وقال: تدافعون عن الشيوعيين لأنّكم وقفتم معهم في العهد الملكي, فقلت له: إننا ضد الشيوعيين, وأنت سمعت كلامي معهم , فأبدى تعاطفا معي, فكتب طلبا إلى القاضي الخفر يطلب فيه إطلاق سراحي بكفالة, ونادى على أحد الشرطة وقال له: لا تأتِ إلّا ومعك جواب الكتاب .

فلم يأتِ الجواب إلّا قبل الظهر بقليل, فسألني مدير المركز عن مكان الكفيل, فقلت له: في الأعظمية, فأرسلَ معي شرطيا وذهبنا إلى مركز شرطة الأعظمية, واتصلت بأحد الإخوان وهو (عطا اللـه داود العاني) الأخ الأكبر للدكتور (عبد القهار العاني) الأستاذ في كلية الشريعة, فأكمل إجراءات الكفالة, فعدت إلى القسم الداخلي وتسورت سور بيت السفير الهندي, وجمعت المنشورات وأخذتها مرة أخرى إلى الأعظمية, وسلمتها للإخوان هناك, وبِتُّ مع مجموعة من الطلبة الإخوان في شقّة لهم, أذكر منهم الأخ الصديق (ميمون الكبيسي) الذي كان طالبا في كلية الآداب, وفي صباح اليوم الثاني كنت واقفا أمام جامع أبي حنيفة, فمرّ بي طالب من كلية الآداب, قوميّ, اسمه (علاء البكري) من إحدى محافظات الجنوب, وقال: ياعدنان لا تذهب إلى الكلية فإن الشيوعيين قد اعتدوا على الطلبة المناوئين لهم, واعتدوا عليّ, فإذا ذهبت سيُعتَدى عليك, فقلت: إنني سأذهب مهما يكن من شيء, إذا لم نذهب نحن فمعنى ذلك إننا نترك الكلية لهم .

وفعلا بعد العصر توجهت للكلية, وكان معي كتاب (شرح ابن عقيل) لأنه كان عندنا امتحان مادة النحو في اليوم اللاحق, ودخلت فناء الكلية في الوزيرية, قرب باب المعظم, يفصل بينها وبين الشارع نفق يمر من فوقه القطار, والذي أُزيل منذ أن توقف القطار الذاهب إلى خانقين وكركوك أيّام الحرب العراقية ـ الإيرانية.

وأنا متوجه إلى المكتبة في مؤخرة حديقة الكلية, كان يمشي خلفي طالب

اسمه (حسين علي السعيدي) ويقول رافعا صوته: ليسمع الآخرين, هذا كان موقوفا, هذا كان موقوفا, ولكن لم يعبأ به أحد, لا سيّما المكان كان شبه خالٍ, وبعد أن جلست في المكتبة جاءني هذا الطالب وقال لي: إنّ رئيس الإتّحاد يطلبك, فقلت: أنا أذهب إليه, ولم أذهب, وكان رئيس الإتحاد آنذاك الطالب (مهدي الحافظ)[1] الذي كان نائب رئيس الإتحاد لطلبة العراق ـ وكان الرئيس لعموم الاتحاد أيضا في كلية التربية وهو الطالب (مهدي عبد الكريم).

فجاءني هذا الطالب مرة أخرى فقلت له: سأذهب إليه, وجاءني مرة ثالثة, فقمت وتوجهت إلى مقر رئيس اتحاد الطلبة, وكان في غرفة مجاورة لمطعم الكلية, تقيم فيها لجنة اتحاد الطلبة ولجنة صيانة الجمهورية, وهي لجانٌ مبثوثة في كل المؤسسات الحكومية, وعملها رصد المناوئين للشيوعية, فدخلت على مهدي الحافظ وجلست أمامه, وللأمانة كان طالبا مهذّبا وخلوقا وتعامل معي بكل رفق, وقال: ياعدنان, نحن لسنا مسؤولين عن حياتك وأنت تتحدى الطلبة, فقلت له: إنني رجل مسلم, والموت والحياة بيد اللـه, وكان كلامه على الرغم مما فيه من الرّقة والعطف, لا يخلو من التهديد, وطلب منّي أن أوقع على ورقة, ولمّا قرأتها لم أجد فيها ما يخالف مبادئي وأفكاري, فوقّعت وخرجت, وكان الشهر شهر رمضان, وكنّا نصلّي المغرب قبل دخولنا إلى المطعم للإفطار, فدخلت إلى المطعم وجلست على إحدى الموائد, ولمّا حان تقديم الطعام رأيت أنّ تجمّعا كبيرا احتشد أمام باب المطعم, فامتلكني شعور أنهم يقصدونني, وكان بجانبي طالب أظنّ اسمه (عبد الإله) من محافظة الناصرية, وكان يلعب معنا كرة السلّة, فالتفت إليّ وقال لي بلهجة التهديد: أين تفرّ؟ فلم أعبأ بكلامه, وجاءتني طالبة بعثية من الرمادي اسمها (سهام شهاب محمد أمين) توفيت في حادثة

---

(1) مهدي الحافظ: هو الدكتور مهدي الذي مثّل الشيوعيين في الجبهة الوطنية التي تألّفت في زمن البعث, وكان عضوا بارزا في البرلمان السابق, وقد تخلى عن الشيوعية منذ عدة سنوات, وتربطني به روابط صداقة.

سيّارة, وقالت: ما الذي ينبغي أن نفعله ؟ فقلت لها: لن تستطيعوا أن تفعلوا شيئا, ثمّ جاءني الأخ (حسام قوام الدين الكليدار)[1] وكان في الصف الرابع ـ قسم التاريخ, وقال لي: ماذا نفعل ؟ وكان شهما وشجاعا, فقلت له: اذهب إلى المطبخ, وانظر هل الباب الخلفي المفضي إلى الخلاء الذي خلف كلية التربية السالك إلى منطقة الشيخ عمر مفتوحا ؟ فإني إذا خرجت منه على استعداد للتصدي لمن يلحق بي, وكنت آنذاك شابًا قويًا جلدا, عصبة من الرجال لن تستطيع أن تقف أمامي, فضلا عن الإشاعات حولي أنني لا أخلو من السلاح, فعاد الأخ حسام وذكر لي أن الباب موصد بقفل ضخم, ثمّ جاءت مجموعة من الطلّاب الشيوعيين أعرفهم, وفيهم طلبة أكراد شرفاء أثق بهم, وطلبوا منّي أن يفتشوني فاستجبت لهم, فلمّا لم يجدوا شيئا أخذوني إلى غرفة الإتحاد, وكانت هناك مجموعة من الطلبة الشيوعيين في الغرفة منهم طالب من أهل الرمادي, تربطني بأهله علاقة متينة, اسمه (رؤوف عبد الرزاق العاني)[2], فأعطيته كتاب شرح ابن عقيل ليحتفظ به, لأنني خفت عليه, لأنني أيقنت أنه سيصيبني مكروه, فسألوه: ما رأيك بعدنان؟ فقال بلا حياء ولا خجل: إنّه متآمر, وحرّض على حرق مكتبة (أنصار السلام) في الرمادي, وقتل المناضل (قدوري ناصر الآلوسي), وهذه المعلومات كلّها كذب وافتراء،ثمّ التفت إليّ الطالب (محمد مهدي الصحاف)[3] ورفع بيده آنية زجاجية سميكة وقال لي: أضربك بها، فأنت كنت ضدنا منذ كنّا طلّابا في دار المعلمين الإبتدائية، فأجبته مستهزئا: إنّك

---

(1) نال الدكتوراه في التاريخ الإسلامي أظن من بريطانيا, وعمل في كلية الآداب وكان من الأساتذة المتميزين, ثم عمل في جامعة الملك عبد العزيز في جدّة, ثم انتقل إلى جامعة الشارقة في الأمارات العربية ويعمل فيها الآن.

(2) شيوعي من أهل الرمادي , خرج من الرمادي بعد انحسار المد الشيوعي, وانقطعت معرفتي به.

(3) لا علاقة له بمحمد سعيد الصحّاف الإعلامي العراقي الذي اشتهر أيام الغزو الأمريكي للعراق بعبارة (العلوج).

تستطيع أن تفعل ذلك, ثمّ رفعوا سماعة الهاتف واتصلوا بمركز شرطة الوزيرية, وقالوا لهم: ابعثوا مجموعة من الشرطة, فقد ألقينا القبض على متآمر معه سلاح ومناشير، وأنا انظر إليهم بعدم اكتراث, وفي نفسي أعجب من هذا الكذب الصريح, فجاء مأمور المركز الذي سبق له أن حقق معي, ومعه شرطيّان, وطلب منّي أن أنهض وأصطحبه إلى مركز الشرطة, فرفضت وقلت له: و اللـه إذا خرجت معك لَيُمَزِقونا أنا وأنت والشرطة, لأنّ هناك تجمّع كبير من الطلبة الشيوعيين خارج غرفة الإتحاد .

فاتّصل المأمور بمركز الشرطة وطلب منهم أن يمدّوه بعشرة شرطيين آخرين, وفعلا بعد قليل جاؤوا فخرجت معهم من بين صفّين من الطلبة الشيوعيين, ولمّا أصبحت خارج المكتبة وعلى الدرجات المفضية إلى فناء الكلية, إنهال عليَّ الشيوعيّون بالضرب من الخلف وسط الصياح والضجيج, وهجم عليَّ آخرون من الأمام, وتفرق الشرطيون, وأنا صامدا أصيح: اللـه أكبر , أو لا إله إلّا اللـه, ولم أفقد توازني, فقررت من أجل حماية وجهي أن أرمي نفسي على الأرض وأضع وجهي نحو الأرض لحمايته, وعند ذاك ظنّ بعضهم أنني مِتُّ, فصاحوا: مات مات, فالتف حولي على شكل دائرة مجموعة من الطلبة الشيوعيين العرب والأكراد, ليحولوا ـ على ما أعتقد ـ دون سحلي, ولمّا شعروا أنني لست بميّت, أخذوا يضربونني بأرجلهم من بين أرجل المحيطين بي, وفي هذه الأثناء سمعت صياحا وهرجا وأحذية تضرب الأرض بشدّة, وما شعرت إلّا واثنان يمسكان بيديّ ويرفعاني من الأرض, فإذا بهم من أفراد الإنضباط العسكري, ثمّ رموني في سيارة حمل (لوري) أو (شاحنة نقل), فأنقذوني من قتل محقق، وتوجهوا بي إلى وزارة الدفاع وأجروا معي تحقيقا سريعا, وكان كثير من الضباط يُظهرون التعاطف معي, وكانت الدماء تغمر وجهي وملابسي, ثمّ نقلوني إلى مستشفى (الشعب) في منطقة (العيواضية) قرب باب المعظم, وكانت هذه المستشفى تسمى مستشفى (مير إلياس), وهو طبيب يهودي ثمّ تحوّلت إلى

مستشفى حكومي، وبعد أن أجروا لي العلاج المستعجل, نقلوني إلى (المستشفى الجمهوري) في باب المعظّم, الذي كان يسمّى عند عامّة العراقيين بـ (المستشفى المجيدي), فأصبح يسمّى في التخاطب الرسمي المستشفى الجمهوري, وكل المستشفيات التي تحمل هذا العنوان تحوّلت إلى المستشفى الجمهوري .

وفي صباح اليوم التالي جاءت مجموعة من طلبة كلية الطب تزور المرضى, وكان ضمنهم الأخ (محمد صالح محمد سعيد العاني), وكان طالبا في الصف السادس من كلية الطب, فناديته, فلم ينتبه لندائي, فاضطررت أن أرفع صوتي, وقلت له: أنا أخوك عدنان, فجاء إليّ وسألني: ما الذي حدث لك؟ فأخبرته بإيجاز وطلبت منه أن يتّصل بإخواني في كلية التربية ويخبرهم أنّي حَيّ, وأني راقد في المستشفى الجمهوري, فجاءني بعض الإخوة منهم الأخ الصديق (حسام سعيد النّعيمي)[1], والزميل (محمد قاسم مصطفى)[2] أبو هوازن ـ رحمه الـلـه ـ لم يكن من الإخوان, وهو أوّل من تعرفت عليه من طلبة قسم اللغة العربية في مرحلتنا للعام الدراسي 1958م ـ 1959م, وكنّا نذاكر معا أيام الإمتحانات, ويبدو أن هناك إشاعة سَرَتْ بين الطلبة أنّي مِتُّ, فلما علم أصدقائي من الإخوان وغيرهم أنني حيّ فرحوا, وزال عنهم الغم والهم, وعلمت بعد ذلك بما قام به الأخ حسام قوام الدين الكلدار من عمل شهم بعد لقائي به في المطعم, أنه ذهب إلى وزارة الدفاع وطلب منهم أن يرسلوا قوة إلى كلية التربية, لأنهم إن لم يفعلوا سيقوم الشيوعيون بقتل وسحل أحد الطلبة, وشعار السحل بالحبال يومذاك يجري في كل مكان, ويهتف بهتاف (ماكو مؤامرة تصير والحبال

(1) سيرد ذكر الأخ حسام في مواضع أخرى, ولي معه مشاركات كثيرة في العمل والسفر والدراسة.

(2) محمد قاسم هو صديق عشنا سوية في كلية التربية في صف واحد إلى أن تخرّجنا, وأكمل بعدي مرحلة الدكتوراه من كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ واشتغل في جامعة الموصل, ثم ذهب إلى اليمن أيام الحصار, وعاد إلى جامعة الموصل وتوفي بعد الإحتلال.

موجودة), فضلا عن عدّة وقائع وقعت منذ فجر ثورة 14 تموز صاحبتها حوادث سحل بالحبال.

وبعد أن رقدت في المستشفى أيّاما قليلة, خرجت وتوجهت إلى الفلوجة, وكانت أختي تسكن هناك, وأوصلت خبرا إلى أهلي أمّي وزوجي وأولادي أن يأتوا إلى الفلوجة, فلمّا التقيت بهم جميعا أخبرتهم بما جرى لي, وأن الـلـه سبحانه وتعالى قد أنقذني من ذلك, وبعد أن مكثت يوما أو يومين عدت إلى بغداد, ولما رأيت أن الوضع قد هدأ التحقت بالكلية.

وقد سجّل الأخ (محسن عبد الحميد)[1] الّذي كان طالبا في الصّف الرابع ـ كلّية الآداب ـ قسم اللغة العربية هذه الحادثة تحت عنوان (مؤامرة في مطعم الكلّيّة), ونشرها في حينه في مجلّة (الشّهاب) اللبنانية التي تصدر في بيروت.

ولم تؤثّر هذه الحادثة على نشاطي وعملي الدّعوي والسّياسي, وكُنّا في كلية التربية: إسلاميين وقوميين وبعثيين ومستقلين, متضامنين بوجه الشيوعين الفوضويين.

(1) الأخ محسن عبد الحميد: كردي من كركوك, نال درجة الدكتوراه من كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية ـ جامعة القاهرة , بعد 1970م, وعمل في كلية الشريعة في بغداد, وانتدب للتدريس في إحدى جامعات المغرب, وهو باحث إسلامي أسهم في نشر الثقافة الإسلامية مؤلّفا ومُتحدثا, وألقى محاضرات في كثير من مساجد بغداد وغيرها, ترأس الحزب الإسلامي العراقي بعد احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية, وشغل منصب عضو في مجلس الحكم ممثلا لأبناء السنّة, ثم نُحّيَ عن رئاسة الحزب الإسلامي, وهو الآن رئيس مجلس الشورى في الحزب, ويعيش في بغداد.

الدِّراسَةُ فِي كُلِّيَّةِ التَّرْبِيَةِ وَمَا صَاحَبَها مِنْ أَحْداثٍ

لمّا قُبلت في كلية التربية بعد خدمة سِتّ سنوات في التعليم الإبتدائي، وكنت معلما في مدرسة (العزّة الإبتدائية) في الرمادي, والتي كان اسمها في العهد الملكي (مدرسة الفيصلية), قدمت طلبا لنيل إجازة دراسية فرُدَّ طلبي لأنه لم يكن في الملاك إجازات دراسية, فقابلت مدير التربية وأظن اسمه (عبد اللـه عبد القادر) من أهل البصرة, وكان شيوعيا, فأراد أن يساعدني, فقال لي: قدِّم طلبا للنقل إلى بغداد وأنا سأساعدك في النقل, فشكرته وتقدمت بهذا الطلب, فتمّ نقلي إلى بغداد, وعُينت في مدرسة (المنذرية) في الأعظمية, في بناية دار مستأجرة من السيد (طاهر) أبي الضابط العراقي المعروف (وصفي طاهر) مرافق الزعيم عبد الكريم قاسم, في الفرع الواصل بين سوق الأعظمية و(شارع عشرين) الذي كان يسمى (شارع الشباب), وكان الدوام فيها على وجبتين ـ صباحا وبعد الظهر ـ لقلة غرفها, وهذا النظام كان سائدا في العراق, ويسمى النظام المزدوج, أن تكون المدرسة الواحدة مقسمة على وجبتين واحدة صباحا والثانية بعد الظهر, أو تكون هناك مدرستان تداومان في بناية واحدة, حكومية أو مستأجرة, وهذا ساعدني في الدوام في الكلية, وكنّا مجموعة من المعلمين حوالي خمسين معلما نداوم في كلية التربية, وكثيرا ما نُهدد من قبل وزارة التربية, فتصدر أوامر بمنع الجمع بين التدريس والدراسة .

فقدمت طلبا لمنحي إجازة دراسية, فاستجيب لطلبي, وقبيل بدء الدوام اتصل بي بعض الطلبة المعلمين الشيوعيين المنتمين للإتحاد العام لطلبة العراق, وقالوا: نريد أن نقدم طلبا لوزارة التربية لنقلنا إلى المدارس المسائية, وقالوا لي: ليس في الطلب أي عبارات سياسية, ونحن نعلم أنك إن وقعت سيوقع كثير من المعلمين, فيشاركوا في التوقيع, فقرأت الطلب فوجدته كما قالوا طلبا عاديًا فوقعت عليه, ووقع بعد ذلك كثير من المعلمين, فقدمنا الطلب إلى الجهات

الرسمية, فتمّ نقلنا إلى المدارس المسائية, وعند ذاك قدمت طلبا لإلغاء الإجازة الدراسية, لأن المتمتع بالإجازة يحسب له نصف راتب ويحسب له نصف خدمة, فتم نقلي إلى (المدرسة الريفية النموذجية) الكائنة في أول (الحرية) خلف السكة الحديد المتجه للموصل ومقابل سيف[1](عبد الهادي الجلبي) والد الدكتور (أحمد الجلبي) السياسي العراقي المعروف, والذي دفع حكومة بوش إلى غزو العراق الذي كانت نتيجته تدمير العراق, وصاحب فكرة اجتثاث البعث بالتعاون مع الجنرال الأمريكي (برايمر) صاحب فكرة حل الجيش العراقي والأجهزة الأمنية, وكان هذا في حقيقة الأمر هو اجتثاث ابناء السنة وتدمير الدولة العراقية .

ولما التحقت في هذه المدرسة المسائية, فوجدت أن دوامي فيها قد يسبب لي مشاكل, فالمدرسة في منطقة للشيوعيين فيها تأثير وقوة, خاصة كانت قريبة من الكاظمية التي كانت بؤرة شيوعية, فقدمت طلبا لمديرية التربية شرحت فيه ظروفي وعلاقتي المتأزمة بالشيوعيين, وطلبت نقلي إلى مكان آمن, فرد طلبي, ولم تتم الموافقة عليه, ولكن بعد شهر جاء أمر نقلي إلى مدرسة (النبوغ) الكائنة خلف (سينما بغداد) في محلّة (علاوي الحلة) غرب بغداد, فالتحقت بها على الرغم من أن المنطقة التي تحيط بها منطقة مسيطر عليها من قبل الشيوعيين, وبعد دوامي فيها اسبوعا واحدا جاء المدير وخاطب المعلمين في غرفتهم, وقال: إنني سأطلب من التربية أن تنقل أحدكم, لأن عددكم فائض, فقلت لأحد زملائي ومعارفي المعلم ـ آنذاك ـ (فاضل صالح السامرائي)[2]: أنا سأُنْقَل, فقال لي:

---

(1) مخزن كبير لخزن الحبوب.

(2) نال الأخ فاضل صالح السامرائي درجة الدكتوراه من جامعة عين الشمس في القاهرة, وقبلها نال درجة الماجستير من جامعة بغداد, وعين في كلية التربية مدرسا للنحو, وهو من أرفع مدرسي النحو تزاملنا في كلية التربية قسم اللغة العربية, وكان يسبقني بمرحلة دراسية واحدة, ثم عملنا سوية في كلية الآداب من سنة 1971م إلى سنة 1994م, ثم التحق أيام الحصار للعمل بجامعة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة وهو الآن متقاعد في العراق.

كيف علمت؟ فقلت له: أنا آخر معلم يلتحق بالمدرسة، ولم أُكلّف بالتدريس، وفعلا جاء الأمر بنقلي إلى مدرسة (الشوّاكة) المسائية الكائنة في نهاية محلة الشواكة، قرب السفارة البريطانية، والشواكة أيضا من المناطق المسيطر عليها من قبل الشيوعيين، وهذا في العام الدراسي 1959م ـ 1960م، فداومت وكان جميع المعلمين والمدير من أصحاب التوجه القومي والإسلامي سواء أكانوا سنة أم شيعة، وفي الشهر الرابع من السنة نفسها 1960م أي في نهاية العام الدراسي، ونحن جلوس في غرفة المعلمين قبل الساعة الخامسة مساء، والتدريس يبدأ في هذه الساعة وينتهي في الساعة الثامنة مساء، جاء شخص فدخل إلى الغرفة وسلم، فقال: من المعلم عدنان ؟ فقلت له: أنا، فأعطاني كتابا صادرا من مدير تربية الكرخ، ينص على نقله إلى مدرسة الشواكة المسائية، ونقلي مكانه إلى مدرسة (المسعودي) في منطقة الرحمانية في الكرخ، وكان اسم حامل الكتاب (عبد الحسين مبارك علك)[1]، فأخذت الكتاب وذهبت إلى المدير (طالب العاني) أبي جمال، وكان قوميا، فأعطيته الكتاب وقلت له: كيف تفسر هذا النقل ونحن في أواخر العام الدراسي؟ فقال: لا أعرف له تفسيرا، فقلت: إن هذا المعلم شيوعي، ولما ذهب إلى المدرسة هجم عليه أهل المنطقة فهرب، وذهب إلى مدير تربية الكرخ، وقصّ عليه الأمر، فقرر نقله مكاني ونقلي مكانه، فقال: ربما يكون هذا الأمر صحيحا.

ولما ذهبت إلى مدرسة المسعودي وسجلت مباشرتي، سألت المدير وكان اسمه (ناجي دبو الهيتي) المعروف بأبي رجاء، وكنت أعرفه، وسألته عن سبب هذا النقل، فذكر الأمر كما حدسته وخمّنته.

(1) الذي تخرج فيما بعد من كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية، ونال الدكتوراه من كلية الآداب في إحدى الجامعات المصرية، وعمل في جامعة البصرة، وقد التقيت به فيما بعد في بغداد، وفي جامعة البصرة حينما ذهبت إليها زائرا سنة 1987م أيام الحرب العراقية الإيرانية.

وأصابت الشيوعيين انتكاسة كبيرة من بعد خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم في كنيسة (مار يوسف) الأرمنية في (ساحة الطيران) في الباب الشرقي, الذي هاجم به الشيوعيين, وسمّاهم الفوضويين, في الذكرى الأولى لثورة 14 تموز, وذلك بسبب الأعمال الهمجية المخالفة لكل المعاني الإنسانية, التي قام بها الشيوعيون في كركوك عند احتفالهم بذكرى انتصار الثورة, فوصفهم بأنهم قتلوا الأبرياء, ودفنوا الأحياء, وأتوا بأعمال إجرامية لا تقلّ عمّا فعله هولاكو في بغداد, وكان جلّ الذين تعرضوا لأعمال العنف من الإخوة التركمان المناهضين للشيوعية, ومن الإسلاميين عربا وتركمانا, وعلى أثر ذلك أصدر اللواء (أحمد صالح العبدي) أمرا بمنع ارتداء الزي العسكري من قبل المقاومة الشعبية خارج مقرّات التدريب, وكانت هناك جريدة باسم (الثورة) لصاحبها (يونس الطائي) صديق الزعيم عبد الكريم قاسم, ومن الموالين له, فبدأت تكتب ضد الشيوعيين باسم الفوضويين, وأذكر أن أول مقالاتها الإفتتاحية كانت تحمل عنوان (الصداميون) وهو يقصد الشيوعيين, وكان هناك لواء أظن اسمه (صالح زكي) مديرا للسكة الحديدية, ينشر مقالات مؤيّدة للشيوعيين في جريدة (اتحاد الشعب) الشيوعية, فاستدعاه الزعيم وقال له: مازلت تكتب مقالات تؤيد الشيوعية! إترك ذلك, فقال له بعبارة عامّيّة وهي مشهورة لدى من يواكبون الأحداث: (ما كنت أعرف يا سيدي أنك بدّلت الكير[1]), ثمّ بدأ يهاجم الشيوعيين.

وحدث تغيّر على الشارع العراقي, فأصبح الشيوعيّون مطاردين في كثير من مناطق العراق ـ بغداد وبقية المحافظات ـ وأصبح الشيوعي إذا ظهر في الشارع ـ في الأعظمية والكرخ والفضل والرمادي والفلوجة والموصل ـ يلاحق

(1) الكير: كلمة عراقية عامية, معناه محوّل السرعة في السيّارة.

من قبل الأهالي وهم يصيحون بأعلى أصواتهم: شيوعي شيوعي, وكانت هناك جريدة اسمها (بغداد) يصدرها رجل اسمه (خضر العباسي), غير معروفة, تعتمد على الإعلانات الحكومية, وأعتقد أنه مرتبط بالأجهزة الأمنيّة, وأعرفه مُذْ كنّا طلّابا في دار المعلمين الإبتدائية, لأنه التحق للدراسة معنا, ولكنه لم يستمر, وترك الدراسة, فسرّبت له الأجهزة الأمنية قائمة بأسماء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي, وفيها أكثر من يهودي أعضاء في اللجنة, فانتشرت الجريدة وغلا ثمنها, ونَقَل صاحبُها مقر توزيعها إلى الأعظمية, وواصل نشر المقالات ضد الشيوعية, وحدثت فجوة كبيرة بين الحكومة والشيوعيين, وحصلت متابعة لهم من قبل الشرطة, وجرت اعتقالات كثيرة فانحسر المد الشيوعي, وأعتقد أن الذي قضى على الفكر الشيوعي في العراق هو الزعيم عبد الكريم قاسم, وكان لخطابه في كنيسة (مار يوسف) للأرمن أثر كبير في انكسار الشيوعيين، ولا سيّما عبارته المشهورة: (أنا لا ترهبني الأفكار الرأسمالية أو الديمقراطية أو الشيوعية, أنا عربي مسلم), وكانت خطابات الزعيم عبد الكريم قاسم ذات تأثير كبير على الشارع العراقي, فحوّلته من مؤيِّد للشيوعيين إلى معادٍ لهم ومناهض.

وكان للشيوعيين قوة كبيرة, وهناك حادثتان حصلتا في بغداد تشيران إلى قوة الشيوعيين: الأولى: انه في يوم 1959/5/1م وهو أول عيد للعمّال في العراق, تجمّع الشيوعيون في بغداد واتخذوا لهم منطلقا من ساحة (الميدان), وساروا بمظاهرات صاخبة تهتف بهتافات شيوعية, ورفعوا شعارات مؤيدة للزعيم ومن جملة هتافاتهم: (سبع ملايين تريد حزب الشيوعي بالحكم), وكان سكان العراق يومَذاك سبعة ملايين نسمة, و(عاش زعيمي عبد الكريم, حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي) و(اعدِم, اعدِم, جيش وشعب يحميك اعدِم), وكانوا يطالبون بإعدام رشيد عالي الكيلاني وعبد السلام عارف, و(ماكو مؤامرة تصير والحبال موجودة), ويعنون بذلك حبال السّحل, وكانوا يرفعون شعارات

مناوئة للبعثيين, ويعنون بها كل من يناهضهم ويرفض أفكارهم من أبناء الشعب العراقي, وكان الزعيم واقفا على الشرفة التي مازالت موجودة في واجهة وزارة الدفاع القديمة المطلّة على شارع الرشيد, والمتظاهرون يمرّون من أمامه, وبقيت المظاهرات والجموع محتشدة في جميع شوارع بغداد إلى وقت متأخِّر من الليل, وحاولتْ هذه الجموع أن تعبر إلى جانب الكرخ, عن طريق جسر (الشهداء), فتصدّى لها أبناء الكرخ من مختلف التوجهات القومية والبعثية والإسلامية, وحصلت معركة استُعْمِلَتْ فيها الحجارة والعصي, وربما استُخدِمَتْ فيها عيارات من بعض الأسلحة الخفيفة, فقُتِل فيها عَرَضَا أكثر من واحد, وردّ الشيوعيّون على أعقابهم, ثمّ جاء الإنضباط العسكري إلى منطقة (ساحة الشهداء) ففض الإشتباك وهدأت المنطقة .

والحادثة الثانية: حينما جرت محاولة قتل الزعيم عبد الكريم قاسم في منطقة (رأس القرية) في شارع الرشيد, حيث نزل الشيوعيّون إلى الشارع وسيطروا على بغداد, وانكفأ الناس إلى بيوتهم, وخلت المقاهي من الرواد, وكان باستطاعة الشيوعيين أن يسيطروا حتى على الحكم, لولا أن الزعيم بادر وألقى خطابا طمأن الشعب العراقي على سلامته, وهو راقد في المستشفى, وهاجم الذين أرادوا أن يفرقوا الشعب العراقي ويجعلوه (شذر مذر), وهذه العبارة الأخيرة لم يكن الشعب العراقي قد سمعها في خطاب أي سياسي سابق.

ومما أوهن الشيوعيين وأضعفهم أنهم نشروا كتبا إلحادية منها (اللـه في قفص الإتهام) جل جلاله, وكتاب (أين اللـه), وهناك إشاعات ربما بثّها الشيوعيّون أنفسهم على أنّ الزعيم عبد الكريم قاسم شيوعي, وأن اسمه المستعار في الحزب (مطر), ورقمه (36), ولكنّ مجريات الأحداث أثبتت أنّه وطنيّ لا علاقة له بالحزب الشيوعي ولا بغيره, وكان يسعى إلى إعمار العراق

وتقدّمه, وفي أيّامه الأخيرة حصل استقرار ونمو اقتصادي, وكان في غاية النظافة والزهد, لا يملك شيئا, وأكله بسيط, ولم يستغلَ الحكم لمصلحة أحد من أسرته, وانتهى حكمه وأخوه نائب ضابط في الجيش, وكان لا يملك بيتا, بل يسكن في بيت مُستأجَر من (مديرية الأموال المجمدة) في منطقة (البتّاويين), ولمّا قتل إعداما لم يجدوا في تركته سوى دينار ونصف, وفي إحدى جولاته في إحدى مناطق بغداد رأى صاحب مخبز قد رسم صورة كبيرة له (للزعيم) على جدار المخبز, فأوقف سيارته وترجّل مع أحد الضبّاط ودخل المخبز ووزن قطعة العجين, والمخبز من مخابز الإعاشة, ويتلقى إعانة من الدولة, فوجد أن القطعة أقل من الوزن المقرر, ثمّ وزن قطعة ثانية, فوجدها أقل من الوزن المقرر, فوزن قطعة ثالثة فوجدها أقل كذلك, فمسك بيد صاحب المخبز وأخذه إلى خارج المخبز, وأشار إلى الصورة فقال له بصوته الآمر الحادّ: صَغِّرْ الصُّورة وكَبِّرْ القطعة .

وعلى الرغم من موقف عبد الكريم من الشيوعيّة ومحاولة (تقليم أظافرهم), ولكنهم لمّا وقع انقلاب عبد السلام عارف والبعثيين في 14 رمضان 1963م خرجوا إلى الشارع متصدّين للثورة ومؤيدين للزعيم عبد الكريم, وحصلت بينهم وبين الإنقلابيين بعض المناوشات, ولكنها باءت بالفشل, وقُتِل في صبيحة يوم الثورة وبعده مجموعة من رموز الشيوعيين, منهم المدرس (ممدوح الآلوسي), و (منير توفيق) رأس أنصار السلام, و(جلال الأوقاني) قائد القوّة الجوية.

العمل بعد التخرج من كلية التربية

انتسبت إلى قسم اللغة العربية في كلية التربية جامعة بغداد, في العام الدراسي 1959/1958م, وتخرجت منها في العام الدراسي 1962/1961م وأشرف على تدريسنا في هذه الكلية كبار الأستاذة العراقيين المشهود لهم بالخبرة والعلم, منهم مثلا الدكتور أحمد عبد الستار الجواري درسنا النحو والتفسير, وكانت تحضر معه الدرس الأستاذة خديجة عبد الرزاق الحديثي كانت تحمل شهادة الماجستير وعنوان رسالتها (الأبنية الصرفية في كتاب سيبويه), لم تدرسنا كانت تحضر بصفتها معيدة, والدكتور سليم النعيمي أستاذ النقد الأدبي والبلاغة, وتحضر معه الأستاذة الشاعرة نازك الملائكة وتدرسنا عند غياب الدكتور سليم ونادرا ما يغيب, والدكتور صفاء خلوصي درسنا الأدب العباسي الذي رحل إلى بريطانيا وأصبح رئيس الجالية الإسلامية هناك, والدكتور محمود غناوي الزهيري درسنا الأدب الإسلامي, وتولى عمادة الكلية وكالة ونحن في الصف الرابع سنة 1962م, ودرسنا الدكتور مصطفى جواد (المحسنات البديعية للشريف الرضي), والدكتورة عاتكة الخزرجي درستنا في الصف الأول الإنشاء, ودرستنا في الصف الرابع الأدب الحديث, وعند تدريسها لنا مادة الإنشاء في الصف الأول كتبت بيتين من الشعر على لوحة الصف لأبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة	فلا بد أن يستجيب القدر
ولابـــد لـليـــل أن يـــنجـــلي	ولابـد للقيــــد أن ينكسر

وطلبت من الطلاب أن ينثروا البيت بإسلوب خطابي, وكان الوضع متأزما والشيوعيون مسيطرون على الساحة العراقية, فلم يتقدم أحد من الطلبة

سواي, فلما وقفت أمام الصف ونثرت البيتين بإسلوب خطابي أعجبت به وشكرتني, وتولدت لي معها علاقة متينة, وتجددت هذه العلاقة لمّا عينت مدرسا في قسم اللغة العربية في كلية الادآب, وكانت الدكتورة عاتكة تلبس ملابسا غير محتشمة على الرغم من أن أفكارها ونزعتها صوفية التوجه, وكلفتنا مرة بكتابة موضوع عنوانه (الصيف), فأردت أن أوجه لها نقدا بسبب ما تلبسه من ثياب, فقلت أثناء كتابتي الموضوع عبارة أشير اليها وهي "وكنا جالسين في المقهى إذ مرت من أمامنا فتاة تلبس ثوبا كأنه (الكيس)[1] فما كان من الجالسين بقربنا إلا أن طفقوا ضاحكين فقلت أيا مسكينة أرادت رضا الناس بسخط اللـه فأسخط اللـه عليها الناس ", ودرسنا أيضا الدكتور أحمد حقي الحلي أصول التدريس/التطبيقات, والدكتور عبد الجليل الزوبعي درسنا علم النفس, وكان من أحسن الأساتذة, والدكتور محمد تقي الهلالي, والدكتور عبد الهادي محبوبه زوج الأستاذة الشاعرة نازك الملائكة درسنا الأدب الأندلسي, والأستاذ كمال إبراهيم[2]درسنا الصرف وهو من أمتن الناس في علم الصرف, الذي تولى عمادة كلية التربية في مرحلة من المراحل, ولمّا حدثت إضطرابات وصراع بين الطلبة في أوآخر العام الدراسي سنة 1962م ترك الكلية واعتزل في بيته, وتولى عمادة الكلية بعده وكالة الدكتور يوسف عبود, ودرسنا الدكتور حسين أمين التاريخ بعد الدكتور إبراهيم العدوي المصري بعدما سحب الرئيس جمال عبد الناصر الأساتذة المصريين من الجامعة العراقية.

وكان اسم الكلية في بدء دراسة السنة الأولى(دار المعلمين العالية), وهو

(1) شاع في تلك الحقبة ثوب يشبه الكيس ليس فيه ما يغطي اليدين ويسمى (الشوال).

(2) كمال إبراهيم: درسنا مادتي الصرف ومادة خاصة بدار المعلمين عنوانها (الرصافي ومعاصروه) وهما الزهاوي وعبد المحسن الكاظمي مات قبل الثمانين على منصة مناقشة الطالب محمد حسين آل ياسين في رسالته للماجستير.

اسمها منذ إنشائها وغيرت إلى (كلية التربية والتعليم), ثم إلى (كلية التربية), خلال أشهر قليلة, وتعاقب على عمادة الكلية أصالة ووكالة عدة أساتذة أولهم الدكتور محمد ناصر, ثم الأستاذ كمال إبراهيم, والدكتور محمود غناوي الزهيري, والدكتور يوسف عبود.

وكانت دورتنا أول دورة تتخرج من جامعة بغداد, إذ تأسست الجامعة سنة 1958م, وكان أول رئيس لها الدكتور عبد الجبار عبدالله الصابئي, وكانت جامعة بغداد الجامعة الوحيدة في العراق, وأقيم حفل التخرج في ملعب الإدارة المحلية مقابل معارض بغداد في المنصور, وإفتتح الإحتفال الزعيم عبد الكريم قاسم, وألقى فيه خطابا, ومنح المتخرجين وسام الرافدين, وكنت يومذاك معلما في مدرسة العزة المسائية, فنقلت إلى مدرسة الزوراء الصباحية, الكائنة في محلة (سوق حماده) في الكرخ, ثم نسبت إلى متوسطة العطيفية الصباحية, الكائنة في العطيفية الثانية قرب سكة الحديد المتجهة إلى (سايلو) العطيفية القريب من نهر دجلة, ودرست اللغة العربية والدين, وكنت أحث الطلبة على الإلتزام بالدين, وكان قريبا من المدرسة جامع (وضحة الشاوي) والدة الدكتور منذر الشاوي, وقدمت إلى دراسة الماجستير في كلية الآداب جامعة القاهرة في بدء العام الدراسي1963/1962م ودفعت الأخ حسام النعيمي للتقديم أيضا, ولمّا حانت العطلة الربيعية في شباط 1963م, توجهنا أنا والأخ حسام عن طريق دمشق إلى القاهرة لمتابعة قبولنا, ووصلنا القاهرة, فالتقينا بمجموعة من الأساتذة المصريين منهم الدكتور عبد العزيز الأهواني والدكتور شوقي ضيف, وبعد إكمالنا إجراءات القبول, وحصولنا على هوية الجامعة ودفعنا الرسوم الجامعية, واطلعنا على الموضوعات الدراسية و إشترينا المصادر المطلوبة وقمنا بجولة سياحية قصيرة, ثم عدنا إلى دمشق, واستأجرنا سيارة لنعود إلى بغداد يوم الجمعة 14رمضان الموافق 8 شباط, وذهبنا صباحا إلى سوق الحميدية لنشتري بعض

الحاجات, فقال لنا صاحب الحانوت الذي قصدنا الشراء منه: إن إنقلابا حدث هذا الصباح في بغداد, وكنا نخشى أن يقوم الشيوعيون بإنقلاب على الزعيم عبد الكريم قاسم فقلت للأخ حسام والسائق: فلننتظر قليلا ولنسمع إذاعة بغداد, فإذا كان الإنقلاب من تدبير الشيوعيين نؤجل سفرنا, وإذا كان من غيرهم نواصل سفرنا, فطلبنا من صاحب المحل أن يوجه الراديو إلى إذاعة بغداد فلبى طلبنا, وإذا الراديو ينشد النشيد القومي الشهير (الـلـه أكبر) فأيقنا أن الإنقلاب كان من تدبير القوميين فزال تخوفنا, ثم فهمنا من مجريات برامج الإذاعة أن الإنقلاب من تدبير العقيد عبد السلام عارف والقوميين والبعثيين, فعزمنا على مواصلة السفر إلى بغداد, وكان الطريق يومذاك يمر بالأردن عن طريق الرمثا ثم المفرق, ثم الحدود الأردنية العراقية, فوصلنا إلى الحدود الأردنية المتجهة إلى العراق وأبلغنا الموظفون أن الحدود قد أغلقت, ولابد من أخذ موافقة الشريف المسؤول عن الحدود, فذهبت إليه وكلمته بلطف فسمح لنا بمغادرة الأردن على مسؤوليتنا فتوجهنا إلى العراق, ووصلنا إلى أول مخفر عراقي في منطقة طريبيل, وأبلغونا بأن منع التجول قد فرض على جميع أنحاء العراق, وأنهم لن يسمحوا بالإنطلاق إلى الرطبة إلّا بعد أخذ موافقة السلطات العسكرية, وكان مسؤول المخفر من زملائي في الدراسة اسمه (احمد سعيد), ووالده مختار الرطبة, فاحتفى بنا واستضافنا في مكتبه وكثف الإتصال بالجهات الرسمية, إلى أن استحصل على الموافقة, فتوجهنا صباح السبت الموافق 9شباط إلى الرطبة, ونزلنا في ضيافة أحد الأخوة, وذهبنا إلى مدير الناحية لعله يسهل أمر سفرنا إلى الرمادي, وكان من معارفي, وهو السيد عبد الجبار عبد اللطيف الدوري من أسر الرمادي المعروفة, فبذل جهدا كبيرا حتى استحصل الموافقة على توجهنا إلى الرمادي, فتمت الموافقة في وقت متأخر قبل المغرب بقليل, فبتنا عند أحد الإخوان في الرطبة, ونهضنا صباحا متوجهين إلى الرمادي, وفي أطراف الرطبة كان هناك

وادٍ يسمى (وادي المساد), قد طغت مياه الأمطار فيه وغمرت الجسر, فتعذر علينا عبوره, لأن أمطارا غزيرة قد هطلت في العراق يومي الجمعة 8 شباط والسبت 9 شباط, فقلت لأصحابي فلننتظر, ونراقب الماء مدة ساعة, فإذا وجدنا أن مياه الأمطار قد انحسرت شيئا ما نعود إلى الرطبة, لنرتاح في أحد الفنادق, ثم نعود إلى جهة الوادي, وننظر هل نستطيع أن نمضي عبر الجسر أم لا؟ فعدنا إلى الرطبة, ومكثنا حوالي ساعتين, ثم توجهنا إلى الوادي, فوجدنا أن الماء قد انحسر عن الجسر, ونحن واقفون ندرس الوضع جاءت سيارة فعبرت الجسر, وهذا مما شجعنا على العبور, فوصلنا إلى الرمادي عصرا , فمكثت فيها, وانطلق السائق بسيارته إلى بغداد مصطحبا معه الأخ حسام النعيمي لأن منع التجول قد رفع.

وتذكرني هذه الحادثة بحادثة مشابهة لها وقعت لي وللأخ حسام سنة 1968م, إذ كنا في مكتبة الأزهر في القاهرة, نقرأ بعض المخطوطات, وكان ذلك يوم 17 تموز, وكنت أكتب بقلم حبر سائل فجف الحبر فقال لي الأخ حسام: أذهب فأشتري لك قلما من إحدى المكتبات, فذهب ثم عاد قائلا لي: إن إنقلابا قد حدث في العراق, وقلت له: إننا مدعون اليوم عند معاون الملحق الثقافي في السفارة العراقية السيد أسعد عبد الجبار الكبيسي وسنفهم حقيقة هذا الإنقلاب, فلما التقينا بالسيد أسعد مساءا أخبرنا أن هذا الإنقلاب حدث بالتعاون بين مجموعة رؤساء الوية في القصر الجمهوري ومعاون مدير الإستخبارات عبد الرزاق سعيد النايف والبعثيين, ثم تشكلت حكومة برئاسة السيد عبد الرزاق سعيد النايف واشترك فيها الدكتور عبد الكريم زيدان وزيرا للأوقاف, فاستغربت بل ضحكت من تشكيل هذه الحكومة, فقال لي الأخ حسام النعيمي: كيف تضحك والدكتور عبد الكريم زيدان مشارك في هذه الوزارة ؟ فقلت له: إنني أعرف عبد الرزاق سعيد النايف وكان طالبا معنا في ثانوية

الرمادي, واعتقادي الجازم أنه لايستطيع أن يحكم العراق, وهذه الحكومة لن تستمر في الحكم عشرة أيام, ولا أدري السبب الذي دعا الدكتور عبد الكريم زيدان للمشاركة في هذه الحكومة,وهو رجل عاقل وحكيم, ثم تركت الأخ حساما في القاهرة وتوجهت إلى دمشق ومن ثم توجهت إلى حلب لأذهب إلى تركيا عن طريق البر, لتتبع مخطوطات جلال الدين السيوطي, التي لها علاقة بموضوع رسالتي للدكتوراه,التي عنوانها (السيوطي النحوي), ويوم 30 تموز كنت أريد أن أشتري بعض الحاجات من أحد الحوانيت عصرا فقال لي صاحب الحانوت: إن إنقلابا جديدا قد وقع في العراق, وإن البعثيين قد سيطروا على الحكومة وعزلوا رئيس الوزراء ووزير الدفاع إبراهيم عبد الرحمن الداود, فلم استغرب لأنني كنت أتوقع ذلك, وفي صباح اليوم الثاني توجهت إلى إسطنبول عن طريق الاسكندرونة, وما كنت أملك سوى 26 دينارا عراقيا , أبدلتها في حلب بليرات تركية, وكان كل دينار عراقي يساوي 33 ليرة تركية, ومكثت في إسطنبول 11 يوما, وقد كفاني هذا المبلغ للمكوث في إسطنبول هذه المدة لأن تكاليف المعيشة في ذلك الحين رخيصة, وكان الدينار العراقي قويا فكل دينار يساوي أكثر من 3 دولارات, وصورت بعض المخطوطات من مؤلفات السيوطي, وراجعت المكتبات التركية التي تحتوي على المخطوطات العربية, وجمعت معلومات جمة عن تراث السيوطي,ثم عدت إلى سورية ومن ثم إلى العراق.

وبقيت في متوسطة العطيفية سنة 1963/1962م, وفي بدء العام الدراسي 1964/1963م, صدر أمر من مديرية تربية الكرخ يقضي نقلي إلى ثانوية الكرخ, فاستغربت من هذا النقل, إذ لم يمضِ علي إلّا سنة واحدة في متوسطة العطيفية, وكونت علاقات متينة مع الطلبة وهيئة التدريس في هذه المتوسطة, وثانوية الكرخ مشهورة بمشاكلها, فذهبت إلى مدير التربية محتجا على هذا

النقل, ولما دخلت عليه كان عنده ضيف فتبسم هذا الضيف, فقال له مدير التربية: يا أستاذ أجب الأخ عدنان, لماذا تم هذا النقل؟ فقال لي: أنا طارق الموصلي مدير ثانوية الكرخ, وقد احتجت إلى مدرس لغة عربية فاخترتك, فقال لي مدير التربية: باشر في ثانوية الكرخ فإن وجدتها غير مناسبة لك, راجعني وأنا أعيدك الى متوسطة العطيفية, فباشرت فوجدت المدرسة على خلاف ما يشاع عنها منضبطة والطلاب فيها هادئون وانسجمت انسجاما عاليا معهم, وبدأت نشاطي الدعوي وفتحنا مصلى في المدرسة وكنا نقيم دروسا في المسجد المجاور للمدرسة (مسجد حبيب العجمي) وننظم سفرات إلى سامراء وغيرها للطلبة الملتزمين, ووجدت تجاوبا ملموسا من الطلبة, وكانت الإدارة متسامحة معي, وتربطني بالإدارة وهيئة التدريس روابط أخوية وتعاون, ونظمنا سفرة مدرسية إلى مصر, عبر الأردن وسورية ولبنان بالسيارات, ومن بيروت أبحرنا بسفينة مصرية أسمها (سورية) إلى ميناء الاسكندرية واستغرقت الرحلة يوما واحدا وكان ذلك في شباط سنة 1964م, ومكثنا في القاهرة أسبوعا واشتريت مجموعة من الكتب من معرض وزارة الثقافة المصرية, وهي كلها كتب تراثية بأسعار زهيدة, فكل نسخة قيمتها 20 قرشا مصريا, وإذا حسبنا بالعملة العراقية, فتساوي (مائة فلس) وكان ضمنها (لسان العرب)لابن منظور, و(عيون الأخبار) لابن قتيبة, و(صبح الاعشى) للقلقشندي, و(نهاية الأرب في أنساب العرب) للنويري, ونقلتها معي إلى بغداد ومررت بأزمة مالية فبعتها للأستاذ خالد محسن إسماعيل[1].

(1) خالد محسن إسماعيل: خريج كلية الدراسات الإسلامية في بغداد , وكان ملاحظ المكتبة في ثانوية الكرخ, أكمل دراسة الماجستير في كلية الآداب جامعة بغداد, وكانت رسالته (ابن سيده البطليوسي) واشتركت في مناقشته, ورسالته أول رسالة اشترك في مناقشتها توفي بعد أن أصيب بمرض عضال أيام الحرب العراقية - الإيرانية بعد سنة 1985م.

وفي أيلول 1965م نلت درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة, وكان عنوان الرسالة (التوابع في كتاب سيبويه) بإشراف كل من الأستاذ الدكتور خليل يحيى نامي, والدكتور حسين نصار, وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الأستاذ مصطفى السقا رئيسا للجنة, والدكتور حسين نصار المشرف على الرسالة والدكتور شوقي ضيف مناقشا, ولما عدت إلى بغداد التحقت بمدرستي (ثانوية الكرخ) وحاولت أن أنتقل إلى الجامعة, ولم يكن هناك في العراق مختصون بالنحو إلّا مجموعة قليلة جدا , هم الدكتور مهدي المخزومي, والدكتور إبراهيم السامرائي, والدكتورة خديجة الحديثي, والأستاذ فاضل صالح السامرائي ماجستير ولم ينل درجة الدكتوراه, ولم أستطع أن أحصل على الموافقة للإنتقال إلى الجامعة, فمكثت في ثانوية الكرخ, وفي سنة 1966م أعيرت خدماتي إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة في السعودية, ولمّا اكملت الإجراءات اللازمة, توجهت إلى جدة عن طريق الجو ومن جدة توجهت إلى مكة أنا وأسرتي المكونة من والدتي وزوجتي وأبنائي أسماء ومحمد ومجاهد وثناء ومثنى, وباشرت في كلية الشريعة الواقعة في الزاهر في اطراف مكة آنذاك وهي الآن بسبب التوسع العمراني أصبحت في وسط مكة وكانت كلية الشريعة مرتبطة بوزارة المعارف, إذ لم تكن هناك جامعة في منطقة مكة, وكانت هناك كلية أخرى هي كلية التربية التابعة أيضا لوزارة المعارف, وكان الطلاب المنتمون إلى كلية الشريعة خريجي مدارس التوحيد على مستوى رفيع علميا ودينيا, وسعيت إلى بث روح الدعوة الإسلامية بين الطلاب, وكان معي في الكلية اثنان من الإخوان المدرسين هما: الشيخ إبراهيم المدرس والأستاذ سرحان فاضل السامرائي -رحمه الـلـه-, وقمنا بأنشطة ثقافية ودعوية ورياضية, وأوجدنا حركة ثقافية واسعة في الكلية, وقمنا برحلات كثيرة إلى مناطق مختلفة

من محيط مكة وإلى الطائف وإلى منطقة (حنين) وإلى جزيرة في البحر الأحمر, واتصلت بجهات ثقافية توزع كتبا إسلامية مجانا وزودت الطلاب بهذه الكتب, بحيث أصبح كل طالب يملك مكتبة صغيرة, ومكثت في كلية الشريعة ثلاث سنوات من سنة 1966 إلى سنة 1969م وكنت قد سجلت رسالة دكتوراه في كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1966 عنوانها (السيوطي النحوي) وكنت منشغلا إضافة إلى عملي الإسلامي بالتحضير لهذه الرسالة وكنت اراجع مكتبة مكة المكرمة ومكتبة (عارف حكمت) في المدينة المنورة أثناء العطل عند ذهابي إلى المدينة المنورة, وفي سنة 1969م منحت إجازة دراسية من وزارة التربية العراقية لإكمال دراسة الدكتوراه في القاهرة, ففسخت عقدي مع كلية الشريعة في مكة, وعدت إلى العراق وعند إكمالي إجراء الالتحاق بالدراسة توجهت إلى القاهرة بمفردي وتركت أسرتي في الرمادي, وبعد شهر التحقت بي أسرتي وسكنا في منطقة الدقي في القاهرة, وكنت منشغلا في كتابة رسالة الدكتوراه وكان الظرف الأمني لايساعد على الإتصال بالإخوان المصريين فالمراقبة الأمنية شديدة, ورزقت بالقاهرة بمولود ذكر سميته (مكي), ولم أختلط بالمصريين إلّا في حدود دراستي وفي سنة 1970م حصل خلاف شديد بين العراق ومصر, فاعتقل عدد من المصريين في العراق, فقامت الحكومة المصرية باعتقال عراقيين يماثل عددهم عدد المصريين المعتقلين في العراق, ورفع الإعلام المصري صوته لمهاجمة العراق, وفعل العراق الشيء نفسه وكانت الساحة مقابل المتحف العراقي تسمى ساحة جمال عبد الناصر, فغيرت الساحة إلى ساحة (أبو رغال), وفي هذه المدة جاء وفد يمثل نقابة الزراعيين في العراق, فزارني بعضهم وأخذتهم إلى كازينو (قصر النيل), واعتدت أن اخبر أهلي إلى المكان الذي أذهب إليه مخافة أن يأتي أحد يسأل عني, ونحن جالسون في الكازينو جاءني الأخ حسين

خلف الجبوري[1] فطلبت منه أن يجلس فقال: إن معي كلا من الأستاذ أبي اليقضان عطية الجبوري[2] والأستاذ محسن عبد الحميد, وكانوا جميعا يحضرون لنيل الدكتوراه, فقلت له أذهب ادعهم إلى الدخول فقال: إن الوضع الأمني لا يحتمل جلوس عدد كبير من العراقيين فقلت له: إن الضيوف سيخرجون, فانتظروني خارج الكازينو وعند خروجهم سأخرج وأدعوكم إلى الجلوس في الكازينو, ولمّا خرج الضيوف اسرعت إليهم ودخلنا جميعا إلى الكازينو, وجلسنا نتحدث فيما يجري للعراقيين هنا سواءا أكانوا بعثيين أم غير بعثيين, لأن الخلاف في الأصل قائم بين حكومة البعث وحكومة مصر, فرفع الأخ محسن عبد الحميد يده وقال (اللهم حوالينا ولا علينا), ثم خرجنا وذهب كل منا إلى داره, وفي اليوم الثاني صباحا جاءني الأخ حسين والأخ ابو اليقضان, فلما خرجت إليهم سألتهم أين ثالثكم؟ فقالوا: أدخلنا إلى البيت ثم اسألنا, فلما دخلوا إلى البيت وجلسنا في غرفة الاستقبال, قالوا لما وصلنا إلى البيت وجدنا شخصا جالسا على أول السلم, فدخلنا إلى شقتنا فنظر الأخ حسين من شرفة المنزل فرأى سيارة قد جاءت ووصلت عند السلم ونزل منها شخصان صعدا إلى الشقة

---

(1) حسين خلف الجبوري: ارسل لدراسة الماجستير في القاهرة من قبل الأوقاف فلما حصل على هذه الشهادة عين في كلية الشريعة ثم نال الدكتوراه في السبعينيات وفي سنة 1976م نقل إلى دائرة السكك الحديد ومن ثم ترك العراق واستقر في مكة المكرمة وعين في كلية الشريعة ومازال هناك ولم يدخل العراق منذ أن خرج منه وكلما زرت مكة أتصل به.

(2) أبو اليقضان عطية الجبوري: اسمه كنيته, خريج كلية الشريعة في بغداد ذهب في بعثة الأوقاف إلى دراسة الماجستير في جامعة الأزهر, وعين بعد نيله الشهادة معيدا في كلية الشريعة, ثم نال درجة الدكتوراه من الأزهر أيضا , فأصبح مدرسا , ونال درجة الأستاذية, ثم أيام الحصار ترك العراق وجاء إلى الأردن فتعين في جامعة اليرموك, وقبل إحتلال العراق أصيب بمرض فعاد إلى العراق, ثم توفي في مدينة (الشرقاط) بعد سنة 2003 وقت الإحتلال الأمريكي للعراق.

فطرقا الباب ففتحناه لهما فدخل أحدهما إلى الشقة وبقي الثاني خارجها فقال: من محسن عبد الحميد ؟ فأجابه الأخ محسن أنا, فقال له: أعطني جوازك, ليدقق النظر فيه, فلما تيقن أنه المقصود, قال له: تفضل معنا عندنا سؤال بسيط وبعد ذلك تعود إلى منزلك, فخرج معهما الأخ محسن, ثم قال الأخ حسين ولاندري ماذا حدث له, لأنه لم يعد إلينا حتى هذا الوقت ومكث الأخ محسن عبد الحميد في المعتقل مع أنه لاعلاقة له لا بالحكومة العراقية ولا بحزب البعث, ثم توسط الزعيمان الليبي معمر القذافي والسوداني جعفر النميري, فأطلق سراح جميع المعتقلين العراقيين, ومنهم الأخ محسن عبد الحميد فغادر إلى العراق وبقي مدة لايسمح له دخول مصر.

وكنا نعيش في خوف شديد في مصر ونخشى من الإعتقال أو الطرد لكوننا عراقيين ومن أصحاب الميول الإسلامية, فإذا حدث خلاف بين العراق ومصر, ينعكس هذا الخلاف على جميع العراقيين لا على البعثيين وحدهم, وفي الشهر التاسع سنة 1970م أكملت كتابة رسالة الدكتوراه فأجازني الدكتور شوقي ضيف.

وتسلمت الرسالة من الطباع يوم 1970/9/28 وسلمت إحدى النسخ إلى المشرف الدكتور حسين نصار وفي الليل بدأت بتصحيح النسخ وأنا جالس في شرفة المنزل وبجنبي أمي, فإذا أصوات تردد اسم ناصر في شارع الكورنيش المتجه إلى الجيزة القريب من سكني فاستغربت,أهي أصوات إحتجاج أم أصوات تأييد؟ ثم تكررت, فإذا بصوت من إحدى العمارات يقول: نكسون مات, فأيقنت أن عبد الناصر مات, وأن هذا الشخص يسخر, وكان نكسون يومذاك رئيس الولايات المتحدة, فقلت لأمي: إن عبد الناصر مات, وهو في ذلك الوقت قد ودع جلالة الملك حسين بن طلال, وعاد من توديعه وكان مؤتمر

للجامعة العربية منعقدا تلك الأيام لمناقشة الأحداث التي وقعت في الأردن فيما سمي بأيلول الأسود بين الجيش الأردني والفدائيين, وفي الصباح أرسلت أحد أولادي فجلب لي صحيفة وفي الصفحة الأولى مكتوب بحروف بارزة (السيد أنور السادات ينعى الرئيس عبد الناصر) وكان ذلك اليوم يوما حزينا حل بمصر, فخرجت الجماهير إلى الشوارع تبكي وتندب وتعلن حزنها, لاسيما الطبقات الوسطى والعمالية والفقيرة, ثم شيع جثمانه من مدينة المعارض إلى مثواه الأخير في مقبرة خاصة.

وكانت اللجنة المكلفة لمناقشة رسالتي مؤلفة من المشرف الدكتور حسين نصار وعضوين هما الدكتور رمضان عبد التواب من جامعة عين شمس والدكتور محمد كامل جمعة -رحمهما اللـه-, وكان السيوطي جامعا مشتركا بين لجنة المناقشة وعنوان الرسالة, فجميع أعضاء اللجنة من أسيوط, والدكتور رمضان ساكن في شارع جلال الدين السيوطي, ونبه الدكتور رمضان إلى هذه الموافقة في بدء مناقشته وجرت المناقشة في النصف الثاني من شهر تشرين الأول 1970م, ومنحت درجة الدكتوراه إمتياز بمرتبة الشرف الأولى, وبعد إكمال إجراءات الحصول على وثيقة التخرج عدت إلى بغداد عن طريق جدة لأني كنت قد نذرت إذا أنهيت الدراسة أن أؤدي العمرة, وبعد أداء العمرة توجهت إلى بغداد, وباشرت في ثانوية الكرخ, وقدمت طلبا إلى وزارة التربية لأنْقَلَ إلى وزارة التعليم العالي واخترت جامعة بغداد, وكان في العراق آنذاك ثلاث جامعات, جامعة بغداد وجامعة الموصل وجامعة البصرة, فاشترط وزير التربية الدكتور سعد عبد الباقي الراوي أن أنْقَلَ إلى جامعة الموصل أو جامعة البصرة, ورأيت في هذا الأمر تعسفا, لأني معروف بتوجهي الإسلامي, وهو من القياديين البعثيين, والصراع محتدم بيننا نحن الإسلاميين والبعثيين, فرفضت الأمر وبقيت في ثانوية الكرخ, وفي نهاية العام الدراسي 1971/1970م كلفت

الأستاذ خميس العاني, وكان رئيس لجنة تصحيح دفاتر الإمتحانات الوزارية للصف السادس الثانوي ومقربا من الوزير أن يسعى إلى نقلي إلى جامعة بغداد, فاستجاب لرجائي, فكلم الوزير فوافق على أن يتم النقل في 1971/7/1م, أي عند انتهاء العام الدراسي, فتم النقل وأتممت كافة الإجراءات فانتقلت إلى كلية الآداب جامعة بغداد, وباشرت التدريس في بدء العام الدراسي 1972/1971م, ودرست النحو في قسم الدين, وفقه اللغة في قسم اللغة العربية, وكنت في المساء أدرس مادة النحو في كلية الدراسات الإسلامية .

وكلية الدراسات الإسلامية كلية أهلية تابعة لجمعية الأماني الثقافية, التي أسسها الإخوان سنة 1965م أبان الحكم العارفي, وفتحت مدارس ثانوية في بغداد وغيرها من محافظات العراق, وأسست كلية الدراسات الإسلامية في بغداد سنة 1967/1966م, وكانت تداوم في متوسطة الغربية الكائنة في باب المعظم, وكان يدرس فيها خيرة الأساتذة الإسلاميين, وكان عميدها الدكتور عبد الكريم زيدان ثم تعاقب على عمادتها كل من الأستاذ عابد الهاشمي, والدكتور فاضل صالح السامرائي, وكان جل طلابها من الإخوان, وتخرج منها عدد واصلوا دراساتهم العليا فنالوا شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعات العراق والأزهر الشريف, ومناهجها تتضمن الدراسات الإسلامية واللغة العربية والتاريخ, ولمّا ألغي التعليم الأهلي, ألحقت بكلية الآداب وسميت بالدورة المسائية الخاصة, وتم تصفية هذه الكلية على يدي ويد الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوردي والدكتور صلاح حسين العبيدي الذي كان معاون عميد كلية الآداب والمسؤول الإداري عن هذه الدورة المسائية, وكان دوامها في كلية الآداب جامعة بغداد, ودرس في كلية الدراسات أكابر الأساتذة الجامعيين مثل الدكتور محمد حامد الطائي أستاذ الجغرافية في كلية الآداب, والدكتور جميل سعيد العاني أستاذ الأدب في جامعة بغداد, والدكتور عبد الكريم زيدان,

والدكتور مصطفى الزلمي, والدكتور حاتم الضامن, والدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي, والدكتور عبد القهار العاني وغيرهم.

وكان جل اهتمامنا في عمل الإخوان منصبا على التوعية الإسلامية, ونشر الثقافة الدينية, وتربية الشباب على تعاليم الإسلام, وبذلنا أقصى ما نستطيع فأوجدنا نهضة دينية واسعة في أرجاء العراق وشجعنا على إرتداء الحجاب ونشر المساجد والكتاب الإسلامي, وكان الحجاب غير موجود في الجامعات, وكان للأخوات المسلمات المرتبطات بعمل الإخوان دور فاعل في نشر الحجاب في الجامعات وغيرها, وأذكر أول طالبة تحجبت في كلية الحقوق اسمها (نجيبة) تزوجها الدكتور كاظم الجوادي, ثم تحجبت سعاد عبد اللـه شهاب وهي من الموصل ابن عمها الضابط أحمد عبد العزيز شهاب الذي أعدمه الزعيم عبد الكريم قاسم مع اللواء ناظم الطبقجلي, وتحجبت سامية صديق من كركوك تزوجها الأستاذ فليح السامرائي الذي تولى سكرتارية الحزب الإسلامي العراقي, ثم انتشر الحجاب في الجامعة وخارجها.

الحزب الإسلامي العراقي

تقدم الأستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائي والأستاذ فليح حسن السامرائي, والشيخ عبد الجليل إبراهيم الهيتي والشيخ إبراهيم المدرس والشاعر وليد الأعظمي وآخرون طلبا إلى حكومة الزعيم عبد الكريم قاسم لتأسيس حزب إسلامي سنة 1960 فرفض الطلب فقدموا إعتراضا إلى محكمة التمييز, فأجازت الحزب, وكانت بناية المحكمة على نهر دجلة مجاورة لوزارة الدفاع فقررت الحكومة هدم البناية, وأثيرت إشاعة أنها هدمت بسبب إجازتها الحزب وكانت مجرد إشاعات, وعقد الحزب مؤتمره الأول في الكسرة في مقر جمعية الأخوات المسلمات, ولم أكن منتميا للحزب إذ لم يسمح لجميع الإخوان بالإنتماء للحزب ولكنني كنت من المشجعين وممن أسهموا في تنظيم المؤتمر, وعقد فرع الحزب في الرمادي مؤتمرا, وكان رئيس الفرع المحامي يوسف طه ياسين من وجهاء الرمادي -رحمه الله-, وكانت هناك قيادة للحزب خاضعة لأوامر قيادة الإخوان التي كان على رأسها الدكتور عبد الكريم زيدان -كما ذكرنا سابقا- , وكانت للحزب جريدة اسمها (الجهاد), وكان رئيس تحريرها المحامي فاضل عز الدين, تركماني من كركوك, وكانت هناك جريدة أخرى مؤازرة للحزب اسمها جريدة (الحياد), رئيس تحريرها الأستاذ فاضل النعيمي, الضابط المتقاعد الذي تخرج من كلية الحقوق فمارس المحاماة, وصدرت جريدة في العهد الملكي اسمها (الحساب) رئيس تحريرها الأستاذ المحامي ثابت السعودي, ومديرها الأستاذ المحامي محمد سالم زيدان وهي موالية للإخوان,صدر منها أربعة أعداد, ثم ألغي إمتيازها بسبب نشرها مقالا عنوانه (أصحاب الكروش) فيه تهكم على رجالات العهد الملكي والساسة العراقيين.

سعى الحزب الإسلامي إلى إقامة علاقات متينة مع مكونات الشعب

العراقي, وأرسل وفودا إلى المراجع الدينية الشيعية والسنية ولاقى تأييدا مشجعا من فئات شعبية مختلفة, فلم يرق ذلك للشيوعين فحرضوا الزعيم عبد الكريم قاسم على الحزب, فصدر أمر بغلق جريدتي الحياد والجهاد, فأتفق الحزب مع الشيخ كاظم الساعدي من معممي الشيعة على إصدار بياناتهم, في جريدته (الفيحاء), التي كانت تصدر بالحلة, وهي جريدة مغمورة, ثم نشروا فيها بيان الحزب الذي انتقد الأوضاع العامة في البلاد ووجه نقدا قويا للحكومة وأثار ضجة واسعة في البلاد, مما دفع الحكومة إلى حل الحزب ولم يمضِ على تأسيسه سوى ستة أشهر, وتم إعتقال الهيئة الإدارية للحزب والشيخ كاظم الساعدي, وأودع المعتقلون في مراكز متفرقة, في شرطة السراي, وشرطة الفضل, وشرطة الكرادة الشرقية, وكنا نزورهم بصورة مستمرة, والشرطة متعاطفة معهم ومع من يزورهم, وقد أفرج عن الشيخ عبد الجليل الهيتي لمكانته الإجتماعية, وبقي الآخرون معتقلين مدة ستة أشهر, ثم أفرج عنهم, وألتقى بهم الزعيم مدعيا أنه لم يكن يعرف بإعتقالهم فلما علم أمر بإطلاق سراحهم.

وكنت يومذاك طالبا في كلية التربية, وفي صباح أحد الأيام وأنا داخل إلى كلية التربية اعترضتني سيارة (فوكس واكن) نزل منها شابان وطلبا مني أنَ أبرز لهما هويتي فلما أبرزتها طلبا مني أن أرافقهما, فرفضت وهربت على مرآى من الطلاب بإتجاه مقبرة ضحايا الجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولى القريبة من الكلية في منطقة الوزيرية, فحاول الشابان وهم على مايبدو من أفراد الأمن أن يلحقا بي ليلقوا القبض عليّ فلم يستطيعا, وكان هناك مجموعة من سكان الصرائف المحيطين بالمقبرة, فنادوا عليهما أنني قد دخلت المقبرة, بعد أن تخطيت السياج, فتبعاني فوجدت ألّامفر من تسليم نفسي لهما, فجاءا الي وقالا لي: لماذا هربت؟ فقلت لهما: أتريدون أن أستسلم لكما على مرأى من الشيوعيين؟ وقصدت من ذلك أن افهمهما أنني لست شيوعيا , لأن متابعة شديدة قد جرت

للشيوعيين أنذاك, والشرطة لها موقف معادٍ للشيوعيين, ثم اصطحبتهما إلى مركز شرطة الوزيرية القريب من المقبرة وكنا في الكلية تابعينً لهذا المركز من الناحية السياسية والأمنية, فلما دخلنا المركز وقابلنا مأمور المركز سألته لماذا ألقي القبض عليّ؟ فنظر في الأوراق التحقيقية وقال: إنك من الحزب الإسلامي, فقلت: الحمد لله من الحزب الإسلامي ولا شيوعي, ثم طلبت أن أصلي الظهر وأطلت في الوضوء والصلاة, ظنا مني أن ذلك سيعطي فسحة من الوقت لمن رأى الحادث من إخواني في الكلية فيذهبون إلى أهلي فيخبرونهم لعلهم يتخذون بعض الإجراءات الإحترازية فيخفوا بعض المستمسكات التي قد تؤدي إلى إدانتي, ثم سألني مأمور المركز عن سكني فقلت له في الأعظمية, فتوجهنا بسيارته إليها وكان بادي التعاطف معي ويتكلم كلمات أفهم منها أنه ساخط على هذه الإجراءات, وذهبنا إلى مركز شرطة الأعظمية واصطحبنا مختار المحلة وضابط شرطة الأعظمية, وتوجهنا إلى البيت, وفهمت أنهم يريدون أن يتحروا المنزل, وكنت أرجح أن أحدا من إخواني قد سبقنا إلى البيت وأخبر أهلي أنه ربما يفتش البيت , ولما وصلت إلى البيت وسألت أهلي: هل أخبركم أحد الأصدقاء أن البيت سيفتش؟ فقالوا: لا, فامتلكني شيء من الخوف, لأنه كان في حوزتي قوائم باسماء النشطاء من الإخوان في محافظة الأنبار, فخفت أن تكتشف, ولاحظ مأمور مركز الوزيرية شيئا من الاضطراب قد اعتراني, فقال لي بصوت خافت: تجلد ولا تخف, فتشجعت وأظهرت عدم الاكتراث بالتفتيش, ففتشوا الغرف وجميع جهات البيت, ومن طريقة تفتيشهم فهمت أنهم يفتشون عن أسلحة فلم يجدوا شيئا , ولم يعثروا على الأوراق وهي في مكان ظاهر, لو رفع أحدهم نظره إلى الأعلى لرآها, ولكن الـلـه سلّم, فكتبوا تقريرا بنتيجة التحري ووقعه ضابط شرطة الأعظمية وضابط شرطة الوزيرية ومختار المحلة, ووقعت عليه أيضا ثم خرجوا وتركوني في منزلي, وحمدت الـلـه على ذلك وشكرته, ومن

ثم لمت إخواني على عدم إخبار أهلي بالحادث وكنت قبل هذه الحادثة بأيام أقوم بجولة دعوية في محافظة الناصرية, وشاهدني طالب شيوعي مازلت أذكر اسمه (يوسف), وأظن أنه هو الذي كتب تقريرا يحرض الجهات الأمنية علي, لأن الشيوعيين كانوا يتابعوننا ويرصدون حركاتنا .

وكانت قيادة الإخوان قد أمرت المسؤول عن بغداد أن ينظم مظاهرة احتجاجية على حل الحزب, وإعتقال الهيئة الإدارية للحزب ولكن هذا الأخ لم يفعل ذلك فاعفي من قيادة بغداد, وكان هذا الأخ عدنان المشايخي[1], واستمر عمل الإخوان السري ولم يؤثر حل الحزب على عملنا وكنت أعمل ضمن لجنة الإرتباط التي كان المسؤول عنها الأخ علي صالح السعدون, وهو المسؤول عن إدارة التنظيم والعمل الإخواني, واسند إليه الدكتور عبد الكريم زيدان إدارة التنظيمات الإخوانية, وكانت لجنة الإرتباط تتألف من الأستاذ علي السعدون رئيسا ومني مسؤول محافظة الأنبار, والأخ عدنان المشايخي مسؤول كركوك, والأخ منيب الدروبي مسؤول البصرة, والأخ محمود قاسم مسؤول ديالى, ولمّا اعفي الأخ عدنان من مسؤولياته حل محله الأخ سلمان حسين سعيد, وبقيت أعمل في هذه اللجنة إلى أن اعيرت خدماتي إلى المملكة العربية السعودية.

وهناك حقيقة لابد لي من ذكرها وهي أن الحزب الإسلامي الذي تأسس بعد إحتلال العراق سنة 2003م لا علاقة له بالحزب الإسلامي الذي تأسس أيام حكم عبد الكريم قاسم وليس في هيئة إدارته أي شخص له علاقة بذلك الحزب, ربما يكون المنهج واحدا والأهداف مشتركة وكل منهما خاضع لقيادة

---

(1) عدنان المشايخي: هو عدنان أحمد المشايخي, اخو الشيخ كاظم المشايخي من الإخوان القدماء خريج كلية التجارة, واشترك معي في لجنتين, اللجنة الطلابية ولجنة الإرتباط التي تدير شؤون الإخوان في المحافظات, وهو مازال حيا في بغداد.

الإخوان في حينه.

وفي أوائل سنة 1971م اكتشفت حكومة البعث تنظيما إخوانيا فالقت القبض على قيادته, لكنها لم تلقِ القبض على الدكتور عبد الكريم زيدان, فالقي القبض على كل من الأخ المحامي داود العيثاوي الذي توفي بعد الاحتلال إثر إصابته بمرض أقعده عن الحركة, وكامل محمد علي (أخو قاسم حمودي صاحب جريدة الحرية) وقد توفي في حادث في الإمارات, والأخ منير حميد البياتي[1]والأخ عبد الرحمن داود العبيدي[2] -رحمه اللـه-, وفر كل من الأخ عبد المنعم صالح العلي[3], والأخ عبد الحكيم المختار من إخوان الأعظمية إلى الكويت, وفر الأخ علي صالح السعدون إلى سوريا بجواز سفر غير رسمي فأخبر عنه أحد السوريين, فألقت القبض السلطات السورية عليه وحققت معه فتبين لها أنه مطلوب من السلطات العراقية وكان هناك خلاف شديد بين الحكومتين مع أن البلدين محكومان من قبل حزب البعث, وكان البعث قد انقسم إلى قسمين حزب البعث العراقي وحزب البعث السوري, فحكمت السلطات على الأخ علي صالح السعدون بالإقامة الجبرية في حلب ولم تصادر جوازه بل أبقته معه, فطلب مني الدكتور عبد الكريم زيدان أن أسعى للحصول

---

(1) منير حميد البياتي: تخرج من كلية الحقوق في بغداد, ونال درجة الدكتوراه من كلية الحقوق في القاهرة عمل مدرسا في كلية الشريعة, ثم نال درجة الأستاذية , وخرج من العراق أيام الحصار فاشتغل في اليمن ثم في ماليزيا ثم في جامعة الزرقاء الأهلية في الأردن عميدا لكلية الحقوق فيها وهو الآن يعمل في معهد للقضاء في الرياض.

(2) الأخ عبد الرحمن داود العبيدي ولد سنة 1931 نشأ في بغداد ونال شهادة البكالوريوس تخصص محاسبة في كلية التجارة، واشتغل في المديرية العامة للبرق والبريد والهاتف في بغداد إلى أن أحيل على التقاعد، نشر عدة كتب أغلبها قصصية وغالبها نشرت باسم والده، وتوفي سنة 1990.

(3) عبد النعم صالح العلي: تخرج من كلية الحقوق, والف كتبا دعوية كثيرة, واشتهر باسم محمد أحمد الراشد وهو شخصية إسلامية لها مكانتها في كثير من البلاد الإسلامية, وهو الآن مستقر في ماليزيا.

على جواز سفر من إحدى البلاد العربية للأخ علي أو أسعى إلى إخراجه من سوريا, فتوجهت إلى الأردن واتصلت بالأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان في الأردن, وعرضت عليه مشكلة الأخ علي وهل بالإمكان الحصول على جواز سفر أردني له؟ ولكنه اعتذر وقال لن تستطيع ذلك, فذهبت إلى سوريا واتصلت بالإخوان هناك لعلهم يساعدوننا في الحصول على جواز سفر سوري أو غير سوري, فلم أنجح في ذلك, فعدت إلى الأردن مرة أخرى, وحاولت مع الإخوان الأردنين ممن أعرفهم لاسيما أولئك الذين كانوا يدرسون في العراق, فلم أفلح في ذلك فعدت مرة أخرى إلى سوريا, وتوجهت إلى حلب لأنني أعرف أحد الذين كانوا يدرسون في بغداد من الإخوان الحلبيين وأخوه نقيب الأطباء في حلب وهم من بيت معروف في حلب, فاتصلت بالأخ علي لأنني كنت أعرف الفندق الذي ينزل فيه, ولكنني نزلت في فندق آخر, واتصلت بالأخ الحلبي وأخذني إلى عيادة أخيه وشرحت له الموضوع, وقال لي: أحسن شيء هو أن نفكر في تهريبه إلى لبنان وبإمكانك أن تلحق به, ومن هناك يسافر إلى تركيا أو إلى أي بلد آخر, وبعد يومين أو ثلاثة استطاع الأخوان الحلبيون أن يهربوا الأخ علي صالح إلى لبنان وقد اتفقت معه أن ينزل في فندق معين لأنني كنت أعرف بيروت جيدا لكثرة مروري بها أيام دراستي في القاهرة ولحقت به, والتقيت به في بيروت ثم حجزت له بالطائرة إلى تركيا, وبعد أن لبث فيها أياما معدودة غادرها إلى السعودية, واستقر في الدمام وفتح مكتبا للمحاماة فيها, وفي سنة 1975م وأنا ذاهب إلى العمرة عن طريق الكويت إلتقيت به في الدمام, وصدر أيام حكم صدام عفو عن العراقيين الهاربين والمحكومين فعاد إلى العراق, وجرى معه تحقيق يسير ثم منح جواز سفر جديد, وعاد مرة أخرى إلى السعودية, ولم ألتقِ به بعد التقائي به في الدمام سنة 1975م وانقطعت صلته بعمل الإخوان منذ استقراره في السعودية وهو الآن مستقر في أمريكا.

الصراع السياسي

يتمثل الصراع السياسي في اتجاهين الأول: الصراع مع السلطة، والثاني: الصراع الحزبي والفكري ،فمنذ سقوط الخلافة الإسلامية سنة 1924م، وقبلها نما الشعور القومي في العراق وغيره من البلاد العربية، ولمّا تشكلت الدولة العراقية سنة 1921م، كان المسيطرون على السلطة هم رجال الثورة العربية وبقايا الضباط العراقيين الذين كانوا يخدمون ضمن الجيوش العثمانية، وكانت هناك جمعيات سرية عربية تدعو إلى وحدة البلاد العربية، ولكن معاهدة سايكس بيكو قضت على آمال الجميع، فمزقت الأمة العربية وأصبحت جلّ دولها محتلة من قبل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا بل حتى أسبانيا، ووضع العراق تحت الإحتلال البريطاني إلى أن توج الملك فيصل الأول ملكا على العراق، فتحول الإحتلال إلى انتداب وكانت للسلطات البريطانية صلاحيات واسعة في الإشراف على جميع مؤسسات الدولة،وكان للحكومة البريطانية مندوبون يتولون تسيير البلاد، وهم مجموعة المندوبين الساميين، ومن يرتبط بهم من المدنيين والعسكريين البريطانيين، وأنشئت قاعدتان جويتان في الشعيبة والحبانية، ثم أُبرمت المعاهدة البريطانية- العراقية سنة 1922م وواجهت هذه المعاهدة معارضة قوية من الشباب والطلاب وكثير من الساسة والجمعيات الوطنية السرية والعلنية.

واستمر الوضع يمشي رويدا رويدا نحو تأسيس الدولة العراقية الناشئة، ووقعت أحداث أثرت تأثيرا قويا على مسيرة الدولة، منها موت الملك فيصل الأول وما أثير حوله من شكوك، وتتويج الملك غازي الذي اتسم بروح وطنية وعلاقات وثيقة مع كثير من ضباط الجيش، لاسيما الذين زاملهم في الكلية العسكرية، ثمّ حدثت حركة بكر صدقي وتدبير الإنقلابيين قتل القائد العراقي جعفر العسكري، ثمّ القضاء على بكر صدقي، ثمّ مقتل الملك غازي الأول

سنة1939م في حادث غامض ما زالت الشكوك تحوم حوله، وكان لمقتله صدمة كبيرة هزت الشعب العراقي وامتدت الأحزان التي واكبته إلى البلاد العربية ولاسيما سوريا، وجاءت ثورة مايس سنة 1941م التي قام بها السيد رشيد عالي الكيلاني والعقداء الأربعة، صلاح الدين الصباغ، وكامل شبيب، وفهمي سعيد، ومحمود سلمان قائد القوة الجوية، ومحمد يونس السبعاوي يؤازرهم مفتي فلسطين أمين الحسيني، وهروب الأمير عبد الإله ونوري السعيد وقسم من رؤساء الوزارات السابقين، ثمّ القضاء على الثورة من قبل الجيش البريطاني المتمركز في قاعدة الحبانية ودخول الجيش البريطاني بغداد وتشكيل (لجنة الأمن الوطني) برئاسة أمين العاصمة (أرشد العمري) للإشراف على إدارة الدولة.

وكان صراع دول المحور والحلفاء قد أدى إلى بروز الحركة النازية في العراق، وكان جمهور الشعب يميل إلى دول المحور، وكان للإذاعة العربية في برلين أكبر الأثر في إثارة هذه النزعة، وكان للمذيع العراقي (يونس البحري) صوت قوي يجلجل في ربوع العراق، وكان للأحزاب اليسارية والقومية نشاطها في تأجيج الحراك السياسي ضد الحكومة الموالية للإنكليز والغرب، والعمل السياسي في هذه الحقبة متسم بالسرية في غالب الأمر، وكان للصحافة تأثير كبير في ترسيخ الوعي السياسي الوطني، ولم يتحرك الشارع بقوة إلاسنة 1948م، إذ ظهرت في هذا العام قضيتان، الأولى: تقسيم فلسطين وبروز القضية الفلسطينية، والثانية: عقد المعاهدة البريطانية-العراقية في الميناء البريطاني بورت سموث، وبهذا سميت، وذلك بين رئيس الوزراء البريطاني مستر بيفن ورئيس الوزراء العراقي صالح جبر الشيعي، وسميت أيضا معاهدة (بيفن- جبر)[1]، فهاجت

(1) معاهدة بورت سموث: لم تختلف عن معاهدة 1930م, ولكن الاختلاف وقع في ملاحقها التي اضافت امتيازات جديدة لبريطانيا, منها حصول بريطانيا على امتيازات خاصة كالحفاظ على قواعد عسكرية والحق في المرور باراضيه وقت السلم والحرب, وارتباط السياسة الخارجية العراقية بالسياسة البريطانية أو بسياسة الاحلاف الغربية, وضمان المصالح الإقتصادية وبصورة خاصة الثروة النفطية وبقاء السوق العراقية مفتوحة للتجارة البريطانية.

الجماهير العراقية في بغداد وكافة المدن العراقية، وكنا يومذاك صبيانا فشاركنا في التظاهرات والتجمعات، وسمي هذا العام عام الوثبة، وكان الصراع السياسي موجها، ضد الحكومة وموالاتها للإنكليز والغرب، وبرزت قوى شيوعية ويسارية وقومية، مع بروز صوت إسلامي في بغداد منطلقا من كلية الشريعة في الأعظمية بقيادة العالم محمد محمود الصواف، وكان حزب الإستقلال يقود تحركات القوميين العرب وكان للشباب القومي بروز قوي في التحركات الوطنية والقومية، وبرز النشاط الشيوعي واليساري، وكان للشيوعيين عدة تنظيمات سرية، ويؤازرهم جميع اليساريين، وفي مقدمتهم الحزب الوطني الديمقراطي بزعامة كامل الجادرجي ومحمد حديد، ولم يكن للبعثيين وجود آنذاك، فالحزب تأسس في سوريا سنة 1947م، ولما يمتد نشاطه إلى العراق، وقد واكب هذا الصراع الشعبي - الحكومي صراع آخر بين التوجهات الشيوعية واليسارية من جهة وبين القوى القومية والإسلامية والوطنية من جهة أخرى وقد ارتفعت وتيرة هذا الصراع بعد ثورة 14تموز سنة 1958م، وفي بدء الثورة انحاز الزعيم عبد الكريم قاسم إلى صف الشيوعيين واليساريين، والذي دفعه لذلك موقف إذاعة صوت العرب ومذيعها المعروف (أحمد سعيد) وانحياز القوميين العرب إلى صف الرئيس جمال عبد الناصر، فتولد عند الزعيم عبد الكريم قاسم خوف شديد على سلطته، فاستغل الشيوعيون هذا الشعور فتمادوا في طغيانهم واتسموا بروح فوضوية بعيدة كل البعد عن روح الوطنية والأخلاق العربية الإسلامية، فتكتلت جميع القوى السياسية المناهضة للشيوعية من قومية ووطنية وإسلامية ضد الشيوعيين، وحصل صراع عنيف في الشارع وفي الكليات والمدارس.

وتشكلت في جميع الدوائر الرسمية والكليات والمدارس لجان، سميت لجان صيانة الجمهورية مارست كل أساليب العنف والإضطهاد للقوى المعادية للشيوعية، وجرى صراع عنيف داخل الكليات والمدارس وحصلت اصطدامات

بين الطلبة المتخاصمين سياسيا، وكان هذا الإصطدام متمثلا بالهتافات والمؤتمرات، ومارس الشيوعيون الإعتداءات على خصومهم من القوميين والإسلاميين فاضطربت الدراسة في بعض الكليات، وكنا في كلية التربية نعاني ضغوطا ومتابعات واعتداءات متكررة من الشيوعيين، وحصلت اشتباكات بالأيدي والحجارة بين الطلاب الزملاء في الدراسة والمواطنة، ومن حسن حظ الجميع أنه لم يحصل أيّ اشتباك بالسلاح، وكان الشيوعيون وحدهم الذين يحملون السلاح، سلاح المقاومة الشعبية الذراع المسلح المساند لحكومة الزعيم عبد الكريم قاسم، وآخر هذه الإصطدامات حدثت في كلية التربية التي كانت معقلا للشيوعيين في كانون الثاني سنة 1962م، قبل إمتحان نصف السنة، فاستدعاني العميد الدكتور محمود غناوي الزهيري-رحمه الله- وطلب مني حلا لإيقاف هذه الإصطدامات، فاقترحت عليه أن يقدم عطلة نصف السنة ويجعل الإمتحان بعد العطلة، ويغلق المطعم والأقسام الداخلية ويعطل الدراسة فسيضطر الطلبة على السفر إلى مدنهم فتهدأ نفوسهم، وإذا عادوا سيواجهون الامتحان فيشغلهم عن الصراع والتخاصم، فاقتنع العميد بهذه الفكرة واتخذ الإجراءات اللازمة لذلك، فهدأت الأمور.

وحصلت في الشارع العراقي في كثير من مناطق بغداد وقسم من المدن العراقية فصل سياسي وفكري منذ أن هاجم الزعيم عبد الكريم قاسم الفوضويين (ويعني بهم الشيوعيون) في خطابيه المشهورين، بعد فشل حركة الشواف شهر آذار1959م، وفي الذكرى الأولى لانتصار ثورة 14تموز، ولاسيما خطابه في كنيسة مار يوسف الأرمنية في ساحة الطيران ببغداد الذي أشرنا إليه سابقا، فقامت الأجهزة الأمنية بمتابعة الشيوعيين واعتقلت قسما منهم، فضعف صوت الشيوعيين وبدأت بعض الصحف تهاجمهم، وتكشف عن خططهم، وخاصة جريدة الثورة وجريدة بغداد، فقوت شوكة الجبهة المناهضة للشيوعيين

وبدأ حزب البعث ينشط، وبدأ الطلبة البعثيون في الجامعة وفي المدارس الثانوية يبرزون، ففي أواخر سنة1961م عقد مؤتمر طلابي في ساحة كلية الطب أعلن فيه عن تأسيس إتحاد بقيادة حزب البعث أطلق عليه (الإتحاد الوطني لطلبة العراق) شاركت فيه جموع من طلبة الجامعات والثانويات، ولكن هذا الإتحاد لم يحظ باعتراف رسمي من الدولة، وبقي الإتحاد العام لطلبة العراق الذي يقوده الشيوعيون هو الإتحاد المعترف به من السلطة وجرت انتخابات طلابية، شاركنا فيها نحن الإسلاميين مع القوميين والبعثيين بجبهة واحدة، وتقدمنا بقائمة موحدة باسم (الجبهة الطلابية الموحدة) وفازت بالانتخابات قائمة الشيوعيين باسم (الجبهة الديمقراطية الموحدة)، وكل الانتخابات التي جرت أيام حكم عبد الكريم قاسم فاز بها الشيوعيون، وأسسنا نحن الإسلاميين رابطة باسم (الرابطة الطلابية المستقلة) وكنا نصدر المنشورات في المناسبات الوطنية وعند حدوث الإضطرابات، وعقدنا مؤتمرا طلابيا في ريف ناحية الكرمة، درسنا فيه الوضع العراقي العام والوضع الطلابي، وكان لنا وجود في كثير من الكليات وفاز مرشحنا في كلية الشريعة الأخ سرحان فاضل السامرائي-رحمه اللـه- بمركزممثل كلية الشريعة، ثمّ حدث إنقلاب 14رمضان- 8 شباط سنة1963م على الزعيم عبد الكريم قاسم، بزعامة عبد السلام عارف –رحمه اللـه – ومشاركة القوميين والبعثيين، وتشكل ما يسمى (الحرس القومي) من البعثيين ومارس انواعا شتى من الضغط والإرهاب والإعتداءات، ونال الشيوعيين القسط الأكبر من ذلك، وأصبحت مقرات الحرس القومي مراكز للإعتقال والتعذيب، وانحسر المد الشيوعي، وطغى البعثيون، وجرى صراع خفي بين البعثيين ورئيس الجمهورية عبد السلام عارف-رحمه اللـه-، وكنا نحن الإسلاميين نميل إلى كفة رئيس الجمهورية، وفي 18 تشرين الثاني قام الرئيس عبد السلام بحركة استهدفت الحرس القومي والبعثيين فاستطاع أن يبعدهم عن المشاركة في الحكومة ويحل الحرس القومي، وهوجمت مقرات الحرس القومي في كل مدن العراق،وجرت

حوادث أودت بحياة كثير من البعثيين في بغداد وغيرها من المدن.

وهذه الأحداث لم تؤثر على عملنا الإسلامي، وكان الخلاف الذي نشب بين الرئيس جمال عبد الناصر والإخوان في مصر قد إنعكس علينا في العراق فاحتدم الصراع بيننا وبين القوميين المؤيدين للرئيس عبد الناصر، وكان صراعا فكريا وسياسيا ليس فيه عنف وكنا نعالج الأمور بالحكمة ونتحاشى الإصطدام، وجرت أيام الحكم العارفي إنتخاب نقابة المعلمين، فتقدمنا بقائمة باسم (الجبهة التعليمية المستقلة) على رأسها الكتور محمد حامد الطائي، والأستاذ، عايف حبيب العاني، والأستاذ حمدان طوقان-رحمه الله- وكنت أنا ممثل القائمة والمتحدث باسمها، وكانت هناك ثلاث قوائم أخرى، قائمة الحزب الإشتراكي العربي (ناصري التوجه) يرأسها الدكتور مالك دوهان الحسن ويعاونه، الأستاذ عبد العال الصكبان -رحمه الله- وقائمة للبعثيين يرأسها الدكتور عبد الستار الجواري-رحمه الله- ويعاونه الأستاذ خير الله طلفاح والأستاذ طه القيسي، وقائمة المستقلين يرأسها الدكتور عبد الرزاق الجليلي-رحمه الله- وكان لها إسناد من الحكومة، وقد فازت قائمة الجليلي في بغداد، وقائمة الحزب الإشتراكي العربي، في المحافظات، وفزنا في الأنبار وفرع الكرخ، وكنا نأمل بأن نفوز في بغداد والذي حال دون ذلك هو العنصر النسوي حيث لم يصوت لصالحنا،وهذه المرة الأخيرة التي جرت فيها انتخابات نقابة المعلمين في ظل التعددية، ولما سيطر البعثيون بعد انقلاب 17-30 تموز سنة 1968م انفرد البعثيون بالنقابة ولم تنافسهم أيّ قائمة، لأن البعثيين لم يسمحوا لأي جهة أن تعمل لا في المجال المهني ولا في المجال السياسي واصبحت نقابة المعلمين وجميع النقابات الأخرى واجهات لحزب البعث، فساد حكم الحزب الواحد في مجالات الحياة، وكان قانون النقابة منذ تأسيسها يفرض على جميع المعلمين أن ينتموا إلى النقابة، ثمّ عدل هذا النظام، فصار الاشتراك في النقابة اختيارا، فقل منتسبوها وضعف نشاطها، وفقدت مكانتها.

حل التنظيم

بعد أن اكتشفت الحكومة قيادة الإخوان قرر الدكتور عبد الكريم بعد التشاور مع من بقي داخل العراق من القيادة أن يحل التنظيم, على أن يبقى العمل الدعوي مستمرا, وبقيت أزاول عملي الدعوي سواء أكان ذلك مع الطلاب في الكلية أو مع المواطنين داخل بغداد وخارجها, ولاسيما في محافظة الأنبار, وأتشاور مع الدكتور عبد الكريم فيما يستجد من أحداث وكنت أراجعه دائما, وألتقي في بيتي مع مجموعة من الإخوان بصورة دائمة, وفي سنة 1976م اتصل بي الأخ حسام النعيمي وقال لي: إن هناك مجموعة من الشباب عندهم تنظيم وعمل يرغبون بأن تكون لهم صلة بإخوانهم الكبار, فسألته من يقود هؤلاء الإخوان؟ فقال: أخ مهندس اسمه أياد السامرائي, فسألته من كان مسؤول أياد؟ فقال: فلان, فاستدعيت هذا الأخ المسؤول عن أياد إلى بيتي, فسألته عن أياد ولم أكشف عن الموضوع كله, وقلت له: هل تستطيع أن تحضر الأخ أياد صالح السامرائي لألتقي به؟ وقصدي أن أعرف مستواه وقابليته دون أن أوضح لهذا الأخ عن مرادي وغرضي, فجاء الأخ أياد وجلست معه نتحدث أحاديث عامة, فوجدته شخصا متزنا ويصلح أن يكون قائد عمل إخواني, ثم استدعيته مرة أخرى فأصبحت مقتنعا بأنه يصلح للقيادة, فاتصلت بالدكتور عبد الكريم وأخبرته بأن هناك مجموعة من الشباب عندهم عمل منظم يريدون أن تكون لهم صلة بنا, ورشحت الأخ حسام سعيد النعيمي ليكون الرابط بيننا وبينهم, وقلت للأستاذ عبد الكريم: إن لم نحتوِهم الآن فإنهم في المستقبل سيشكلون جيبا يصعب السيطرة عليه, فوافق بعد نقاش يسير, وفي اليوم الثاني وقبل أن أبلغ الأخ حسام سعيد بموافقة الأستاذ عبد الكريم جاءني الأخ داود سلمان العيثاوي وهو مستشار الأستاذ عبد الكريم فأبلغني أن الأستاذ قد تراجع

عن قراره لأن هذا معناه إعادة التنظيم وقرارنا يقتضي حل التنظيم, فتوقفت عن تبليغ الأخ حسام وأغلق الموضوع, وكان هذا القرار قرارا غير حكيم أدى إلى اتساع تنظيم شبابي لاعلاقة له لابالجماعة ولا علاقة له بقيادتها, وا تسع هذا التنظيم فامتد إلى سامراء وديالى والبصرة والأنبار, وكنت أرقب نشاط بعض الإخوان المنضوين تحت هذا التنظيم وأشجعهم من طرف خفي, وكان الظرف الأمني صعبا, وكان كثيرا ما يُلقى القبض على أفراد من الإخوان ويحكم على بعضهم بالإعدام, وكنا نحاول مع الأستاذ عبد الكريم لعلنا نجد صيغة نضمن بها إستمرار العمل والمحافظة على تماسك الإخوان وارتباطهم بالدعوة, وفي سنة 1987م أيام اشتداد المعارك في نهر جاسم زرنا أنا والدكتور نصرت الدوري-رحمه الـلـه- الدكتور عبد الكريم في بيته, وجرى بيننا وبينه حوار مستفيض وافق على أن نقوم بإجراء إتصالات مع الإخوان في نينوى والأنبار, وقبل أن نبدأ بإتصالاتنا حدث أمر جعلنا نتوقف عن ذلك, فقد اكتشفت الجهات الأمنية التنظيم السري لشباب الإخوان فألقي القبض على مجموعة كبيرة يقدر عددها حوالي سبعين شابا, جلهم مهندسون وهو التنظيم الذي كان الأخ أياد يقوده والذي أشرت إليه سابقا , وكان أياد قد ترك العراق وأوكل قيادة التنظيم إلى أخ آخر, فلم يكن الأخ أياد ضمن المعتقلين, وقدموا للمحاكمة فصدرت الأحكام ببراءة بعضهم, وحكم على بعضهم بمدد متفاوتة, وحكم على خمسة منهم بالإعدام وجلهم مهندسون, وهم: الأخ المهندس ماهر عيسى نجم[1]من البصرة, والأخ المهندس محمد حمزة الدوري[2], والمهندس الزراعي صبار السامرائي[3],

---

(1) ماهر عيسى نجم: من البصرة, والده قاضٍ فيها, هاجر إلى بريطانيا, وتوفي هناك سنة 1994م.

(2) محمد حمزة الدوري: هاجر إلى أحدى الدول الأوربية وما زال هناك.

(3) صبار السامرائي: خريج كلية الزراعة في بغداد توفي أيام الحصار على العراق.

والمهندس محمد فاضل السامرائي[1], والدكتور عصام كاظم الراوي[2].

وعند انتهاء الحرب العراقيية-الإيرانية حدث تقارب بين الرئيس صدام والحركات الإسلامية, فأعلن صدام ميلا للإسلام, وفي مؤتمر الحركات الإسلامية في بغداد أعلن أنه سيرفض أي تعارض بين أفكار حزب البعث والإسلام, فلقي تأييدا واسعا من المؤتمرين وكان ضمن المؤتمر الزعيم السوداني سوار الذهب, فاقترح عليه أن يضمن عبارة (اللـه أكبر) على العلم العراقي, فاستجاب لطلبه, فتقدم قسم من المشاركين في المؤتمر طلبا للرئيس يلتمسونه أن يصدر عفوا عن الإخوان الذين صدرت بحقهم عقوبات من قبل المحكمة, فأطلق سراح المحكومين بالسجن وخفف حكم الإعدام الصادر بحق الخمسة المذكورين إلى السجن المؤبد, ثم عفا عنهم بعد الأحداث التي أعقبت كارثة غزو العراق للكويت وكانت بواسطة شفاعة الحركات الإسلامية العربية أيضا.



(1) محمد فاضل السامرائي: من قيادات الحزب الإسلامي وهو الآن في بغداد رئيس إدارة مصرف دجلة والفرات.

(2) الدكتور عصام الراوي: أستاذ علم الجيولوجيا في الجامعة المستنصرية, قتلته المليشيات الإرهابية سنة 2006م في بغداد.

العمل بعد حل التنظيم

الحرب العراقية-الإيرانية التي دامت ثماني سنوات قد أدت إلى زيادة التوجه الديني في أوساط المجتمع العراقي, وقد ساعد على زيادة هذا التوجه أن صدام حسين تبنى الحملة الإيمانية وفرض على قيادات الحزب أن يثقفوا أنفسهم بالثقافة الإسلامية, فانتفع الإخوان من هذا التوجه فنشطوا في مجال الدعوة, فبدأت بالتعاون مع مجموعة من الإخوان بنشاط ديني دعوي يهدف إلى تقوية التوجه الإسلامي في المجتمع, فأسهمنا في نشر الحجاب, وكنا نوزع الحجاب مجانا لكل من تريد أن تتحجب, وسعينا إلى بناء المساجد في المناطق الخالية منها, وقمنا بحملة واسعة في تنشيط دورات تحفيظ القرآن في المساجد ووزعنا مئات الآلاف من أجزاء القرآن الكريم, لاسيما جزء (عم وتبارك وقد سمع والذاريات), وقدمنا الهدايا للمتخرجين من هذه الدورات, ونشرنا مجموعة من الكتب الإسلامية الفكرية والعقدية, وقمنا باستنساخ الكتب والرسائل الإخوانية, لاسيما رسائل الإمام حسن البنا, وقمنا بجولات إلى مختلف المناطق, فذهبنا إلى السماوة والبصرة وديالى وسامراء وتكريت والبيجي والموصل وكركوك والرمادي والفلوجة, وحثثنا الإخوان في هذه المناطق وغيرها أن يتحركوا, فاستجاب الإخوان في كل مكان وصلنا إليه, وحدثت نهضة دعوية إخوانية في جميع أرجاء العراق, وكنا في بغداد نقوم بعقد جلسات تثقيفية في جميع أنحاء المدينة في الأعظمية وحي الشعب والكرادة والكرخ بمناطقه المختلفة.

وكان الإخوان الميسورون يمدوننا بالمال ولا يترددون في ذلك, ولمّا حل الحصار ازداد نشاطنا وكنا ندفع إعانات مجزية لأئمة المساجد والمدرسين وأساتذة الجامعات, ولم نلق أي إعاقة من الجهات الأمنية, وكنت في الكلية أوزع المصاحف والحجاب على مرآى ومسمع الجهات الحزبية والأمنية, وكان عملنا

عاما بعيدا عن التنظيم لأن هدفنا هو زيادة الوعي الإسلامي والتنظيم هو وسيلة وليس غاية, ولمّا كانت غايتنا قد تحققت وهي بث الوعي الإسلامي, فكنت أعتقد أنه لا حاجة للتنظيم السري الذي قد يوقعنا بإشكالات مع الدولة, وفي سنة 1992م تبنت الدولة فكرة التعددية الحزبية, وصدر دستور فيه نص على أنه يجوز تشكيل حزب له صبغة دينية, فأرسل الدكتور عبد الكريم زيدان الأخ المحامي داود سلمان العيثاوي وكلفه بأن يتصل بي, لنقوم أنا وهو باستطلاع رأي الأخوان فيما يتصل بالتقديم لتشكيل حزب إسلامي, فقمنا باستطلاع رأي الإخوان في بغداد وفي مناطق أخرى, فذهبنا إلى البصرة والموصل وسامراء والرمادي, وعقدنا لقاءات كثيرة مع كثير من الإخوان, ولم نترك شخصية إسلامية بارزة إلّا واتصلنا بها, وكان الشيخ سامي الجنابي[1] من أشد المتحمسين لهذه الفكرة, وخصص لهذا الموضوع خطبة الجمعة في مسجد القدس الذي يخطب فيه وذكر الأدلة الشرعية والعقلية التي تدعو إلى تشكيل حزب إسلامي, وكان من المعارضين لهذه الفكرة الدكتور محسن عبد الحميد والدكتور حارث الضاري, وإخوان الموصل منهم الأستاذ غانم سعد الـلـه حمودات والشيخ إبراهيم النعمة, وكنت من الذين تبنوا هذا المشروع بل كنت مرشحا أن أتولى رئاسته, ولكن نتيجة الاستطلاع جاءت في غير صالح هذا المشروع, فالشباب كانوا من مؤيدي التقدم لتشكيل هذا الحزب ولكن كبار الإخوان كانوا معارضين, فأبلغنا الدكتور عبد الكريم بذلك, فصرف النظر عنه, وفي هذه السنة 1992م قررنا أن نتصل بالإخوان العراقيين الموجودين خارج العراق فسافرنا

(1) الشيخ سامي الجنابي: خريج كلية الشريعة في بغداد, مفكر وداعية وعالم, كان إمام جامع الحاجة فوزية في الرصافة, واستقطب جماهير الشباب ثم تولى إمامة جامع القدس في حي العامل وخطبة الجمعة, ترك العراق واستقر في الأردن, ثم ذهب إلى اليمن وأكمل درجة الدكتوراه وهاجر إلى النمسا وهو الآن يدير معهدا إسلاميا هناك.

إلى عمان والتقينا بمجموعة من الإخوان الذين يعملون في الأردن وخارج الأردن, فلما أبلغناهم أننا صرفنا النظر عن تشكيل حزب أعلنوا عن تشكيل الحزب الإسلامي العراقي في لندن وتولى رئاسته الدكتور أسامة التكريتي, وأصدروا جريدة (دار السلام), وجرى تعاون وثيق بيننا من غير أن نرتبط بهم تنظيميا.

وكان للإخوان في الخارج تنظيمهم الخاص بهم ولا علاقة له بالدكتور عبد الكريم زيدان, وحاولوا أن يكون لهم ارتباط بالتنظيم العالمي للإخوان, ولم يكن لنا نحن في الداخل أي علاقة بالتنظيم العالمي, والدكتور عبد الكريم لم يكن يؤيد ارتباطنا بهذا التنظيم لخصوصية الوضع العراقي الأمني, وكان على رأس التنظيم في الخارج الإخوة الدكتور أسامة التكريتي والأخ أياد السامرائي والأخ عبد المنعم صالح العلي المعروف باسم محمد أحمد الراشد, وفي لقاءاتنا معهم في الخارج كان يقود المباحثات والمفاوضات الأخ عبد المنعم صالح العلي ويبدو لي أنه هو المسؤول عنهم, وكان لهم امتداد في بريطانيا وأوربا ولهم اتصال وثيق بتنظيمات الإخوان في البلاد العربية والإسلامية بخلاف التنظيم العراقي الذي يرأسه الدكتور عبد الكريم زيدان, وكانوا يحاولون عزله لإصراره على عدم إعادة التنظيم في الداخل ولكبر سنه, ثم لخروجه فيما بعد من العراق واستقراره في اليمن, وكنت لا أؤيد عزل الدكتور عبد الكريم, وبذلت جهودا كبيرة من أجل إحياء الدعوة ولمّ صفوف الإخوان مع إبقاء علاقة جيدة بالدكتور عبد الكريم والتشاور معه في الأمور المهمة, ولكنني في الوقت نفسه لا أطلعه على جميع الأنشطة التي نقوم بها, ولمّا حدثت المشاكل في سوريا بين حكومة البعث والإخوان السوريين واضطر كثير من الإخوان السوريين أن يخرجوا من سوريا وجاء عدد منهم إلى العراق, طلب مني الدكتور عبد الكريم أن أساعدهم ماليا, ثم طفقت أجمع لهم الإعانات من الإخوة العراقيين الميسورين وكان الوضع

الإقتصادي للعراقيين آنذاك جيدا وخاصة أيام الحرب العراقية-الإيرانية, ولمّا حصلت نكسة الكويت وفرض الحصار وتردت الأحوال الإقتصادية توقفنا عن تقديم المساعدات سواء أكانت للإخوة السوريين أم للفلسطينين أم لغيرهم, ولكننا استمر جمعنا للمال, لإنفاقه على أنشطة العمل الإسلامي ولإعانة المحتاجين من العاملين في الدعوة من أئمة المساجد وأساتذة جامعات ومدرسين وبناء المساجد و الصرف على دورات تحفيظ القرآن وغير ذلك من الأنشطة, وكان إخواننا في الخارج يقدمون لنا الإعانات بصورة مجزية ومستمرة, وركزت في عملي على الدعوة العامة والنشاط العام وتكوين العلاقات مع الإخوان في كافة مناطق العراق, لم أكن في يوم من الأيام عضوا في قيادة الإخوان لا في زمن الأستاذ الصواف إذ كنت يومذاك يافعا ولا في زمن الدكتور عبد الكريم, لا قبل حل التنظيم ولا بعده، وإن كنت عضوا في الهيئة التأسيسية للإخوان منذ سنة 1954م، أي من أول تشكيل الهيئة التأسيسية، وكان عمري يومذاك (24) سنة، وكان أغلبنا شبابا، وعلى جهود الشباب وخاصة الطلبة نشأت دعوة الإخوان في العراق وغيره.

وفي سنة 1993م بلغ نشاطنا ذروته وسط مخاوف شديدة فعيون السلطة ومتابعتها لأي نشاط غير بعثي قوية، ولكننا كنا نعمل بهمة وعدم إكتراث متوكلين على الله، فعملنا كله منصب على العمل الديني والدعوة إلى الله، والبعثيون يتخوفون من أي عمل جماعي، منظما أم غير منظم سياسيا أم غير سياسي، ولم يكن عملنا بخافٍ على الأجهزة الحزبية أو الأمنية، في هذه الأثناء اتصل بي الأخ محسن عبد الحميد وكان يعلم بعملنا ولكنه لم يشارك فيه، فأخبرني أن أحد ضباط الأمن ممن كانوا يحضرون خطبة يوم الجمعة في جامع الرحمن في حي الخضراء، طلب منه أن يتصل بي ليبلغني أن السلطات تراقب نشاطي، وأنه عليّ أن أختار أمرا من أمرين: الأمر الأول أن أتعاون مع

السلطات الأمنية، والثاني أن أعمل مع الأوقاف، فإن لم أوافق على أحد هذين الأمرين فعليّ أن أغادر العراق إلى أي بلد، فلم أوافق على أيٍّ من الأمرين، وجرى عليّ ضغط من كثير من الأخوان العاملين معي أن أغادر العراق، وكان هذا الأمر مبعثه الخوف من أن أعتقل وقد يؤدي إعتقالي إلى الكشف عن العاملين والمتعاونين معي، فرضخت لهذا الأمر، وقدمت طلبا للجامعة للموافقة على سفري والعمل خارج العراق، ولم تتم الموافقة، فقررت أن أترك العراق، فسافرت إلى الأردن يوم 1994/9/22م، وبعد يوم واحد عينت في جامعة الزرقاء الأهلية في مدينة الزرقاء، وكان رئيس الجامعة الدكتور إسحاق أحمد فرحان من رموز الإخوان ومن رجال التربية والتعليم المشهود لهم في الأردن.

ثمّ لحقت بي أسرتي يوم 1994/10/7م، وفي هذا اليوم جرى في العراق أكبر حملة اعتقالات في صفوف الشباب الملتزمين بالدين من أبناء السنة وكان جلهم من الإخوان، وأدلى بعضهم باعترافات تدينني.

العمل في الأردن

استقر وضعي في الأردن واتصلت بالإخوان العراقيين وكانت لي معرفة سابقة بأغلبهم، ولم أكون أيّ علاقة مع الإخوان الأردنيين، سوى تلك العلاقات التي تفرضها طبيعة العمل في الجامعة، والجامعة كانت بإدارة جماعة الإخوان الأردنيين، وأغلب الأساتذة والإداريين من الإخوان، ورئيس مجلس أمناء الجامعة الدكتور عبد اللطيف عربيات من قادة الإخوان، وكنت أعرفه مذ كان طالبا في كلية الزراعة جامعة بغداد في أواخر العهد الملكي وأوائل العهد الجمهوري حيث تخرج في العام الدراسي 1959/1958م، وسكنت في مدينة الزرقاء في حي (جبل طارق) القريب من الجامعة، وفي السنة الثانية أسندت لي عمادة كلية الآداب وعمادة كلية الشريعة، ثمّ أعفيت من عمادة كلية الشريعة، وبقيت عميدا لكلية الآداب مدة سنتين أخريين، ثمّ أعفيت من عمادة كلية الآداب، وبقيت أستاذا، واستمرت خدمتي في جامعة الزرقاء عميدا وأستاذا مدة تسع سنوات، وفي نهاية السنة التاسعة قررت أن ألغي عقدي مع الجامعة وأعود إلى بغداد، وتزامن قراري هذا مع سقوط بغداد والإحتلال الأمريكي للعراق.

كان همي منصبا على العراق وما يعانيه من ظروف صعبة أيام الحصار وكنت أشعر بالغربة، وأسأل اللـه دائما ألاّ يحبب لي الغربة، وأدعو إخواني أن يوجهوا أنظارهم إلى العراق ويسعوا إلى الرجوع إليه في أقرب فرصة، ومن الأردن كنت أنظر إلى العمل الإسلامي في العراق، فسعيت إلى جمع الإعانات وإرسالها إلى العراق، بالتعاون مع مجموعة من الإخوان في العراق، وكان جمعي للمال موزعا على أنشطة هي:

1- تقديم الإعانات المالية للمحتاجين، من أئمة مساجد ومدرسين وأساتذة

جامعات وعلماء عاملين في مجال الدعوة الإسلامية.

2- بناء المساجد في مناطق مختلفة من العراق .

3- تقديم مستلزمات الحجاب من جلابيب وغيرها.

4- إرسال كميات كبيرة من المصاحف وأجزاء القرآن الكريم وكل ما تحتاجه دورات تحفيظ القرآن من مبالغ لتقديم الهدايا للمشاركين في هذه الدورات.

5- أثمان أضاحي العيد.

6- الكتب الإسلامية ولاسيما الفكرية والدعوية.

وكنت أقوم بزيارات إلى دولة الإمارات وقطر والسعودية لجمع المال اللازم وأتعاون مع الموسرين من الإخوان في هذه الدول وفي الأردن كذلك وأتصل بجمعيات خيرية كثيرة، وآخذ كتب تزكية من علماء لهم مكانتهم في المجتمع الإسلامي، مثل الدكتور يوسف القرضاوي والأستاذ عبد الـلـه عقيل وبعض المسؤولين في الأوقاف. وفي إحدى زياراتي لدولة الإمارات ذهبت إلى إحدى الجمعيات وجلست أنتظر مدير الجمعية فرأيت جريدة الخليج وقرأت في أول عمود فيها مقالا كان عنوانه (غربة النورسي)[1]، وكان ذلك يوم 1996/9/16م، وقرأت عبارة في أوله: (قال أبو حيان التوحيدي: أين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الإستيطان). فتأثرت بها، لأنها كانت تعبر عن وضعي تماما، فسجلتها في دفتر ملاحظاتي، ولما عدت إلى الأردن

(1) النورسي: سعيد النورسي عالم ومجاهد تركي،صوفي النزعة وكان متجردا للعبادة والعمل التربوي، أتباعه يسمون (النوريين) لهم انتشار واسع في تركيا وبلاد شرق أوربا، عندهم مدارس لتحفيظ القرآن الكريم وجامعةإسلامية وإذاعة، ترجم كتبه ورسائله إلى العربية الأستاذ إحسان الصالحي، توفي سنة 1960م .

كلفت سكرتيرة الكلية أن تكتب العبارة بخط واضح بواسطة الحاسوب، وعلقتها في غرفة الإستقبال، وكنت كلما أكتب رسالة إلى إخواني وأصدقائي من العراقيين أكتب لهم هذه العبارة، وأردفها بعبارة (ادعُ اللـه ألاّ يحبب الغربة إلينا). وكنت في الأردن أعمل كل ما أستطيع من أجل إسناد العمل الإسلامي في العراق، ولم أكن مرتبطا بأي تنظيم، صارفا جهدي للعمل العام الذي يهدف إلى إيجاد نهضة دينية ووعي إسلامي، ومؤمن إيمانا عميقا بفكر الإخوان المسلمين، وأنا في الأردن حضرت مؤتمرين للإخوان، الأول في ماليزيا في كوالالامبور والثاني في تركيا، بحثنا فيهما الوضع العام في العراق ووضع الدعوة الإسلامية بصورة خاصة، وشرحت للمؤتمرين ما أقوم به من جهد في سبيل إحياء الدعوة في العراق، وطلبت منهم مضاعفة الجهود من أجل إنجاح المشروع الإسلامي في العراق ومساندة الشعب العراقي في ظرفه الصعب وما يعانيه من ضيق بسبب الحصار، وكان جميع الحاضرين في كلا المؤتمرين من خارج العراق، ولا علاقة لهم بقيادة الدكتور عبد الكريم زيدان، وأنا وإن كنت مقرا بقيادة الدكتور لا أجد مانعا من التعاون مع إخوان الخارج لأن في ذلك مصلحة للعمل الإسلامي عامة والعمل الإخواني خاصة .

ولما كنت في العراق شعرت أن هناك إخوانا ممن أتعاون معهم يتحركون بصورة خفية لتشكيل تنظيم سري بعيدا عن سيطرة الدكتور عبد الكريم، فلم أعبأ بعملهم، لأني كنت منصرفا للعمل العام، وأسعى إلى إيجاد نهضة دينية متغلغلة في المجتمع، وكان يؤازرني في توجهي جملة من الإخوان الحركيين النشطين في مجال الدعوة، وبعد خروجي من العراق وصلت إليّ أخبار أن الإخوان من مختلف مناطق العراق قد اجتمعوا في مكان ما من المحمودية في رمضان سنة 1996م فانتخبوا قيادة ومراقبا عاما، وجاء المراقب العام إلى الأردن وزارني في بيتي، فقلت له: كيف أجازت لك نفسك أن تكون مراقبا عاما

والأستاذ عبد الكريم موجود؟ فقال لي: إن الإخوان قد ألحوا عليّ وجاءني الدكتور محسن عبد الحميد ورجاني أن أوافق، فوافقت، والغريب أننا لمّا كنا نعمل عملا عاما ليس فيه تنظيم كان الدكتور محسن يمتنع عن مشاركتنا في عملنا، وبعد أشهر قليلة اكتشف التنظيم واعتقل الدكتور محسن وإبراهيم عبد اللطيف (من إخوان البصرة) وآخرون، وأدلى أحدهم باعترافات عليّ أني كنت أمدهم بالمال، ثمّ تدخلت الجماعات الإسلامية فأطلق سراح المعتقلين وأغلق الموضوع.

العودة إلى العراق

اعتادت جامعة الزرقاء, مثلها مثل جميع الجامعات, أن توجه سؤالا إلى الأساتذة العاملين فيها, فيما إذا كانوا راغبين في تجديد عقودهم أم لا؟ فأبلغت الجامعة أنني لا أرغب في تجديد عقدي, لأنني قد عزمت على العودة إلى بلادي, وبلادي آنذاك تمرّ بمرحلة خطرة, فقد تجمعت الجيوش الأمريكية والبريطانية وجيوش أخرى لغزو العراق, وكنت أمرّ في حالة شعورية تثير في نفسي الألم والحزن, وأنا أنظر إلى بلادي, كيف ستدمر وتسحق, وأحسّ أن هناك مؤامرة تحاك ضدها, تهدف إلى تدميرها, كان ذلك في أوائل الشهر الثالث من سنة 2003م, ثم حلت الكارثة, وبدأت الحرب, وذهبت آنذاك إلى السفارة العراقية في عمان لأغير جواز سفري, وهي المرة الثانية التي أذهب فيها إلى السفارة مدة السنوات التسع التي قضيتها في الأردن, وأنا واقف في غرفة الاستعلامات تملكني شعور جياش, بلادي ستدمر وتمزق وتحرق, وأن الغزاة الطامعين قد عقدوا العزم على القضاء على العراق الأبي, أنا لا أنظر لمن يحكم العراق, أنظر إليه أنه بلدي, وبلد الشرفاء الأباة الذين أسهموا في بناء هذا البلد العزيز, بكيت والموظفون ينظرون إلي باشفاق فأخذني أحدهم وأدخلني إلى القنصل, فهدأ من روعي, واستفسر عمّا أريد؟ فقلت له, بعد أن كفكفت دموعي, وهدأت نفسي, أريد أن أغير جوازي مخافة ألّا تسمح لي السلطات الأردنية بالمغادرة, فهناك تعليمات تقضي بانهاء صلاحيات الجوازات المماثلة لجوازي, فقال لي القنصل: أن الجواز الجديد يحمل صورة صدام, وأنا شخصيا لم أغيّر جوازي, فقلت في نفسي: سبحان اللـه هذا القنصل حتما بعثي, ولولا صلته القوية بالحزب والحكومة والمخابرات لما عين في هذا المنصب المرموق, أنا لست من البعثيين بل

من خصومهم الفكريين والسياسيين, لا أسمح لنفسي أن أتكلم بمثل هذا الكلام في هذا الوقت الذي تمرّ به البلاد, فليس صدام وحده المستهدف بل العراق دولة وحكومة وشعبا, فكنت أحسّ أن يوما أسود سيحل ببلادي وشعبي, فالحقد الصليبي والصهيوني قد تجمع ليدمر العراق, فقد تجمعت أحقادهم وأطماعهم في نهب خيرات العراق والسيطرة على إقتصاده ونفطه واتخاذه نقطة ارتكاز للهيمنة على البلاد العربية والإسلامية, لما يتمتع به العراق من موقع استراتيجي وإقتصادي, واتخذت أكذوبة أسلحة الدمار الشامل ذريعة لغزوه, وقد أثبتت الأيام كذب هذه المزاعم.

وفي يوم 2003/4/9م كنت جالسا في غرفة رئيس جامعة الزرقاء الأهلية فاتصل بي طبيب عراقي مقيم في عمان هاتفيا فأخبرني أن بغداد قد سقطت, وأن الجيش الأمريكي قد احتلها, فلم أفاجأ, لأن كل المؤشرات تشير إلى تلك النتيجة الحتمية, ياله من خبر مفزع, بغداد عاصمة بلادي الحبيبة, دار السلام, دار الخلافة العباسية, بلد الرشيد ومنارة المجد التليد, عز العرب والإسلام يدنسها أشرار العالم, تتهاوى أمام جيوش الغدر, وتستباح أمام أنظار العالم, إنها صدمة أذهلت عقول أبناء العراق الشرفاء, الأخبار تتناقل ما جرى في بغداد من نهب وسلب وتدمير, لقد طمى الخطب حتى غاصت الركب, إنه أفزع كل عربي شريف ومسلم غيور, بغداد أمل العرب والمسلمين تدنسها دبابات الغزاة الأشرار الذين امتلأت قلوبهم حقدا, فصبوا جام غضبهم على بلاد الرافدين موئل الحضارة والعلم, فانطلقت جحافل الغوغاء لتقف في صف العدو الغادر, فعاثوا في الأرض فسادا, فنهبوا المصارف والآثار من المتاحف, وأحرقت المكتبات ونهبت الكتب, وانطلقت شرارة الطائفية الحاقدة, فهاجموا مساجد أهل السنة واغتصبوها, وأنقسم الشعب العراقي بين مؤيد للاحتلال واعتباره محررا, وبين من ينظر إليه على حقيقته محتل غاصب غازٍ, وبدأت المقاومة وانخرط فيها

شباب تهفو نفوسهم للموت في سبيل الـلـه, ودفاعا عن الوطن, وسط هذه الأحداث قررت أن أعود إلى العراق, فتوجهت يوم 2003/5/1م إلى بغداد, وهي المرة الأولى التي أرى فيها بغداد بعد غياب تسع سنوات, وعلمت أن ولدي(مثنى) قد أصيب برصاصة قناص أمريكي و اجريت له عملية في مستشفى الرمادي لأن مستشفيات بغداد قد غصت بالشهداء والجرحى, ومكثت في بغداد عشرة أيام, التقيت في تلك المدة بأهلي وأصدقائي وإخواني في العمل الإسلامي وتدارست معهم الوضع الذي تعيشه البلاد وأسست بالاتفاق مع مجموعة من الأساتذة الجامعيين جماعة سميناها (أصدقاء الكتاب) مهمتها جمع الكتب العلمية والتراثية لرفد المكتبات التي نهبت الغوغاء ما فيها من كتب أو أحرقت مثل: مكتبة كلية الشريعة وكلية الآداب والجامعة المستنصرية ومكتبة جامعة الموصل ومكتبة المجمع العلمي.

وبعد عشرة أيام قضيتها في بغداد عدت إلى الأردن لإنهاء علاقتي بجامعة الزرقاء, وتعاونت بعد عودتي المؤقتة إلى الأردن مع مجموعة من الأساتذة العراقيين المقيمين في الأردن في جمع الكتب وإرسالها إلى العراق مع السائقين المغادرين إلى العراق, وفي احتفال أقامته الجامعة بمناسبة إنهاء عقدي دعوت الأساتذة العراقيين العاملين في الأردن إلى العودة إلى العراق, وراسلت بعض معارفي ممن يعملون خارج العراق حثثتهم فيها أن يعودوا إلى العراق, فالبلاد بأمس الحاجة إليهم.

وبعد أن أنهيت علاقتي بجامعة الزرقاء عدت إلى العراق يوم 2003/6/16م, وأقمت في منزلي في حي العدل الواقع في جانب الكرخ والمحاذي للطريق السريع القادم من محافظة الأنبار وهو الذي يربط بغداد بالأردن وسوريا مرورا بمحافظة الأنبار, أسكنه منذ سنة 1971م بعد عودتي من القاهرة بعد إنهاء دراسة

الدكتوراه, وسكان حي العدل من الطبقة المتوسطة, من الموظفين وأساتذة الجامعة واطباء وأصحاب أعمال حرة, وغالبهم من المثقفين, وأصل حي العدل أرض زراعية حوّلت إلى منطقة سكنية وزعتها حكومة عبد السلام عارف إلى جمعيات بناء المساكن للموظفين وكانت وزارة العدل قد نالت القسط الأكبر من هذه المنطقة وهي أول جمعية أعطيت قطع سكنية في هذا الحي ولهذا سمي حي العدل, وهو حي نموذجي, صممته شركة بولندية اسمها بول سيرفيس وقدمته هدية للحكومة العراقية, وسكانه خليط من السنة والشيعة ولكن أغلب السكان سنة, وكنا نعيش في هذا الحي إخوة متحابين ونرتبط بعلاقة متينة مع الجميع, وفي الحي أكثر من مسجد للسنة يرتادها قسم ليس قليلا من إخواننا الشيعة.

وكان يتردد عليّ في منزلي كثير من الأصدقاء والإخوان ممن يحملون أفكارا إسلامية ووطنية, وكنا نتدارس الوضع الصعب الذي تمر به البلاد ونضع الخطط لإنقاذ العراق من التدهور والدمار الذي أصابه بسبب الإحتلال وتصاعد النزعة الطائفية التي طغت في البلاد, ولما قدمت إلى العراق بعد غربة دامت تسع سنوات وضعت أهدافا نصب عيني منها: جمع أبناء السنة للوقوف في وجه الهجمة الطائفية الشرسة التي استهدفتهم فاغتصبت وخربت مساجدهم ووُجهت حملة قاسية ضدهم وحُملوا أخطاء الحكومات منذ تأسيس الدولة العراقية إلى سقوط بغداد وإحتلال الجيوش الغازية للعراق, وكأنّ السنة هم الذين كانوا يحكمون العراق, وكأنّ الظلم لم يلحقهم كما لحق مكونات الشعب العراقي من شيعة وكرد وتركمان, إنّ السنة ورجالاتهم قد شاركوا في قيادة الحركة السياسية منذ تأسيس الدولة العراقية, والأحزاب الوطنية لم تعرف الطائفية فقد يكون رئيس الحزب شيعي وكثير من قياداته سنة مثل حزب الإستقلال ورئيسه محمد مهدي كبة ومن قادته فائق السامرائي وصديق شنشل وإسماعيل غانم, والحزب الوطني الديمقراطي رئيسه كامل الجادرجي السني ومن

قيادته سنة وشيعة, والحزب الشيوعي قياداته خليط من السنة والشيعة وغير المسلمين, حتى حزب البعث فأغلب قياداته شيعية بل المؤسسون الأصليون للحزب شيعة مثل فؤاد الركابي, بل الذي مكّن حزب البعث من السيطرة على الحكم في أول سيطرة البعث على البلاد هو ناظم كزار الشيعي, والقائمة التي أصدرها الأمريكان التي تضم خمسة وخمسين من قيادات البعث المطلوبين للعدالة تضم ثلاثة وثلاثين شيعيا, إنها فرية كبيرة أن يقال الحكم في العراق كان سنيا وأنّ الظلم الذي وقع على الآخرين مبعثه الطائفية، فحملوا السنة كل الأخطاء والجرائم التي ارتكبت منذ تأسيس الدولة العراقية إلى سقوط بغداد واحتلال الأمريكان للعراق إنها ادعاءات وأكاذيب روج لها أعداء السنة من أمريكان وطائفيين مردوا على الكذب، واستغلوا الصدمة التي واجهت المخلصين من العراقيين أثر سقوط بغداد المفاجئ واحتلال العراق، والفرية الأخرى التي روج لها أعداء السنة أنهم أقلية، لا تتجاوز نسبتهم عشرين بالمائة وأنهم اغتصبوا الحكم من الأغلبية الشيعية، والإحصاء الذي نشره وزير التخطيط السابق الدكتور مهدي الحافظ، وهو ليبرالي شيعي، أثبت فيه أن السنة يشكلون أكثر من خمسين بالمائة وأنهم أغلبية سكانية، وليس هناك إحصاء سكاني غير الذي نشرته وزارة التخطيط وفي ظرف يعاني فيه السنة من انكسار شديد، فهم بين مطرقتي الأمريكان والحكم الطائفي الغاشم.

والامر الغريب أن العرب أقرب الناس إلى العراق قد انطليت عليهم هذه الفرية، فكثيرا ما يشير إعلامهم إلى أن السنة أقلية ويرددون عبارة الأقلية السنية، ورب قائل يقول إن نتائج صناديق الإقتراع أثبتت أن الشيعة أغلبية، ولنعتبر هذا المقياس صحيحا، فكم هي مقاعد الشيعة بكل أطيافهم المتناحرة، النتائج المعلنة في إنتخابات آذار (2010) تشير إلى أن مقاعدهم (159) مائة وتسع وخمسون من أصل (325) ثلاثمائة وخمسة وعشرين مقعدا، فأين هي الأغلبية؟ ولنفترض

أن الإنتخابات نزيهة وأنها جرت بروح ديمقراطية، فهذه النتائج المقرّة من قبل الجميع، والجميع يعلم علم اليقين أن هناك أعدادا كبيرة من أبناء السنة لم يذهبوا إلى صناديق الإقتراع، لأسباب كثيرة، ناهيك عن أن أعدادا ضخمة من أبناء السنة قد هُجّروا من أماكنهم داخل العراق وخارجه،وأن المهجرين في الخارج لم يشارك منهم في الإقتراع إلّا نسبة ضئيلة إذا ماقيست بعددهم الضخم، فقد شارك منهم في سوريا والأردن أقل من سبعين ألف ناخب وهما البلدان اللذان يضمان أكبر عدد من المهجرين الذين غالبيتهم الساحقة من أبناء السنة.

ولنرجع إلى مسألة الحكم في العراق وليرجع أيّ منصف إلى ما كتبه حنا بطاطو وإلى ما كتبه عبد الرزاق الحسني فسيعرف أن الحكم في العراق قد شارك فيه أبناء العراق بمختلف طوائفه وأعراقه من سنة وشيعة وكرد وتركمان وغير مسلمين، نعم إن الذين أرسوا دعائم الدولة العراقية كان أغلبهم من العرب السنة من الذين شاركوا في الثورة العربية وممن كانوا يخدمون في الجيش العثماني، ولكن الحكم لم يكن حكرا عليهم، فقد شاركهم إخوانهم من الشيعة والكرد بل حتى غير المسلمين فأول وزير مالية كان يهوديا، وأول وزير معارف كان أبا المحاسن وهو جد المالكي، ناهيك عن رؤساء الوزارات والوزراء في العهد الملكي والجمهوري من أمثال محمد الصدر وصالح جبر وفاضل الجمالي وإبراهيم ناجي وجعفر أبو التمن، وإذا كان عهد البعثيين يمثل أسوأ مرحلة ولاسيما في عهد صدام، فقد كان جميع رؤساء الوزارات من الشيعة، ولم يتسلم سني واحد رئاسة الوزارة، هم كل من محمد حمزة الزبيدي وهو شيعي من المحاويل كان موظفا بسيطا في مستشفى الرمادي (كاتب تذاكر)، والدكتور سعدون حمادي وهو أيضا شيعي ومن مؤسسي الحزب.

إن أغلب الحركات الوطنية المناهضة للحكم في العهود الثلاثة، الملكي

وعهد عبد الكريم قاسم وعهد البعثيين قام بها زعماء أهل السنة من عسكريين ومدنيين أوشاركوا فيها، إبتداءا من حركة بكر صدقي، ومرورا بحركة رشيد عالي الكيلاني، والعقداء الأربعة، ويونس السبعاوي ومفتي فلسطين، ومجموعة ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وأحمد عبد العزيز شهاب، وانتهاءا بحركة الضابط محمد مظلوم الدليمي، وحركة الضباط الجبور، والدكتور راجي التكريتي، فالظلم قد عمّ جميع طبقات الشعب، فالحاكم في سبيل الحفاظ على سيطرته مستعد أن يقضي على من تسول له نفسه مزاحمته على مركزه، فكم من البعثيين من السنة والشيعة قد قضى عليهم صدام، فمن قتل حردان التكريتي؟ الذي أسهم في وصول الحزب إلى الحكم، ومن قتل عبد الرزاق سعيد النايف؟، ومحمد فاضل البياتي، والدكتور رياض حسين العاني، واللواء الركن صلاح القاضي، ومحمد عايش، وعبد الكريم الشيخلي، ومرتضى الحديثي، ومحمد محجوب الدوري، وعبد الخالق عبد الرحمن؟ وكلهم بعثيون وعرب سنة، الحاكم من أي طائفة حريص كل الحرص على كرسيه، لا تقولوا إن الظلم قد وقع على الشيعة والكرد فقط، نعم هناك ظلم عظيم وقع عليهما، ولكن الظلم أيضا وقع على العرب السنة، وهذا هو دين الحكام، وها نحن في مرحلة الديمقراطية والحكم للشعب، أيّ شعب هذا؟، وأيّ حكم هذا؟، الحكام هم الحكام، سيطرة وظلم وتعسف، فكلهم سواء، مثل نوري سعيد وعبد الكريم قاسم، الذي انقلب على الشيوعيين الذين أرسوا وثبتوا حكمه ودعموه، فسجنهم وعذبهم وأعدم قسما منهم، وصدام حسين وما فعله بأقرب المقربين إليه، والدكتور أياد علاوي الذي ضرب الفلوجة مع الغازي المحتل في معركة الفلوجة الثانية، وكنت مدعوا عنده لتناول الإفطار وكنت يوم ذاك رئيس ديوان الوقف السني فحذرته على مرأى ومسمع من المدعوين من مغبة هذا الأمر الذي

سيؤدي إلى قتل الأبرياء من أطفال وشيوخ ونساء، وضرب النجف الشيعية، وإبراهيم الجعفري الذي حدثت كارثة تفجير قبة الإمامين في سامراء في أيام حكمه، وما صحب ذلك من أعمال إجرامية بحق أبناء السنة في بغداد وحرق مساجدهم وقتل ما لا يقل عن ألف من أئمة مساجد أهل السنة ومصليهم وتجارهم، وقد ناشدته عبر وسائل الإعلام أن يفرض حضر التجوال لإيقاف نزيف الدم ولم يستجب، ونوري المالكي الذي ذبح الصدريين في البصرة والديوانية ومحافظات أخرى وهم الذين رجحوا كفته على منافسه إبراهيم الجعفري، ومذبحة كربلاء وقرية الإزيرج، هل قتلوا على يد حاكم سني، إنه الشيعي رئيس حزب الدعوة الشيعي ومرشح الأحزاب الشيعية نوري المالكي، هذا هو ديدن الحكام في كل زمان لاسيما في هذه البلدان التي يسيطر فيها على الحكم القائد الرمز والحزب الواحد، إن ماحدث في العراق بعد الإحتلال بفعل الأمريكان والمتعاونين معهم من الطائفيين الحاقدين على أبناء السنة العرب بحاجة الى دراسة مستفيضة ومعلومات دقيقة موثقة بالوقائع من تعذيب في السجون ومراكز التحقيق، وقتل للأبرياء والأطفال والشيوخ والنساء، إنّ ما حلّ في مناطقنا بعد الإحتلال يبقى لطخة عار في جبين العدو المحتل ومن سانده من العراقيين الطائفيين، وقتل الضباط الذين دافعوا عن العراق واستهدافهم بالأسلحة الكاتمة وبالعبوات اللاصقة وهم الذين بنوا جيش العراق، ودافعوا عن قضايا الأمة العربية في فلسطين ومصر وسوريا والأردن، أمر محزن ومؤلم أن مئات الطيارين ممن شاركوا في الحرب العراقية الإيرانية قد قتلوا وأضطر كثير من الضباط من مختلف الأصناف العسكرية أن يهاجروا خارج العراق،وكان قانون اجتثاث البعث سيفا مسلطا على رقاب أبناء السنة فهو غطاء لإقصاء أبناء السنة، صاغته يد طائفية بدعم من سيّئ الصيت برايمر، إن الظلم الذي وقع على

أهل السنة بعد الإحتلال الأمريكي قد خطط له بعناية فائقة من الأحزاب الطائفية المملوءة حقدا على العرب السنة بمباركة ومساندة من الغزاة والدوائر الإستعمارية الحاقدة على أمتنا الإسلامية والتي تعتبر أهل السنة أعداءهم، ووجدوا في الأحزاب الطائفية خير من ينفذ هجمتهم الشرسة متذرعين بشتى الذرائع لتحقيق مآربهم الطائفية.

رئاسة ديوان الوقف السني

بعد عودتي للعراق قدمت طلبا لوزارة التعليم العالي لإعادتي إلى التدريس في كليتي (كلية الآداب) التي أسهمت في بنائها العلمي وشاركت في التدريس فيها في الدراسات الأولية والعليا وأشرفت على جملة من الرسائل الجامعية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وشاركت في مناقشة أكثر من تسعين رسالة جامعية، ليس في كلية الآداب جامعة بغداد وحدها، بل في أقسام اللغة العربية في الجامعات الأخرى مثل الجامعة المستنصرية وجامعة البصرة وأربيل والموصل، ومن الذين شاركت في مناقشتهم كل من الدكتور هاشم طه شلاش، والدكتور حاتم صالح الضامن، والدكتور عبد الوهاب العدوان، والدكتور مالك المطلبي، والدكتور مصطفى جمال الدين، والدكتور أحمد عادل زيدان، والدكتور علي الياسري، والدكتور محمد كاظم البكاء، والدكتور طارق عبد الجنابي، والدكتور عبد الجبار قزاز، وآخرون جلهم أصبحوا من أكابرأساتذة اللغة العربية داخل العراق وخارجه، ولابد لي من ذكر حادثة ترتبط بمشاركتي في مناقشة الرسائل الجامعية، ففي أحد أيام سنة 1978م كنت متوجها إلى الكلية صباحا وقبل أن أصل باب الكلية واجهني أحد الطلاب وهو كويتي اسمه (عبد اللطيف أمان) وهو صديق أكثر من كونه طالبا، فرأيته مرتبكا فقلت ما الذي جرى لك؟ فقال: أنت مطلوب في القصر الجمهوري، وهم يسألون عنك، فقلت له لا تقلق فلو أن الأمر يتعلق بقضايا أمنية لما احتاجوا إلى ذلك، يأتي شرطي ويلقي القبض عليّ ويسوقني لأقرب مركز شرطة، فذهبت إلى مكتب العميد الدكتور نوري القيسي- رحمه الـلـه- لأستفسر منه عن الأمر، فقال لي: نعم إن القصر الجمهوري يطلب حضورك، فقلت له وهو صديق وشهم ماذا يريدون؟ فقال لي: لا أعلم، فطلبت منه أن يتصل بالقصر الجمهوري لمعرفة متى أذهب إليهم؟

فاتصل وأخبروه أن أحضر في صباح اليوم التالي، وأيقنت أن الأمر لاعلاقة له بالقضايا السياسية أو الأمنية وإن الأمر يتعلق بقضايا علمية، وفي صباح اليوم الثاني ذهبت بمعية أحد الإخوان إلى القصر الجمهوري, ثم تبين لي أن رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر قد استمع لمناقشة الطالب هاشم طه شلال وكنت أحد المشاركين في مناقشته فأعجبه اسلوب مناقشتي فطلب حضوري وحضور وزير التعليم العالي محمد صادق المشاط, فدخلت عليه في مكتبه وكان رجلا متواضعا فشكرني وطلب من وزير التعليم العالي أن يعمم المناقشة على الجامعة وقال له: إنني أريد أن تكون المناقشات على غرار مناقشة الدكتور عدنان، وأمر مرافقه المقدم طارق حمد العبد اللـه أن يقدم لي ساعة هدية وأن أمنح قدم سنة لغرض الترفيع والعلاوة, وكان لهذه الحادثة صدى كبير في الجامعة ولاسيما في كلية الآداب.

وقبل أن يصدر أمر إعادتي إلى كلية الآداب عُرِضَ عليّ أن أتولى رئاسة ديوان الوقف السني, فاستدعيت مجموعة من إخواني الذين شاركوني في العمل الإسلامي, وقلت لهم: إن مجلس الحكم قد قرر أن يوزع الاوقاف على ثلاثة دواوين, ديوان الوقف السني وديوان الوقف الشيعي, وديوان الطوائف الاخرى, وهو من أحسن القرارات التي اتخذها مجلس الحكم, وهم يريدون رئيسا لديوان الوقف السني فقرروا بالإجماع أن أتولى هذا المنصب, لأنه منسجم مع عملي ونشاطي الإسلامي العام, وعند ذاك وافقت على تولي هذا المنصب, وبعد أيام قليلة جاءني الدكتور محسن عبد الحميد بأمر تعييني رئيسا لديوان الوقف السني وذلك في 2003/11/22م, حيث حُلّت وزارة الأوقاف فعُيّن أربعة أشخاص للأشراف على مؤسسات هذه الوزارة, الدكتور سعيد إسماعيل حقي الشيعي منسقا بين الأمريكان ومسؤولي الأوقاف والشيخ جلال الدين الصغير مشرفا عاما بمثابة وزير أوقاف, والشيخ حسين الشامي مسؤول أوقاف

الشيعة والدكتور محمد عبيد الكبيسي عميد كلية العلوم الإسلامية مسؤولا عن أوقاف السنة, فاتصلت به لأعرف أين أداوم, فأتاني صباحا وأخذني إلى منطقة (السبع ابكار) في الرصافة وفيها مبانٍ تابعة لوزارة الأوقاف وقال لي: هنا تداوم, فلم أجد أحدا من الموظفين سوى أربعة, أعرف بعضهم وسبق أن درستهم في كلية الآداب وكلية الدراسات الإسلامية, يجلسون في فناء المبنى, فرحبوا بي, وتشاورت معهم, وسألتهم عن بقية الموظفين فقالوا في بيوتهم, علما أن الأوقاف قد بنت دورا واقعة أمام مباني الديوان لا تبعد أكثر من مائة متر, ووجدت الدوائر التابعة لوزارة الأوقاف قد أصابها الحرق والدمار ونُهب الأثاث وكل موجودات الأوقاف, وطلبت منهم أن يتصلوا ببقية الموظفين ليداوموا, ورتبت غرفة لتكون مقرا بسيطا لأدير الديوان منه وكان أثاث الغرفة عبارة عن طاولة حديد وبعض كراسي واقترحت عليهم أن نزور ديوان الوقف الشيعي للتعرف عليهم ولنتعاون من أجل خدمة الدين, وكان ديوان الوقف الشيعي يداوم في مبنى التربية الإسلامية في الكرخ, وكان في الأصل مديرية وقف الكرخ, فذهبنا بعد يومين إلى ديوان الوقف الشيعي, فعرفتهم بنفسي وسألتهم عن الشيخ حسين الشامي فقالوا: في إيران، ثم سألتهم عن موظف قديم في الأوقاف شيعي اسمه كاطع عبد النبي وكان وكيل وزارة الأوقاف قبل الإحتلال هل هو موجود؟ فقالوا: نعم, ثم طلبت من الاستعلامات أن يرشودني إليه, فقابلته فلما التقيت به عرفته بنفسي, فرحب بنا, وبعد أن تكلمت معه وعرضت عليه التعاون, ثم سألته عن نسبة الأوقاف السنية والشيعية في بغداد والعراق عامة وهو رجل مهني, قتل فيما بعد, فقال لي في بغداد نسبة الأوقاف السنية 95% ونسبة الأوقاف الشيعية 5% وفي عموم العراق نسبة الأوقاف السنية 85% والأوقاف الشيعية 15% ولولا فكرة تقسيم وزارة الأوقاف إلى دواوين ثلاثة لسرقت أوقاف السنة وخاصة هناك مخطط مسبق

للسيطرة على هذه الأوقاف وكان هناك من يطمع أن يكون وزيرا للأوقاف وهو الشيخ جلال الدين الصغير, ولهذا أنا أعتبر قرار مجلس الحكم القاضي بفصل الأوقاف السنية والشيعية من أحكم القرارات التي اتخذها المجلس.

وبدأت أنضم ديوان الوقف السني بالتعاون مع العلماء والموظفين السابقين في الأوقاف وأعدت إلى الديوان جملة من الموظفين المتقاعدين, وزارني مجموعة من أئمة المساجد في محافظة صلاح الدين وعلى رأسهم شيخ اسمه (ابو منار) وكانوا من المتعاونين مع الأمريكان وأرادوا أن يفرضوا عليّ شروطهم وأن أعين في المحافظة ألف وستمائة إمام ومنتسب, وكانوا قد عُينوا بعقود مؤقتة من قبل الأمريكان، فرفضت لأن هذا اجحاف بحق بقية المحافظات، علما بأن جميع حصة الديوان من الدرجات الوظيفية الممنوحة في جميع المحافظات هي ألفا درجة ،ودار بيني وبينهم نقاش مطول, ولما عادوا إلى محافظة صلاح الدين ارسلوا إلي أثاث مكتبي لأن المكتب ما كان مؤثثا واعتبرت ذلك بادرة حسنة منهم, وبدأت اسعى لأن أجعل من ديوان الوقف السني مثابة لأهل السنة ومنبرا لهم وأسعى إلى جمع العلماء وأئمة المساجد على مختلف ميولهم, ولم أفرق بين الجميع, ولم أسمح لأي جهة سياسية أو فكرية أن تسيطر على إدارة شؤون الديوان, وأصبح الديوان قبلة أنظار أهل السنة, فبذلت أقصى ما أستطيع من جهد للدفاع عن أهل السنة, وكانت وسائل الإعلام تراقب نشاط الديوان وجميع الكتل السياسية ترسل ممثليها ليلتقوا بي ويتباحثوا معي في الشؤون العامة التي تتعلق بالحياة السياسية والدينية, وكان الأمريكان يراقبون تحركاتنا ويستمعون لأفكارنا وقد تكررت زيارات القادة العسكريين الأمريكان للديوان وكنا نطالبهم بإنصاف أهل السنة وحماية مساجدنا من هجمات الطائفيين.

وحاولت أن أوثق الصلة بالدكتور سعيد إسماعيل حقي لأنه المشرف العام

على الأوقاف وبيده ميزانية الوقف، والديوان بحاجة إلى إصلاح فكثير من المباني قد أحرقت ونُهب أثاثها، فدعوته أولا إلى بيتي في حي العدل، ثمّ دعوته إلى الديوان لأريه ماذا حلّ بالديوان من حرق ونهب، وطلبت منه بعد أن رأى الخراب الذي أصاب الديوان أن يفتح باب الصرف فوافق، فبدأت بإعمار الديوان وتأثيثه، ثمّ التفت الى المساجد والمدارس الدينية فسعيت إلى إحداث نهضة عمرانية في المساجد من ترميم وتأثيث وبناء وفتحت مدارس دينية وارتفع عددها في جميع العراق من خمس عشرة مدرسة إلى خمس وثمانين مدرسة.

وكذلك أنشأت مدارس إسلامية للبنات، كان أولها: ثانوية حفصة بنت سيرين في الغزالية، وثانوية أم سلمة في العامرية، وتوالت مدارس البنات في جميع أنحاء العراق، ولم تكن هناك مدارس إسلامية خاصة بالبنات تابعة للأوقاف، قبل أن أتولى رئاسة ديوان الوقف السني.

وأنشأت مراكز لإقراء القرآن الكريم منها مركز (خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها) للنساء وكان مقره جامع أم القرى، ومركز (زيد بن ثابت رضي الله عنه) في جامع علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في حي القضاة جانب الكرخ، ولهذه المراكز فروع في مساجد أخرى.

وكان كثير من أئمة المساجد لا يتقاضون رواتب وإنّما يشغلون إمامة المساجد حسبة لله تعالى، فقمت بتثبيتهم وصرف رواتب لهم من الميزانية العامة للوقف السني.

وازدادت صلتي بالدكتور سعيد إسماعيل حقي المشرف على الأوقاف واصطحبته معي في إحدى زياراتي لعشيرتي في محافظة الأنبار في منطقة الجزيرة في الرمادي وكان جمعا حافلا في مضيف الشيخ سعد نايف الحردان، فسرّ بهذا اللقاء وكان الحديث منصبا على محاربة الطائفية، وعلى الرغم من كونه شيعيا

لكنه كان رجلا منصفا ومتعاونا معنا، فقد جمعنا مع ديوان الوقف الشيعي في كلية الإمام الأعظم، فامتدح ديواننا وازدرى بديوان الوقف الشيعي وشبهه بالطولة (زريبة الحيوانات) وبعد انتهاء حكومة أياد علاوي انتهت صلاحيات الدكتور سعيد إسماعيل وغيره من المشرفين على الوزارات العراقية من قبل الأمريكان ولكن بقيت لنا صلة به.

وكنّا نعقد اجتماعات متكررة مع ديوان ديوان الوقف الشيعي لوضع أسس توزيع الأوقاف والمباني التابعة لوزارة الأوقاف قبل الإحتلال، وقد أثبتنا بالأدلة القطعية أن جميع هذه الأبنية هي من الأوقاف السنية، لأن الواقفين لها كلهم من أبناء السنة في العهد العثماني والملكي، وثبتنا عائدية جميع هذه الموقوفات بالحجج الوقفية أنها لأبناء السنة، ووضعنا شرطين يرجع إليهما عند الخلاف، أولهما: الرجوع إلى مذهب الواقف سنيا أو شيعيا، والثاني: الجهة الموقوف لها، فإذا كانت شيعية يكون الوقف شيعيا وإذا كانت سنية يكون الوقف سنيا في حالة عدم معرفة مذهب الواقف، فمثلا إذا كان الوقف مرصودا لزوار العتبات المقدسة فيكون الوقف شيعيا، وإذا كان الوقف مرصودا للشيخ عبد القادر أوأبي حنيفة فيكون الوقف سنيا، وحصلت بيننا خلافات حادة فقد أراد ممثلو الوقف الشيعي أن نعتمد على أمرين، الأول: أن نقسم ممتلكات الأوقاف بين الوقفين السني والشيعي، والأمر الآخر: إن الوقف في المحافظات السنية يعود إلى الوقف السني، والوقف في المحافظات الشيعية يعود إلى الوقف الشيعي، فرفضنا هذين المبدئين رفضا قاطعا، فإن كثيرا من المحافظات الجنوبية والوسطى فيها أوقاف سنية لايشك فيها، مثل محافظة البصرة والحلة والديوانية وذي قار والعمارة والمثنى والكوت بل حتى كربلاء والنجف.

وعندما تولى الدكتور أياد علاوي رئاسة الوزراء استدعاني لمقابلته فلبيت

الدعوة وتباحثنا في أمور العراق عامة وشؤون الوقف خاصة، وطلبت منه أن يخصص شيئا من المال لديوان الوقف السني، فأمر بدفع ثلاثين مليون دولار للوقف من الميزانية العامة جزاه الـلـه خيرا،فاستفدت من هذا المبلغ بعد تسجيله في حساب ميزانية الوقف إضافة إلى المال المتوفر لدى الديوان، فأمرت الدائرة الهندسية ببناء ثلاث عمارات سكنية جنب الديوان لتوزع شققها على موظفي الديوان، وباشرت الدائرة الهندسية بتنفيذ هذا المشروع، كما أمرت ببناء مسجد تابع للديوان، وتأسيس مكتبة داخل الديوان، وقد نفذت هذه المشاريع كلها في زمن توليتي مسؤولية الديوان، وتمت هذه المشاريع بعد تركي هذه المسؤولية.

وقمت بزيارات ميدانية لتفقد المساجد داخل بغداد وخارجها، وزرت دوائر الأوقاف في كثير من المحافظات مثل تكريت والموصل وكركوك والفلوجة والرمادي وبعقوبة وأربيل والسليمانية.

وقمت بزيارة ناحية الفجر في محافظة ذي قار، وأوعزت إلى مدير أوقاف الديوانية ببناء مسجد ومدرسة في قرية (الرفيع) التابعة إلى ناحية الفجر، وسعيت إلى مساعدة أهل هذه القرية بالحصول على الكهرباء وقدمت لهم دعما ماليا مجزيا لشراء أعمدة الكهرباء لإيصاله إلى هذه القرية.

وكانت (الرسالة الإسلامية) مجلة وزارة الأوقاف المنحلة قد توقفت فأوعزت إلى دائرة الإعلام أن تعيد صدورها، فصدرت وهي تحمل مقالات دينية وفكرية، وشاركت في الإحتفالات الدينية التي كانت تقام في جامع أبي حنيفة وجامع أم القرى، ودافعت عن أبناء السنة ودعوت الحكومة إلى إعادة المجتثين من المؤسسات العسكرية والأمنية وإعادة بناء الجيش على أسس مهنية بعيدا عن الطائفية، ودعيت للمشاركة في كل المؤتمرات التي عقدت في سنتي 2004 وسنة 2005، منها المؤتمر الذي دعا إليه الشريف علي بن الحسين

بمناسبة عيد الجيش يوم (2005/1/6)، والإحتفال الذي أقامته مجموعة من الضباط في قاعة نقابة المحامين في الكرخ، والمؤتمر الذي دعا إليه الدكتور أياد علاوي في فندق بابل، ومؤتمر المصالحة الوطنية الذي دعا إليه فخامة الرئيس جلال الطلباني وألقيت فيه كلمة دعوت فيها إلى المصالحة الوطنية وحذرت دعاة الطائفية من إثارة النعرة الطائفية وقلت فيها مخاطبا مثيري الفتن: (إن كنتم تملكون بندقية فغيركم يملك بنادق، وإن كنتم تملكون مدفعا فغيركم يملك مدافع) ويبدو أن الجنرال برايمر كان موجودا علما بأنني لم ألتق به أبدا، ولهذا جاء وصفه لي في كتابه الذي صدر بعنوان(ما لم يقله برايمر) إنني في بعض تصرفاتي مجنون.

ودعيت للمشاركة في مؤتمر المصالحة الذي دعا إليه الرئيس مسعود البرزاني في أربيل وألقيت كلمة وجهت فيها لوما ونقدا شديدا لإقليم كردستان لعدم رفعهم العلم العراقي في ربوع كردستان، وقد استاء من كلمتي كل من مام جلال والسيد مسعود البرزاني، في الوقت الذي قوبلت كلمتي باستحسان شديد من الحاضرين من تصفيق وهتافات (الـلـه أكبر).

ودعيت للمشاركة في اجتماع وزراء الأوقاف الذي عقد في الجامعة العربية سنة2005م، ألقيت كلمة دعوت فيها الحكام العرب للانتباه إلى المؤامرة التي تحاك ضد أبناء السنة وطالبتهم الوقوف مع إخوانهم أبناء السنة في العراق فهم بأمس الحاجة إلى مساندتهم ورفع الضيم عنهم.

وكانت هيئة علماء المسلمين وجريدة الساعة التابعة للدكتور أحمد عبيد الكبيسي قد شغلتا بناية المؤتمر الإسلامي الشعبي الواقعة في (كورنيش) الأعظمية، والبناية تابعة للأوقاف، فطلبت منهم أن يخلو البناية لحاجتنا إليها، حيث كانت هيئة إدارة واستثمار أموال الوقف تشغل جزءامنها،والمديرية في

توسع مستمر، وبعد ممانعة خفيفة من هيئة العلماء اتفقت معهم أن ينتقلوا إلى جامع أم القرى فوافقوا، ولكن إدارة جريدة الساعة أصرت على البقاء فاضطررت إلى إخراجهم، فنشروا مقالا في الجريدة تعرضوا إليّ فيه ولم أكترث لذلك، فعادت هذه البناية إلى الأوقاف.

وأصبح ديوان الوقف السني كأنه الجهة الوحيدة في الدولة العراقية تمثل أهل السنة وتدافع عنهم، وتدعو إلى إنصافهم ورفع الظلم عنهم، لم أكن سياسيا قضيت عمري في التعليم فقد خدمت إحدى وخمسين سنة في التعليم بجميع مراحله، الإبتدائي والثانوي والجامعي، وأمارس العمل الإسلامي العام في الدعوة إلى اللـه ونشر تعاليم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وأسعى إلى نشر المصحف وتوزيعه في أكثر المحافظات، وأعمل على تشجيع دورات تحفيظ القرآن الكريم وأطبع مئات الآلاف من أجزاء القرآن وأقدم الهدايا إلى المتخرجين من دورات تحفيظ القرآن، وأدعم بناء المساجد وأتعاون في ذلك كله مع مجموعة من الإخوان العاملين والمحسنين من المسلمين الأخيار، ولي نشاط سياسي فكري، لاسيما في ما يتعلق بانتشار الأفكار الهدامة ومحاربتها والوقوف في وجه الدعوات المناهضة للإسلام، وقد اضطررت للعمل السياسي والنهوض به لمّا وجدت أن أبناء السنة قد حوربوا واضطهدوا، وهناك من يريد أن يجتثهم، وهم الذين أسهموا في بناء الدولة العراقية وحافظوا على وحدة العراق وسلامة أراضيه ووقفوا في وجه الظلم الذي وقع على العراقيين، وكانت الوطنية والروح الإسلامية لا الطائفية المقيتة هي التي تدفعهم وتعاونوا مع إخوانهم الشيعة في ذلك، فعاش الشعب العراقي في إخوة وصفاء لم يعرف الطائفية ولا العرقية فكان العراقيون من شيعة وسنة وعرب وأكراد وأقليات أخرى يعيشون في وئام، تربطهم روابط جمة من زواج ومشاركات تجارية فكم من الشيعة قد تزوجوا بنساء سنيات، وكم من السنة من تزوجوا بنساء شيعيات، إلى أن جاء

الإحتلال البغيض وجاءت معه الأحزاب الطائفية، فأثيرت النعرة الطائفية فعانى أبناء السنة صنوف الأذى من قتل وتهجير وسجن واعتقال باسم محاربة الإرهاب، كل هذا دفعني للنهوض بكل عزم وقوة وصرامة للوقوف في وجه من يريد أن يسحق أهل السنة، فارتفع صوتي في الإعلام داعيا إلى تحقيق العدل والكشف عن المؤامرة التي خططت لتهميش أبناء السنة وتهجيرهم من أماكنهم، فقد هُجر أبناء السنة من مناطق مختلفة من بغداد، من مدينة الثورة التي أصبح اسمها (مدينة الصدر) وكان للسنة فيها عشرة مساجد، أُغتصبت أوأحرقت وهدمت جميعها, وهجروا كذلك من أحياء أور والشعب وجميلة وبغداد الجديدة والأمين في الرصافة, ومدينة حي العامل والبياع والحرية في الكرخ, فطالبت بايقاف هذه الأعمال الإجرامية, وارتفع صوتي في الإعلام منددا بهذه الأعمال المخالفة لأبسط حقوق المواطنة وهذا جعلني هدفا للأمريكان وللقوات الحكومية، فدوهم بيتي من قبل الأمريكان بعد منتصف ليلة الثاني من آب سنة 2005م، وعقدت مؤتمرا صحفيا في منزلي في صباح اليوم التالي قلت فيه: (لقد داهمت قوة عسكرية عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل منزلي وقامت بكسر الباب الرئيس بمطارق حديدية) وأضفت: (قام الجنود بضرب أحد أحفادي الذي كان في حديقة المنزل، ومن ثمّ جمعوا بقية أحفادي ونساء البيت في غرفة واحدة بعد أن أفزعوهم وقاموا بهدم جانب من السياج الخارجي بدهمه بمدرعة عسكرية، ثمّ قام الجنود بعصب عيني وأوثقوا يديّ، وبعد ان فتشوا البيت ولم يعثروا على شيئ أو على شخص مشتبه به، فكوا يديّ والعصبة التي على عينيّ، وأبدوا أسفهم الذي لايجدي نفعا ثمّ خرجوا، واتهمتُ الحكومة العراقية برئاسة الدكتور إبراهيم الجعفري وقلت: إنها وراء هذه المداهمة، وبينت في المؤتمر الصحفي إنني أعلم أنها رسالة موجهة لي وللعاملين معي من رجالات السنة وعلمائهم وشيوخهم من قبل الحكومة لا الأمريكان، لأننا ندعو أبناء السنة للمشاركة بالعملية السياسية وندعو إلى إيقاف قتل العراقيين وتعذيبهم، وندعو

إلى المصالحة السياسية الحقيقية، وقد صرحت القوات الأمريكية أنها داهمت بيتي بعد أن وصلتها أنباء عن وجود أحد المطلوبين المشتبه بهم في منزلي في حي العدل، فيا ترى من الذي أوصل هذه المعلومات غير الحكومة الطائفية، ولاعجب من هذه التصرفات التي تأتي في إطار حملة تقوم بها الحكومة والأحزاب الطائفية لإسكاتي لأني أطالب بإطلاق سراح المعتقلين من السجون الأمريكية والعراقية.

وقد أدان المكتب السياسي للحزب الإسلامي مداهمة منزلي واعتبر ذلك حلقة من مسلسل ترويض رموز وزعماء أهل السنة، حيث قال الحزب في بيانه: (إن مثل هذه الحوادث أصبحت تشكل نمطا من التصرفات المنافية لحقوق الإنسان ولأبسط معايير الديمقراطية)، وأسف بيان الحزب لطريقة معاملتي منوها بالجهود الحثيثة التي أقدمها، ومحاولتي لإشراك أوسع طيف من الشعب العراقي، ولاسيما أهل السنة في المشاركة في العملية السياسية، والعمل على التقليل من احتقان الأزمة الطائفية التي تمر بها البلاد وقال الدكتور علاء مكي عضو المكتب السياسي للحزب الإسلامي: (إننا نستنكر هذا العمل الخاطئ الظالم الذي لايؤدي إلى وحدة العراق، والذي يؤثر على المشروع السياسي والتوازن بين أطياف الشعب العراقي) وأضاف (نخشى أن يؤدي هذا العمل إلى ردة فعل غير متوازنة في الوقت الذي ندعو فيه إلى الوحدة والحوار وتقارب وجهات النظر، وأنها رسالة خاطئة موجهة إلى أبناء السنة وزعمائهم)، ثمّ قال: (إن هذه العملية لن تؤثر على النهج الذي قررت أغلب القوى السنية اتباعه، ونحن ماضون في مشروعنا السياسي، وماضون في المشاركة في الانتخابات القادمة وماضون في تحشيد أبناء الشعب العراقي في هذا الإتجاه).

وأدان ديوان الوقف السني هذه المداهمة، وقال في بيان نشره (إن قيام القوات الأمريكية بهذا الأمر ينفي نفيا قاطعا كل الإدعاءات التي توحي للعالم

إن هذا البلد يسير نحو الديمقراطية) وتساءل البيان (كيف يمكن أن يعامل رجل مازال يحتلّ منزلة رسمية رفيعة، ويمثل بعدا شعبيا واسعا لمجرد موقف وطني يدعو إلى الحوار والتفاهم وسماع الرأي الآخر،فضلا عن دعوته إلى وحدة الوطن ورفض تقسيمه تحت أي مسمى) وأضاف البيان (إن مثل هذه الإنتهاكات لاتزيد الوضع الحاضر إلا تعقيدا، ونحن ننصح من بيدهم مقاليد الأمور بالكف عن ملاحقة رموز الأمة ومحاولةإهانتهم وإلحاق الأذى بهم، ومن ثمّ الإعتذار منهم بأعذار واهية) وحذر البيان من استمرار مثل هذه التصرفات لأنها ستقود البلد إلى حالة من الفوضى يتأذى بسببها الجميع.

وزارني في منزلي بعد يومين نائب قائد قوات التحالف وهو بريطاني وشرحت له موضوع المداهمة وأطلعته على الأبواب المحطمة فاعتذر لما حدث، ثمّ بعد ذلك استدعتني لجنة من القوات الأمريكية في قصر المؤتمرات في المنطقة الخضراء فشرحت لهم ما حدث وجرى, فتأسفوا لذلك ولكن كل هذا الاعتذار ما كان له أي أثر, لأن الوشايات والتحريض مستمر من قبل الحكومة ودعاة الطائفية, فبعد حوالي ثلاثة أشهر جرت مداهمة أخرى من قبل الأمريكان لا تقل عن الأولى, وكسرت أبواب البيت مرة أخرى بفعل قنابل واطلقت قنابل صوتية لإرهاب من في البيت من أطفال ونساء وحامت في الجو طائرات سمتية انزلت جنودا على سطح منزلي والمنازل المحيطة به والمقابلة له في الجهة الثانية من الشارع, ودخل الجنود الأمريكان المنزل وهم يصرخون واوثقوا ايدي أحفادي وعصبوا عيونهم, ولم يوثقوا يديّ ولم يعصبوا عينيّ واكتفوا بجلوسي على الأرض مسندا ظهري للحائط, وفتشوا البيت ولم يعثروا على شيء ولم يكتفوا بذلك بل اقتحموا بيت ولدي الدكتور منقذ الملاصق لبيتي وانزلوا كيسا أسود- على عادتهم في معاملة العراقيين- في رأسه وأوثقوا يديه، وروعوا أطفاله وأهله, وفتشوا بيته فلم يعثروا على شيء ولم يجدوا أحدا مختفيا في بيته, وبعد ساعتين حلّوا وثاق الجميع, ورفعوا الكيس من رأس ولدي منقذ, ثم اعتذروا كالعادة

وخرجوا, ولم تكن هذه آخر مداهمة, فما دامت هناك وشايات و أخبار كيدية تتكرر معها المداهمات.

وفي السنوات الأولى من الإحتلال سنة 2003م و2004م و2005م كان صوتي القوي الوحيد الذي يتردد في الاعلام والمؤتمرات مطالبا بإنصاف السنة ورفع الظلم الذي حلّ بهم, ولم يكن للزعامات التي ظهرت مؤخرا أي وجود إلا وجودا ضعيفا, فوقفت في وجه دعاة الطائفية المملوءة حقدا على أهلنا ودعوت إلى إيقاف تهجير أبناء السنة من مناطق كثيرة ولا سيما في بغداد, لاجل إفراغها من السنة, وفق مخطط رهيب سبق أن أعد من قبل الجهات الصفوية, ودعوتي هذه قد جلبت لي نقمة الأحزاب الطائفية والحكومة فأخذوا يوجهون سهامهم المسمومة نحوي, وأبدى رئيس الوزراء الدكتور إبراهيم الجعفري امتعاضا من مواقفي وصرح لمن حوله كيف يجوز لموظف أن يمارس عملا سياسيا مناهضا لتوجهات الحكومة, فسعى إلى إبعادي عن الوقف السني الذي اتخذته منبرا للدفاع عن المظلومين والمعتقلين والمجتثين من أبناء السنة, ولاقت رغبته هذه هوى في نفس من كانوا يطمحون بأن يتولى هذا المنصب أحد المقربين لهم, فسعى أحد مستشاري رئيس الجمهورية من أبناء السنة إلى إقناع رئيس الجمهورية أن يوافق على طلب رئيس الوزراء القاضي بإقصائي ليتولى أحد أبناء مدينته رئاسة ديوان الوقف السني, فصدر مرسوم جمهوريّ يوم 2005/8/10م بنقلي مستشارا في رئاسة الجمهورية, فالتحقت بعد أيام بمكتب الرئيس, وحظيت منه رعاية فائقة, وعقدت معه مؤتمرا صحفيا نقلته وسائل الاعلام, كررت فيه مطالبتي برفع الضيم عن أبناء السنة, ولم ابدِ أسفي عن اقصائي من رئاسة ديوان الوقف السنيّ.

وكانت علاقتي بالساسة الكرد جيدة واحظى عندهم بإحترام وإجلال, وفي إحدى زياراتي للسيد مسعود البرزاني سنة2005م قبل إقرار الدستور, وكان

معي وفد من أعضاء مؤتمر أهل العراق منهم الشيخ المهندس هشام ثابت القاضي والشيخ عماد محمد علي إسماعيل و آخرون, فقال لي السيد مسعود البرزاني: قد تعيّن سفير أمريكي جديد في بغداد وهو السيد زلماي خليل زاده أمريكي من أصل أفغاني، وأنه (أي السيد مسعود) قد تحدث معه حولي، وقد أطراني ومدحني، وأنه حينما يلتحق سيدعوني لمقابلته، فلما التحق بالسفارة اتصل بي أحد مترجميه ودعاني لمقابلته في قصر المؤتمرات، فلبيت دعوته فاستقبلني، وجلست معه، كما يقال في غرفة مغلقة ومعه مترجم أمريكي يجيد العربية اسمه (جيفري) فوجهت له ثلاثة أسئلة صريحة لاتخلو من الإدانة، الأول: هل جئتم لتوحيد العراق أم لتقسيمه؟ ثمّ قلت له بصراحة متناهية: نحن السنة نعتقد أنكم جئتم لتقسيم العراق.

والسؤال الثاني: هل جئتم لتعمير العراق أم لتدميره؟ وقلت له: نحن السنة نعتقد أنكم جئتم لتدمير العراق.

والسؤال الثالث: هل جئتم لتسليم العراق للصفويين وإيران؟ نحن السنة نعتقد أنكم جئتم لهذا الغرض، وها أنتم قد فعلتم ذلك، فردّ عليّ بالنفي، وكان مصغيا لأسئلتي لأنه يفهم العربية مع إستعانته بالمترجم، وبعد أن أنهينا اللقاء الخاص دعاني إلى مؤتمر صحفي، قد هيأه له موظفو السفارة، وكان مؤتمرا حاشدا بوسائل الإعلام والمراسلين، وتحدثت مبينا الظلم والتهميش الذي أصاب السنة خاصة، وما أصاب العراقيين من تعسف وقهر، وطالبت بإعادة الضباط المفصولين وإطلاق سراح المعتقلين الذين لم تثبت إدانتهم، وتكلم السفير وأبدى سروره لتعيينه سفيرا في العراق، وأنه سيعمل كل ما يستطيع من أجل إقرار الديمقراطية وإنجاح العملية السياسية وتحقيق الأمن والسلام وإعمار العراق الذي دمرته الحرب، ثمّ انفض المؤتمر.

المؤتمر العام لأهل العراق

منذ عودتي من الأردن سعيت إلى جمع أبناء السنة وإيجاد خيمة تجمعهم, واستطعت لمّا كنت رئيسا لديوان الوقف السّنّي أن أجعل من هذا الديوان مظلّة يجتمع تحتها أبناء السنة على مختلف أطيافهم وتوجهاتهم, فلمّا أُقصيت من هذا المنصب فكّرت بالتعاون مع رجال آخرين أن نشكّل تكتلا رسميًا, يعمل على الدفاع عن أبناء السنة من منبر سياسي علني, فاتصلت بجهتين تعملان في المحيط السياسي السني, وهما: (هيئة علماء المسلمين) و(الحزب الإسلامي العراقي), وعرضت عليهما إنشاء هذا المنبر, وكنت أريد أن يكون باسم السنة, فوافق الحزب الإسلامي علما بأنني لم أكن عضوا فيه, وقصدي ألّا يشعر أحد أنني أريد أن أنافسه في العمل الميداني, ثم اتصلت بهيئة علماء المسلمين, وكنت عضوا في مجلس شورى الهيئة, وفي أحد الإجتماعات عرضت الموضوع على المجلس فرفض الدكتور حارث الضاري الفكرة, فقلت له: أليس الأمر مبنيًا على الشورى والروح الديمقراطيّة؟, فلنسأل أعضاء المجلس فإن وافقوا على الأمر مضيت فيه, وكان عدد أعضاء المجلس اثنين وعشرين عضوا, فوافق واحد وعشرون على الفكرة, وتحفظ عضو واحد وهو الدكتور (عبد السلام داود الكبيسي), فعند ذاك طلبت من الدكتور حارث أن يرشح من يمثل الهيئة في هذا الكيان المزمع تشكيله, فرشح الشيخ (حسن النعيمي) رحمه الله, وطلبت من الحزب أن يرشح ممثلا له فرشح الدكتور (علاء مكّي), فبدأنا بجلسات تشاورية لتشكيل هذا التكتل .

ولما اختمرت الفكرة بعد ثلاث عشرة جلسة افتتحنا مقرًا في (حي العدل), ولكن لم نعلّق لافتة لأن اسم التكتل لم يكن متّفقا عليه, ثم عقدنا اجتماعا وطرح عنوانان: **الأول** (المؤتمر العام لأهل السنة), **والثاني** (المؤتمر العام

لأهل العراق), فكانت الأكثرية تميل إلى جعل العنوان (المؤتمر العام لأهل العراق), واختاروني أمينا عامّا له, وأصدرنا جريدة باسم (الإعتصام) لتكون المعبرة عن توجهات هذا الكيان, وعقدنا عدّة مؤتمرات, وكان أوّل مؤتمر في جامع (أمّ القرى), وكان مؤتمرا حاشدا حضره جمهور كبير من أبناء السنة, وقد أطلقت علينا ثلاث قذائف هاون وسقط أحد الهاونات في بركة ماء قريب من المكان الذي كان الضيوف يتناولون فيه الغداء, و اللـه سلّم فلم يُصَب أحد بضرر واعتبرت ذلك فأل خير, وعقدنا مؤتمرا في قاعة (نقابة المهندسين), حضره جمهور كبير, يمثلون مختلف التّوجهات وضمّ عددا كبيرا من رؤساء العشائر والأفخاذ السّنية والشّيعية, ونقلت وقائعه كثير من الفضائيات, وطالبتُ فيه أن يكون في لجنة كتابة الدستور خمسة عشر عضوا وعشرة مستشارين من أبناء السنة, وطالبتُ أيضا بإلغاء (قانون اجتثاث البعث) وإعادة الضبّاط ومنتسبي الأجهزة الأمنية إلى وظائفهم, ثم عقدنا مؤتمرا آخر في قاعة (نادي الصّيد) في المنصور, بحثنا فيه الوضع العام في العراق ووضع أهل السنة, وكنا نعقد جلسات مستمرة في مقر المؤتمر, وعقدنا مؤتمرا في (جامع مالك بن أنس) في حي العدل خاصًا بأهل الحي, جمعنا فيه لفيفا من سكان الحي شيعة وسنة, ودعوناهم للأخوة والتعاون والعمل من أجل حماية الحي من الإرهاب, فوجهت لنا ونحن في المسجد خمس قذائف هاون من قبل الميليشيات الشيعية المتمركزة في (مدينة الحرية)[1], ولكنها لم تلحق أي ضرر في المؤتمرين.

ولمّا حصل تهجير السنة من مدينة الحرية في شتاء 2006م, بذلنا جهدا كبيرا لإيواء المهجرين الّذين أووا إلى منطقة حي العدل القريبة من الحرية, وقد

(1) مدينة الحرية: تأسست في العهد الملكي, وكانت تسمى مدينة الهادي نسبة إلى مالك أراضيها, وهو عبد الهادي الجلبي, والد الدكتور أحمد الجلبي الذي دفع الأمريكان لغزو العراق, وهي تقع ما بين حي العدل ومدينة الكاظمية جنوب غرب بغداد, وأكثر سكانها من السنة وفيها خمسة عشر مسجدا دمرتها الميليشيات الشيعية.

استهدف حي العدل من الميليشيات الشيعية وجرت محاولات متعددة لتهجير أهل الحي, لأن الإستيلاء على حي العدل يتيح للميليشيات الشيعية السيطرة على الطريق السريع الرابط بين محافظة الأنبار والأردن وسوريا وبين بغداد, ثم يتيح من بعد ذلك لهذه الميليشيات السيطرة على كثير من الأحياء السنية مثل (حي الجامعة) و (حي الخضراء) و (حي العامرية), وكثير من المناطق السنية, ولكن عناصر حمايتي استطاعوا أن يوقفوا زحف هذه الميليشيات وهجماتها, وقد وجهت هجمات بالصواريخ والهاونات على الحي بلغت مئات القذائف, وفي يوم واحد وقعت في الحي ثلاثون قذيفة, إحداها وقعت قرب بيت ولدي (الدكتور منقذ) الملاصق لبيتي, وقد وقعت إحدى القذائف في مدرسة (ثانوية الخلود للبنات) مما أدى إلى استشهاد إحدى الطالبات وجرح حوالي عشرين طالبة .

وقد قتل تسعة من عناصر حمايتي بسبب الأعمال الإرهابية ولا حاجة للتفصيل في هذا الأمر, ولكنني أذكر حادثة واحدة تناقلتها وسائل الإعلام آنذاك, فكنت ذاهبا إلى الدكتور حارث الضاري في (منطقة إبي غريب), لأواسيه بوفاة أحد أبناء عمومته, ولأعرب له عن استنكاري للهجوم الذي وقع على داره من قبل الجيش, وفي طريق عودتي أصيب أحد عجلات السيارة التي تقلّني فاضطررت إلى الإنتقال إلى سيارة أخرى, ولما أصلح العطب الّذي حدث في سيارتي لحقت بنا, وعند جسر(الغزالية) تعرضت لهجوم, فقتل أحد أفراد حمايتي واسمه (عمر خليل المشهداني), ولما سُئلت من قبل الإعلام عن الّذين قاموا بهذا العمل, لم أنسبه لأحد .

ووُضِعتْ في طريقي وأنا ذاهب إلى مجلس النواب أو إلى إحدى اللقاءات

خمس عبوات ناسفة, وكان معي في إحداها الأستاذ (حسين الفلوجي)[1], ولكن الله سلّم ولم أُصَب لا أنا ولا أحد من عناصر حمايتي بأذى أو ضرر .

وكنّا مستهدفين من قبل الميليشيات الشيعية والإرهابيين, فقد هوجم داري في إحدى الليالي من قبل عصابة إرهابية, واختطف أحد أحفادي (مصعب ضياء الحديثي) ابن ابنتي (الدكتورة أسماء) في حي العامرية السني, واختطف أحد أبناء أختي (لورنس بن عبد الإبراهيم الحردان) في منطقة (الكرمة) وسلبوا سيارته وما معه من نقود, ولم يفرج عنه إلّا بعد أن دفعنا لهم فدية مجزية, وقتل الإرهابيّون أحد مساعديّ وهو (الدكتور مهند الغريري) في منطقة الكرمة وهو ذاهب لأداء خطبة الجمعة في أحد مساجدها, وسلبت سيارته, وقتل الإرهابيون عنصرا آخر من مساعديّ في المؤتمر وهو (الأستاذ أحمد خليل المشهداني) مدير مدرسة الشيخ معروف الكرخي في حي العدل, وفي هجوم إرهابي على ديوان الوقف السني استشهد صهري (ضياء اسماعيل الحديثي).

هكذا كنا نعمل وسط جو من الإرهاب, وصمدنا أمام كل الضغوط, وعملنا على حماية أهلنا في حي العدل وغيره من أحياء السنة, وكنا ملاذا للمنكوبين, ونمد يد العون للجميع معنويا وماديّا.

وشكلنا منظمة إغاثية مقرها في حي العدل سمّيناها (منظمة أهل العراق للإغاثة والتنمية), وكنا نوزع الإعانات المادية والغذائية, نحصل عليها من جهات كثيرة منها: (جمعية الهلال الأحمر) و (ديوان رئاسة الجمهورية) بإيعاز من فخامة الرئيس ومن نائب رئيس الجمهورية (الدكتور عادل عبد المهدي) ومن (الأستاذ طارق الهاشمي) النائب الثاني لرئيس الجمهورية, وقد أقمنا أكثر من

---

(1) حسين الفلوجي: أحد نواب البرلمان العراقي عن جبهة التوافق العراقية للفترة البرلمانية 2006 ـ 2010, وهو عضو في نقابة المحامين العراقيين .

حفلة زفاف جماعي, الأول منها لما كنت في ديوان الوقف السني, أقمناه في جامع أبي حنيفة, وأقمنا احتفالات أخرى وزعنا فيها إعانات مجزية لمئات المقبلين على الزواج, منها الإحتفال الذي أقمناه في جمعية التربية الإسلامية في الكرخ, واستطعنا أن نتصل بأمانة مجلس الوزراء ونأخذ منهم ثلاثين غرفة نوم, وزعناها على الشباب المتزوج في جامع (عبد الرحمن بن عوف) في حي العدل, فعملنا كان مقسما بين العمل السياسي والعمل الإغاثي .

وأسسنا مركزا صحيا في حي العدل سمّيناه (مركز أهل العراق الصحي), وعينّا فيه أطباء لمعالجة المرضى من أهل الحي وغيرهم, وفيه عيادة لطبابة الأسنان, وعيادة للسونار, وعيادة للنسائية, وزودنا ثلاثة مراكز صحية بأجهزة طبية في حي العدل, وفي الخالدية من محافظة الأنبار, وقرية السلاميات التابعة لقضاء الكاظمية في بغداد, وكان من ضمن عملنا فيه دعم العوائل الفقيرة وعوائل الأيتام, وبقي هذا المركز يعمل حوالي ثلاث سنوات ارتاده الكثير من الناس, إلى أن أغلقه الجيش الحكومي فحرموا المنطقة من هذا العمل الإنساني, وإجراؤهم هذا جزء من محاربة أهل السنة وعرقلة مساعينا لخدمة أهلنا, ومخالفة لأبسط قواعد الديمقراطية.

ودعيت للمشاركة في مؤتمر المصالحة الذي عقد في مقر الجامعة العربية في القاهرة, وكان معي في الوفد: (الدكتور حسن البزاز), ثم التحق بنا (الدكتور ظافر العاني), وكلاهما كانا من قادة مؤتمر أهل العراق, وتكلمت مرتين دعوت فيهما إلى المصالحة الوطنية الحقيقية, وقوبلت كلمتاي باستحسان الجميع, وقد زعم (الدكتور حسين الشهرستاني) بأن السنة في منطقة (اليوسفية) ـ وكانت المنطقة آنذاك تسمى (مثلث الموت) ـ يقتلون كل من اسمه (حسن) أو (حسين) أو (علي), فلم أُرِدْ أن أَرُدَّ عليه مخافة أن تثار فتنة, فكتبت له ورقة وأعطيته إياها

بيده قلت له فيها: (أنت إنسان علمي وموضوعي, كيف يصح منك مثل هذا الكلام؟ وبيوتنا كلها مملوءة بمثل هذه الأسماء, وأحفادي فيهم من اسمه علي وحسن وحسين), وأسفت لمثل هذا الإسفاف, علما بأن الدكتور حسين الشهرستاني لما كان يدرس في أمريكا, كان يشارك الإخوان المسلمين السنة في نشاطاتهم, وقد يقف إماما لهم في الصلاة, ولكن السياسة الهوجاء المعززة بالطائفية الحاقدة تجعل مثل هذا الإنسان أن يفكّر بصورة بعيدة عن جادّة الحق والصواب, وفي هذا المؤتمر التقى بي وزير خارجية المملكة العربية السعودية (الأمير سعود الفيصل), وقال لي مرتين: إننا سنرسل عليك لتزورنا في السعودية, ولما انتهى اجتماع المؤتمرين, صعدت إلى غرفتي للراحة فوجدت شخصين عند باب المصعد ينتظران ذهابي إلى غرفتي, فقالا لي: إن الأمير سعود الفيصل قد طلب منهما أن يجلسا معي للتباحث, وكنت أعرف أحدهما وهو مدير قناة العربية, والثاني لا أعرفه, فلما جلسنا في غرفة أحدهما, قال لي الّذي لا أعرفه : إننا لم نلتق سابقا, ولكن هناك اتصال هاتفي بيننا, أنا (خالد أبو سليمان), وهو الرجل المسؤول عن ملف أهل السنة في العراق, وقد عرفني عليه (الدكتور سعدون الدليمي), وكانت بيننا اتصالات هاتفية, فتحدثنا قرابة الساعة, وواعداني بأن توجّه لي دعوة لزيارة المملكة العربية السعودية, ولما رجعت إلى بغداد اتصلت بالسيد خالد أبي سليمان, فأمهلني بعض الوقت, وكررت الإتصال به ولم توجه لي أي دعوة, وكان المؤتمر قد عقد في الشهر الحادي عشر من سنة 2005م, وإلى هذا اليوم[1] لم توجه لي أي دعوة لزيارة المملكة العربية السعودية, وكنت يومذاك ولا زلت أمثل رمزا من رموز أهل السنة .

---

(1) كتب هذا الجزء في شهر تشرين الثاني سنة 2010م .

وقد وجهت لي دعوة رسمية من الحكومة الإيرانية, من قبل السيد (علي لاريجاني) والدعوة محفوظة في وزارة الخارجية العراقية, فلم أستجب لهذه الدعوة, وقد زارني السفير الإيراني السيد (حسن قمي) مرتين في مقري بحي العدل, وعرض علي أن توجه لي دعوة لزيارة إيران, بحضور مجموعة من رجالات المؤتمر العام لأهل العراق, منهم الدكتور حسن البزاز, فلم أستجب أيضا.

أقول هذا لأضع المتتبعين لأوضاع أهل السنة, وكيف أن أغلب زعماء الشيعة قد دُعوا من قبل المملكة العربية السعودية, التي ينظر إليها أبناء السنة على أنها سندهم والمدافع عنهم.

وقمت بزيارات متعددة إلى تركيا, ودولة الإمارات العربية, ودولة قطر, ودولة الكويت, في كل هذه الزيارات شرحت للمسؤلين في هذه الدول وضع أهل السنة, وطالبتهم بالوقوف معهم وحمّلتهم مسؤولية ما يقع على أبناء السنة من تهجير وقتل وإقصاء, وحذّرتهم من سيطرة الصفويين المدعومين من الجارة إيران, وبيّنت لهم أن جميع بلادهم مهددة بخطر دعاة الطائفية, وأنهم يخططون للسيطرة على كل البلاد العربية, وأنهم رفعوا شعار (الهلال الشيعي) وصرحوا بذلك, وكان الجميع متجاوبين معنا.

وفي إحدى زياراتنا للكويت مررنا في طريق عودتنا بالأردن, وزرنا جلالة الملك عبد اللـه الثاني, وكان معي في هذه الزيارة الأستاذ طارق الهاشمي والشيخ خلف عليان أيام جبهة التوافق العراقية, فرحب بنا وأبدى استعداده للوقوف معنا في معركتنا السياسية.

ولما زار الأمين العام للجامعة العربية العراق أول مرة سنة 2005م دعاني للقاء به, فزرته في مكتب الجامعة العربية الكائن خلف وزارة الخارجية العراقية,

ورحب بي ومن معي, وأبدى استنكاره للمداهمات التي جرت على بيتي وأظهر تعاطفا كبيرا معنا, وأبدى استعداده للدفاع عن أهل السنة, وشرحت له وضعنا ومحاولة الصفويين إقصاء أبناء السنة, وإغراء الأمريكيين بتوجيه الضربات المفرطة بالعنف لأبناء السنة, وتزايد عدد المعتقلين منهم في بغداد وجميع المحافظات السنية, ووعدني بأن يفاتح البلاد العربية بواجب التّضامن معنـــا.

وكنت قبل زيارة الأمين العام الدكتور عمرو موسى في زيارة لدولة الإمارات العربية المتحدة, ولما علمت أن الأمين العام للجامعة العربية في بغداد قررت قطع زيارتي وأتوجه إلى بغداد, فجهزوا لي طائرة خاصة أقلتني إلى بغداد أنا ومن معي, وكانت علاقتي قد توثقت بالشيخ (حمدان بن زايد), وحظيت منه رعاية خاصة, فقد وفر لي ضيافة خاصة وحماية ترافقني وبقيت معي في الفندق الذي أنزل فيه, وهذا ليس بغريب عليه وهو ابن رجل الخير (الشيخ زايد بن سلطان), وأراد هو وأخوه (الشيخ محمد) أن يجمعنا مع الشيخ الدكتور حارث الضاري والدكتور صالح المطلك لتوحيد الصف, ولكن اللقاء لم يخرج بنتيجة إيجابية لاختلاف وجهات النظر, وكنت أسعى دائما لوحدة الصف, وكان هناك خلاف مستعصي بين الحزب الإسلامي وهيئة علماء المسلمين, فالحزب الإسلامي مشارك في العملية السياسية وهيئة علماء المسلمين رافضة للعملية السياسية, والحزب الإسلامي هو الذي رشح الدكتور حارث الضاري ليكون أمينا عامّا للهيئة, لأن الذين كانوا يشكلون مجلس الهيئة أغلبهم من الإخوان والحزب الإسلامي, وكان باستطاعتهم أن يختاروا أي شخص غيره, ولكنهم اختاروه ظنا منهم أنه لا يقف منهم موقفا معاديا, فسعيت أكثر من مرة لإزالة الخلاف بينهم, وجمعت ممثلين منهم ثلاث مرات في داري ودار ولدي (مكي), وكلما نتفق على أسس لتوحيد الصف والإبتعاد عن التجريح, يُخرق هذا الإتفاق من قبل قيادات الهيئة, أذكر هذا للتأريخ.

وقد طلب مني الشيخ الفاضل (أحمد حسن طه السامرائي) أن أكرر السعي للإصلاح والوحدة, فاجتمعت بالدكتور حارث الضاري في سوريا بحضور ممثل عن الحزب الإسلامي, ولم نخرج بنتيجة, وأخيرا اتصل بي الدكتور (عبد الكريم زيدان) في الأردن في صيف 2008م وطلب مني ومن الدكتور أسامة التكريتي أن نجتمع بالدكتور حارث الضاري, فذهبنا إلى بيته بصحبة الدكتور عبد الكريم, واجتمعنا به ولم نخرج بأي نتيجة, وهذا من سوء حظ أهل السنة.

وفي المؤتمر الذي عقد في اسطنبول تحت شعار (نصرة العراق) يومي 13و14 من الشهر الثاني عشر سنة 2006م, ألقى الدكتور حارث الضاري كلمة فسّر فيها الصراع في العراق أنه صراع سياسي بحت, ونفى أن يكون صراعا طائفيا, ولم يتطرق إلى الأعمال الإجرامية التي وجّهت لأبناء السّنة, وجاءت كلمتي بعده, وكانت كلمة أثّرت في كل من سمعها داخل المؤتمر وخارجه, وكان لها صدى كبير في العراق والبلاد العربية, وجلبت نقمة الصفويين الطائفيين عليّ, واتصل بي أكثر من شخص, منهم الشيخ (ابراهيم منير المدرّس) من سوريا طالبين ألّا أعود إلى العراق, خوفا من أن يصيبني أذى دعاة الطائفية الموالين للصفويين, وأثارت كلمتي غضب الدكتور حارث الضاري, واعتبرها موجهة ضده, لأنني كررت فيه القول: (مخطيء من يقول أن الصراع ليس طائفيا), إنني قلت ما أعتقده ويعتقده جميع الذين يعايشون الأحداث من المرابطين في البلاد, ولا يهمني غضب من يغضب, ودعوت القائمين على المؤتمر أن يسمّوا المؤتمر: (نصرة أهل السنة), وقلت لهم : لماذا تهربون من الحقائق؟.

ودعوت الدول العربية إلى الحذر من المخطط الصفوي والعمل على إنقاذ إخوانهم أبناء السنة في العراق, ويبدو أن كلمتي قد أثارت حفيظة الكتلة الشيعية

في البرلمان, فعقدت جلسة خاصة في 2006/12/18م لاتخاذ موقف من خطابي في المؤتمر, طالب فيها كل من النائب (علي الأديب) والدكتور (حيدر العبادي) أن تشكل لجنة برلمانية لمحاسبتي, وشاركهم عدد من النواب الشيعة في ذلك, منهم النواب: (عبد الكريم العنزي) و (عباس البياتي) و (كمال الساعدي) و(هادي العامري), وقد صرّح الناطق باسم جبهة التوافق فقال: إن مشاركة الدكتور عدنان الدليمي في المؤتمر لم تأت باسم الجبهة, ولكنه استدرك فوصف كلامي بأنه توصيف للحالة التي تعيشها بعض مناطق أهل السنة, ورفض النائب (عبد الكريم السامرائي) ـ أحد قادة جبهة التوافق ـ أن يكون كلامي دعوة لعزل الشيعة, وإنما اعتبره رد فعل لما يحصل من إقصاء وتهميش أهل السنة, ورد نائب التوافق (الدكتور عمر عبد الستار) بعنف على الإنتقادات الموجّهة لي وقال : إنكم تحاسبون الضحية وتتركون الجلّاد .

ودعت الكتلة الشيعية إلى محاسبتي واتخاذ أقسى الإجراءات بحقي, فلما عدت بعد أيام قليلة إلى بغداد, وداومت في مجلس النواب, لم يجر أي تحقيق معي, ولم يوجّه لي أي سؤال, ولكن النقمة ازدادت عليّ بطرق أخرى, وبُذِلَتْ جهود كثيرة لإقصائي وتهميشي, وإلحاق الضرر بي وبأولادي وحمايتي, فأغروا صدر الأمريكان تجاهي, فتكررت مداهمة منزلي بحجج كثيرة : منها أن بين حمايتي إرهابيين وعناصر من القاعدة, وأن في منزلي مصانع لإعداد المفخخات, ففي رمضان سنة 1427هـ الموافق تشرين الأول 2006م داهمت قوة أمريكية كبيرة مؤلفة من عشرين مركبة عسكرية بين دبابة وهمر القاطع الذي فيه منزلي من حي العدل, وأحاطت به من جميع أركانه وحلّقت طائرات مروحية (هيلوكوبتر) في سماء المنطقة, وقاموا بتفتيش مضاجع عناصر حمايتي, ومعهم كلب بوليسي بحجة وجود مصنع للمفخخات, ولم يعثروا على شيء, واعتقلوا أحد أفراد حمايتي بحجة انتمائه للقاعدة، ووعدوني أن يطلقوا سراحه بعد يومين

أو ثلاثة أيام, إلا أنه مكث في الإعتقال أكثر من سنة, ثم أطلق سراحه, وقد أثيرت ضجة إعلامية حول هذه المداهمة مبعثها وكالة أنباء براثا الشيعية.

واجتمعت في حينه بالسفير الأمريكي في مقر مجلس النواب وشرحت له ما جرى, وعلى إثر ذلك أصدر بالإشتراك مع قائد قوات التحالف (الجنرال كي سي) بيانا أعربوا فيه عن تبرئتي من كل عمل إرهابي, وأن منزلي خالٍ من الإدعاءات التي أثارتها جهات مغرضة, وأصدرت جبهة التوافق بيانا في 2006/10/9م شجبت فيه موقف بعض القنوات الفضائية التي هوّلت الموقف, وذكرت فيه: "أن جبهة التوافق سائرة في طريقها وباستراتيجية واضحة المعالم, بيّنة الخطوات, لن تتأثر بالأصوات النّشاز التي تحاول زيادة اضطراب الوسط السياسي, بدل أن تعمل على تصفية الأجواء لإطفاء نار الفتنة", وكان النائب في التيار الصدري (بهاء الأعرجي) قد أثار زوبعة مملوءة بالكذب والأراجيف حول هذا الموضوع, فطالبت جبهة التوافق من التيار الصدري إيضاح فيما إذا كان هذا النائب يعبر عن موقفه الشخصي أم هو الرأي الرسمي للتيار!, ولكن التيار لم يجب على هذا التساؤل, وقد صرحتُ لوسائل الإعلام آنذاك بحقيقة الموقف, وأنها مجرد إشاعات مبرمجة للإساءة لي بتوجيه التّهم الكاذبة لي ولجبهة التوافق .

وكانت آخر هذه المداهمات أقساها, وأدّت إلى إيقاف عملنا في مؤتمر أهل العراق الساعي للدفاع عن أبناء السنة وعن جميع العراقيين, ففي يوم الخميس الموافق 2007/11/29م كنت في مجلس النواب, فأُخبِرتُ بعد الظهر أن الأمريكان قد عثروا على سيارة زعموا أنها مفخخة قرب مقرّي في حي العدل, فقاموا بتفجيرها وجرح إثر ذلك مجموعة من جنودهم, وإنهم بالإشتراك مع القوات العراقية قاموا بمداهمة المقر واعتقلوا من كان فيه, وأعلنت وكالة براثا

الطائفية ووسائل الإعلام الحاقدة على أبناء السنة أنه قد وجد في مقري سيارتان مفخختان, وفي ليلة 2007/11/30م فجرا داهمت قوة من الجيش العراقي تصحبهم قوة أمريكية مضاجع حماية منزلي واعتقلوا جميع عناصر الحماية, ثم اقتحموا منزل ولدي مكي البالغ من العمر 38 عاما, وأجروا تفتيشا دقيقا فلم يعثروا على أي شيء, ثم قاموا باعتقاله, وهو ما يزال معتقلا هو وعناصر الحماية وبعض العاملين في مقري إلى هذا اليوم[1].

وفي صباح يوم السبت 2007/12/1م أي بعد يوم من المداهمة, قررت الذهاب إلى مجلس النواب لحضور الجلسة المنعقدة في ذلك اليوم, ولكن الجيش منعني من الخروج, وفرض عليّ إقامة جبرية في منزلي, ومنع خروج حتى الأطفال من البيت, ومنع دخول أي شخص إلى بيتي, حتى أختي العجوز منعوها من دخول بيتي, وبدأ ذلك من صباح يوم الجمعة الموافق 2007/11/30م, وأجرت معي (جريدة الشرق الأوسط) اتصالا هاتفيا في ذلك اليوم شرحْتُ فيه حقيقة ما وقع, ونُشِر التصريح يوم السبت الموافق 2007/12/1م, وتوالت التصريحات الكاذبة من قبل الناطق الرسمي باسم وزارة الدفاع (اللواء قاسم عطا), فأشرت في تصريحي الذي نشرته الشرق الأوسط إلى أن: "التصريحات التي أدلى بها بعض المسؤولين بحقيقة ما جرى عارية عن الصحة, وأني لأستغرب من وجود مسؤولين بهذا المستوى, يلفقون التهم للآخرين, فالقوات التي داهمت المقر لم تعثر على أي شيء, ولم يجدوا سيارة مفخخة كما زعموا, ولا في بيتي أيضا, وكل ما في الأمر أنهم عثروا على سيارة مشبوهة في الزقاق الذي يقع خلف المقر, وقامت قوة أمريكية وليست عراقية بتفجيرها في مكانها.

(1) تاريخ كتابة هذا الجزء من المذكرات يوم الإثنين 2010/10/25م في عمان .

وادّعى الناطق الرسمي باسم وزارة الدفاع في تصريح له نقلته وسائل الإعلام أن: "قائد خطة أمن بغداد أصدر قرارا بمنع الدكتور عدنان الدليمي من مغادرة مقره في حي العدل حفاظا على حياته, وأن القوات الأمنية العراقية تتولى الآن مهمة حمايته, بعد اعتقال نجله وجميع الحراس الشخصيين للدليمي".

وقد صرحت لوسائل الإعلام عبر الهاتف لأن السلطات الحكومية منعتها من الوصول إلى منزلي أن: "هذا الكلام الّذي صرح به الناطق الرسمي لوزارة الدفاع عارٍ عن الصحة, وأنني لست بحاجة إلى حماية القوات الأمنية الحكومية لي, لأنني لست خائفا من أحد وأن أهالي حي العدل كلهم مستعدون لحمايتي", وحقيقة الأمر أنهم فرضوا عليّ إقامة جبرية في منزلي, وهذه أول حالة تحدث بعد الإحتلال من قبل الحكومة المسنودة من قبل المحتل, وهي أن تفرض إقامة جبرية على رمز من رموز البلاد, ومشارك في العملية السياسية, وصوته القوي المدافع عن أبناء السنة المظلومين يتردد في الإعلام والمحافل الرسمية وفي البرلمان .

وبعد ثلاثة أيام جاءني الدكتور (موفق الربيعي) ومعه الدكتور (حاجم الحسني) بإيعاز ـ على ما أظن ـ من رئيس الوزراء فأخذاني إلى فندق الرشيد لأحضر جلسات مجلس النواب .

وفي أول يوم التحاقي بمجلس النواب دعاني فخامة رئيس الجمهورية (مام جلال) إلى منزله, وقد صرّح في اليوم السابق أنه مستاء من تعامل القوات الأمنية معي, وأبدى امتعاضه مما جرى ضدي, وذكر للإعلام (أن رئيس الجمهورية الذي يعد مسؤولا إزاء صيانة الدستور والقانون والحريات وحقوق المواطنين, لن يسمح بانتهاك الدستور والقانون), وقد حظيت منه بكل رعاية ومساندة, وأمر فصيلا من حمايته بتأمين الحماية لي ولمنزلي, وما زال منزلي في حي العدل يحرس من قبل هذا الفصيل, وكانوا يرافقوني في ذهابي وإيابي من

وإلى المنطقة الخضراء, وإلى أي مكان أذهب إليه.

وبعد دوامي في مجلس النواب ثلاثة أيام, عدت إلى مكان إقامتي في حي العدل, فاستقبلني أهالي الحي وسط هتافات التأييد, مما أذهل الجيش والقوات الأمريكية المتمركزة في حي العدل, وذهبت إلى مقر مؤتمر أهل العراق في الحي, فوجدت الجيش مسيطرا عليه, ومنعوني من الدوام فيه, وطالبت الحكومة وقوات الجيش بإخلاء المقر والسماح لي بالدوام فيه, لمواصلة عملي السياسي والإغاثي, ولكنهم لم يوافقوا, فجعلت مقر عملي في منزلي, وشددوا من إجراءاتهم التعسفية, وضاعفوا جهودهم في التضييق على تحركاتي, ومنعوا كثيرا من الناس من دخول حي العدل إذا علموا أنهم يريدون زيارتي, فمنعوا سفير إيران من زيارتي, ومنعوا وسائل الإعلام من الوصول إلى بيتي, وكنت كلما أريد الذهاب إلى مجلس النواب أو إلى أي مكان, يعرقلون مسيرة موكبي ويجرون تفتيشا على السيارات المرافقة لي, وهي سيارات رسمية تابعة لفوج حماية رئيس الجمهورية, ويؤخرون تحرك موكبي في السيطرات المبثوثة في حي العدل, حتى إذا كنت أريد الذهاب إلى المسجد أيام الجمعة, يستوقفون موكبي مدة ليست بالقليلة.

وظهرت أصوات طائفية في البرلمان تطالب برفع الحصانة البرلمانية عني, وتقديمي للمحاكمة, وقد أعلنت أكثر من مرة في المجلس أني مستعد للمثول أمام القضاء, على أن يكون قضاء عادلا بعيدا عن التسييس والطائفية, واجتمعت أكثر من مرة برئيس الوزراء وطالبته بأن يأمر القوات الأمنية بإخلاء مقري لأعود إليه مواصلا عملي السياسي, ولكن مطالباتي باءت بالفشل, ولم تتوقف تصرفاتهم الرامية إلى تضييق الخناق عليّ, ولم يكتفوا باعتقال ولدي (مكّي) وعناصر حمايتي, فقاموا يوم الثلاثاء الموافق 2008/8/19م باعتقال ولدي

(مثنّى) البالغ من العمر 44 عاما, بحجة أنه كان يزرع عبوة ناسفة, وأنه شارك في عمليات قتل وتهجير, علما بأن ولدي لا علاقة له بالعمل السياسي, وهو صاحب محل بسيط لبيع الأدوات الإحتياطية للسيارات, ومحلّه في حي العدل قريبا من منزلي, وهو مهتم بإدارة شؤون البيت, وأهل الحي من سنة وشيعة مجمعون على احترامه, وبعده عن أي عمل مشين, وأصدر المكتب الإعلامي للحزب الإسلامي تصريحا صحفيا بشأن ذلك, ورد فيه: ((يبدو أن هناك أطرافا لا تزال مصرّة على استهداف الرموز الوطنية التي تعمل لأجل العراق, ولا يروقها استقراره, وبعد صولة (الكتيبة 36) في ديالى التي حملت معاني الإنتقام والثأر, قامت القوّات الأمنية باعتقال (مثنى) نجل الدكتور الفاضل عدنان الدليمي قرب منزله, بدعوى دعم الإرهاب, وارتكابه جرائم قتل طائفية, إن هذه التهمة الجاهزة دوما باتت ذريعة تستخدمها القوات الأمنية كل حين, وتستهدف من خلالها كل من يعمل لصالح العراق وخدمة أبناء شعبه, الحزب الإسلامي إذ يستنكر هذا التصرف الإستفزازي غير المسؤول, فإنه يؤكد أن تكرار هذه الأعمال لن يخدم المصالحة الوطنية التي يعمل لها ويسعى إلى تحقيقها بكل جهده وطاقته, كما يطالب بإطلاق سراح الأخ مثنى الدليمي, ويحمل القوات الأمنية المسؤلية الكاملة عن سلامته)) .

وقد رددت على الناطق الرسمي الذي اتهم ولدي مثنى بأنه ألقي القبض عليه وهو يزرع عبوة ناسفة, ووصفت كلامه بالكذب البحت, وأنه ألقي القبض عليه على مرأى ومشهد جمهرة من الناس في الشارع العام, ولم يكن يحمل أي عبوة ناسفة أو سلاح, وأنه كان منشغلا في عمله في محله .

وقد تدخل فخامة الرئيس مام جلال والدكتور رافع العيساوي نائب رئيس الوزراء, مطالبين بإطلاق سراح مثنى ولكن الحكومة لم تستجب لطلبهما .

ولمّا اعتقل مثنى في (سجن العدالة) الكائن في الكاظمية, استدعاه آمر المعتقل فسأله: لماذا اعتُقِلت ؟, فقال له مثنى: أنا أسألك, وليس أنت الذي تسألني, لماذا اعتقلتُ؟, فقال له الآمر: اعتقلت لأنه وجدوك تزرع عبوة, فقال له مثنى: لا, وإنما اعتقلت لأنني ابن الدكتور عدنان الدليمي!, فقال له الآمر: هل يعني هذا أن اللواء قاسم عطا يكذب؟, فقال له مثنى: لا, وإنما تسربت إليه معلومات كاذبة من المراجع الأمنية فاعتمد عليها, ومكث في المعتقل إلى أن أصدرت المحكمة المختصة براءته من كل التهم الموجهة إليه, فأطلق سراحه يوم 2009/10/15م, بعد أن مكث في الإعتقال أكثر من سنة, وبهذا تبين كذب الجهات الأمنية وكذب الناطق الرسمي باسم وزارة الدفاع .

وعلى الرغم من المضايقات التي أواجهها, كنت أقوم بزيارات تفقدية لبعض المحافظات, فقد زرت ناحية (يثرب)[1] في صلاح الدين, وقد استقبلنا أهالي هذه الناحية بالفرح والسرور, وزرتهم في وقت كان الإرهابيون يسيطرون على المنطقة, وكنت أول نائب في البرلمان يزور هذه الناحية, في ذلك الظرف الصعب, واجتمعت برؤساء العشائر والأفخاذ والوجهاء والمثقفين, ودعوتهم لوحدة الصف, ولمحاربة العنف والإرهاب, ثم زرت مدينة (تكريت), واستقبلني شيوخ المدينة عند مدخلها, وكان اللقاء مشبعا بالمودة والتأييد, وعقدت أكثر من اجتماع مع الأهالي والمثقفين, وأنصار جبهة التوافق, والمسؤولين الحكوميين, وعلى رأسهم المحافظ, ثم زرت مدينة الرمادي, واتصلت بأغلب شيوخ عشائر محافظة الأنبار, وعقدت اجتماعا موسعا في مضيف الشيخ (عدنان مهنّا العلواني), حضره محافظ الأنبار السيد (مأمون سامي هلال), ورئيس مجلس

---

(1) ناحية يثرب: تقع على نهر دجلة شمال بغداد, وجنوب مدينة سامراء, وهي ناحية تابعة لمحافظة صلاح الدين, منطقة زراعية, تقطنها عشائر خزرج وتميم وقيسية.

المحافظة, الدكتور (عبد السلام عبد الـلـه العاني), ومدير أوقاف الأنبار الشيخ (عبد الـلـه جلال الفراجي), وعقدنا مؤتمرا صحفيا, بثته بعض الفضائيات, وزرت منطقة (هور رجب)[1] جنوب بغداد, والتقيت بجمهور كبير من أبناء عشائر المنطقة, ولا سيّما مؤيدو جبهة التوافق, ودعوتهم لوحدة الصف, والعمل على تهدئة الوضع, والحذر من دعاة الطائفية .

واضطررت إلى ترك منزلي في حي العدل والإنتقال إلى حي اليرموك بسبب الحصار المفروض عليّ من قبل الأجهزة الأمنية ومساءلة كل من يريد زيارتي أو منعه, وقد عرقلوا موكب نائب رئيس الوزراء السابق (الدكتور سلام الزوبعي) وهو يروم زيارتي, وبتركي حي العدل تحقق للأجهزة الأمنية الطائفية غرضا كانت تهدف إليه, وهو تركي لهذا الحي الذي أسكنه منذ سنة 1971م, فوجودي في هذا الحي تقوية لسكّانه من أبناء السنة, وهذا مما يقلق دعاة الطائفية ويغيضهم, فبذلوا كل الجهود من أجل تحقيق هذا الغرض, وسبق لهم أن سيطروا على مقر مؤتمر أهل العراق في حي العدل وبعثروا محتوياته وعبثوا فيها, واستحوذوا على آلات الحاسوب الموجودة فيه وجميع المستمسكات, وكل شيء فيه, وأعمالهم هذه مخالفة للدستور والقانون اللذين يكفلان للعراقيين حرية الرأي والعمل السياسي, متذرعين بمحاربة الإرهاب والحفاظ على الأمن .

واشتدت الحملة عليّ وعلى أولادي وحمايتي, وصدرت نداءات تحريضية من الناطق الرسمي لوزارة الدفاع يدعو فيها المواطنين الشيعة إلى الذّهاب إلى سجن العدالة لتقديم الشكاوى علينا بأننا مارسنا قتلهم وتهجيرهم, وعُلِقت لافتات في مدينتي الحرية والكاظمية تدعو لمثل ذلك, وبلغت الشكاوى

---

(1) هور رجب: قرية جنوب بغداد, على بعد حوالي خمسين كيلو متر, تقطنها عشائر عربية, مثل: الدليم والبو عيثة وحمير.

والدعاوى أكثر من ثلاثمائة شكوى, وقُدِّم ولدي مكّي وعناصر حمايتي ـ وهم ما يقرب من ستين ـ إلى المحاكمة مرات متعددة خلال هذه السنوات الثلاث التي تم اعتقالهم فيها, فأصدرت المحاكم الجزائية قرارات قاطعة ببراءتهم, ولكنهم ما زالوا معتقلين, كلما برأتهم المحاكم رُتِبتْ اتهامات جديدة بحقهم, كلها كيدية, المقصود منها هو أنا انتقاما وحقدا لأن صوتي كان عاليا في الدّفاع عن المعتقلين والمهجرين, و اللـه ينتقم من الظالمين(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [1].

واضطررت للإبتعاد عن الأضواء وإلى الإغتراب المؤقت مجددا, فسافرت إلى الأردن لعل الأمور تهدأ, وأراقب الأحداث وأنتظر الفرصة السانحة للعودة إلى بلادي, لأشارك في إنقاذ البلاد من محنتها, ومن الحالة الشائكة التي وصلت إليها.

---

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

جبهة التوافق العراقية

قاطع أهل السنة بتحريض من جهات معينة الإنتخابات التي جرت لإختيار المجلس الوطني الإنتقالي في2005/1/30، وقاطعوا إنتخابات مجالس المحافظات، وهذا قد سبب ضررا كبيرا لأبناء السنة، وقد صاحبته دعوة من قصيري النظر بعدم الإنخراط في الجيش والشرطة والعمل في مؤسسات الدولة وعدم المشاركة في العملية السياسية فأصاب السنة من جراء ذلك ظلم وحيف لا زالوا يعانون منه الأمَرين، فأصبحت الدولة من جيش ومؤسسات أمنية وأجهزة الدولة المختلفة بأيدي مكون سكاني واحد معادٍ لأهل السنة وأصبحت الساحة خالية من رجالات السنة الذين أسهموا في بناء الدولة منذ تأسيسها فسيطر الطائفيون والصفويون على الدولة والجيش والشرطة.

وبعد أن حسّ الغيارى من أبناء السنة بالظلم والحيف بسبب ابتعادهم عن المشاركة في العملية السياسية بحجة أن البلاد تحت الإحتلال والدخول في العملية السياسية معناه شرعنة الإحتلال، فبعد أن ظهر لعموم أبناء السنة خطر هذا التوجه، طغت في المجتمع السني دعوات قوية للمشاركة في العملية السياسية، فأصدر جمهور من علمائنا فتوى الدخول في هذه العملية والإنخراط في صفوف الجيش والشرطة ومؤسسات الدولة، فعزم جمهور كبير منهم على المشاركة في المعركة الإنتخابية الثانية، وكنا في مؤتمر أهل العراق قد جاهدنا جهادا مريرا لإقناع أبناء مكوننا بالمشاركة في هذه المعركة، فسعينا في تعبئة الجماهير السنية لخوض هذه الإنتخابات ودعونا النخب المختارة في مكوننا للترشيح لذلك واتصلنا بالعلماء وأئمة المساجد والأساتذة الجامعيين والضباط وشيوخ العشائر والأفخاذ وجميع طبقات أبناء السنة وهيئنا الجو للمشاركة الفاعلة بالإنتخابات

على الرغم من تهديدات الذين يعارضون المشاركة في العملية السياسية بأنهم سيهاجمون مراكز الإقتراع ويقتلون من يشارك فيها.

ونحن نعد العدة للإنتخابات اتصل بي ممثلون من الحزب الإسلامي بقيادة الأستاذ طارق الهاشمي، ومجلس الحوار بقيادة الشيخ خلف العليان وعرضوا عليّ تشكيل جبهة موحدة لخوض الإنتخابات، وكنت في الأصل أهفو لجمع أهل السنة وأعمل لذلك فتشاورت مع العاملين معي في المؤتمر فرحبوا بالفكرة، فقررنا تشكيل جبهة سميت (جبهة التوافق العراقية) وسجلنا التكتل السياسي في المفوضية العليا للإنتخابات وبدأنا بتنظيم حملة دعائية إنتخابية، فكتبنا شعارات الجبهة ولافتات تدعو المواطنين لإنتخاب مرشحي الجبهة، وكنت أنا والحزب الإسلامي نظن أن الدكتور صالحا المطلك ضمن مجلس الحوار،ثمّ تبين لنا أن الدكتور صالحا المطلك قد خرج من مجلس الحوار وشكل جبهة أخرى، وجاء فزارني في مقري في حي العدل، فعرضت عليه أن يشارك في جبهة التوافق،واستجبنا لكل مطالبه، حتى إذا رغب في تغيير عنوان الجبهة فلا مانع لدينا فاتفقنا أن نذهب سوية إلى المفوضية للإستفسار منها هل يجوز أن نغير اسم الجبهة، ولكنه رفض أن نذهب سوية بعد أن هممنا بالذهاب إلى المفوضية استدرك وقال: سأذهب وحدي بحجة أنه لا يريد أن يتعبني، ثمّ لم يتمّ الإتفاق فنزل هو بقائمة مستقلة وبقينا نحن في جبهتنا، علما بأني كنت حريصا على وحدة أبناء السنة وبذلت كل ما أستطيع من أجل ذلك.

وشكلنا لجنة من ممثلين عن مكونات الجبهة، وكانت تجتمع في مقر الحزب الإسلامي في حي اليرموك، وبدأنا نعقد المؤتمرات في عدة محافظات وكنت أنا الذي أقود الحملة الإنتخابية بكل قوة ونشاط ويشاركني في هذه المؤتمرات قادة من الحزب الإسلامي أو مجلس الحوار، والمؤتمرات التي عقدناها كثيرة منها:

1. مؤتمر الرمادي: عقدناه في الجزيرة عبر الفرات لأسباب أمنية، وكان مؤتمرا حاشدا تحدثت فيه عن وضع السنة، وبينت لماذا عزمنا على المشاركة في الإنتخابات ودعوت الحضور للعمل من أجل إسناد الجبهة وحملتهم أمانة ذلك.
2. مؤتمر الفلوجة: عقدناه خارج الفلوجة في منطقة(السكر) على بعد حوالي عشرة كيلو متر،لأسباب أمنية أيضا، وتحدثت فيه عن أهمية المشاركة في الإنتخابات وتحدث فيه أيضا الدكتور مكي حسين الكبيسي، وآخرون لا أذكرهم.
3. مؤتمر العامرية: عقدنا المؤتمر في منطقة عامرية الفلوجة وهي مسكن عشيرة (البو عيسى)، والعامرية من نواحي قضاء الفلوجة فيها منشاءات صناعية مهمة قبل الإحتلال.
4. مؤتمر العامرية الثاني: وجهت لنا دعوة من الشيخ (كامل الدحل) أحد شيوخ قبيلة البوعيسى فعقدنا مؤتمرا حافلا قرب مضيفه العامر، وشاركنا الدكتور رافع العيساوي، وهو من أبناء العشيرة العاملين في الحزب الإسلامي يومذاك[1].
5. مؤتمر الأعظمية: عقد المؤتمر في ساحة ألعاب قريبة من جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان.

---

(1) خرج الدكتور رافع العيساوي من الحزب الإسلامي وشكل هو والدكتور سلمان الجميلي والدكتور ظافر العاني كيانا سياسيا سموه تيار المستقبل انظم للقائمة العراقية في انتخابات 2010/3/7.

6. مؤتمر هور الباشا: وهور الباشا قرية من قرى الكاظمية تقع شمالي بغداد تقطنها عشائر عربية مختلفة.

7. مؤتمر سامراء: رافقني فيه الشيخ خلف العليان، وتحدثت فيه عن ضرورة المشاركة في العملية السياسية وطالبت بإعادة الضباط المفصولين والمجتثين، وتحدث أيضا الشيخ خلف العليان ودعا أبناء سامراء إلى المشاركة في الإنتخابات، وتأييد الجبهة التي ألزمت نفسها بالدفاع عنهم.

8. مؤتمر تكريت: وصاحبني فيه الدكتور علاء مكي عضو المكتب السياسي للحزب الإسلامي يومذاك، وتحدثنا فيه عن برنامج الجبهة ودعونا أهالي تكريت إلى المشاركة في الإنتخابات وتأييد جبهة التوافق.

وعقدنا مؤتمرات أخرى كثيرة سأذكرها دون شرح وتعليق لأن المؤتمرات كلها تدور حول ضرورة المشاركة في الإنتخابات، وكيف أن ضررا كبيرا أصاب أهل السنة لمّا قاطعوا الإنتخابات ومن ثُمّ دعوتهم للتصويت لجبهة التوافق العراقية، وهذه المؤتمرات هي:

9. مؤتمر بيجي[1].

10. مؤتمر جزيرة تكريت العشائري.

11. مؤتمر الشرقاط[2].

12. مؤتمر الموصل.

(1) قضاء بيجي: يقع في محافظة صلاح الدين يبعد 220 كيلومتر شمال بغداد ويقع على طريق بغداد الموصل.

(2) الشرقاط: يقع بين بيجي والموصل على نهر دجلة كثير من سكانه من أهل تكريت وفيهم قيسيون وجميلات وجبور.

13. مؤتمر بعقوبة مركز محافظة ديالى.

14. مؤتمر حد مكسر[1].

15. مؤتمر دلي عباس[2]، منطقة عشيرة العزة.

16. مؤتمر خان بني سعد[3]، ويضم جمهرة من عشائر الدليم في محافظة ديالى.

17. مؤتمر الدوجمة التي تقطنها عشيرة العبيد في قضاء الخالص من محافظة ديالى.

18. مؤتمر الراشدية[4].

وقد حظيت جبهة التوافق بدعم قوي من أبناء السنة، وقبل أن تجري الإنتخابات جرى التصويت على الدستور في 2005/10/15م. ولابد لي من الإشارة إلى حدث أثّر على الجبهة سلبا أذكر هذا للتأريخ، فنحن في المؤتمر العام لأهل العراق كنا ندعو العراقيين إلى التصويت بـ(لا) للدستور وكذلك كان الحزب الإسلامي ومجلس الحوار يدعوان إلى عدم الموافقة على الدستور، وكان الحزب الإسلامي يثقف جماهيره، بالتصويت بـ(لا)، وقبل الإستفتاء بأيام اتصل بي مكتب السيد مسعود البرزاني للإلتقاء به في مقر إقامته في المنطقة الخضراء، فذهبت يرافقني ولدي (مكي) المعتقل الآن، وجلست في غرفة الإستقبال وبعد انتظار قليل جاءني السيد مسعود وقال لي: أرجو أن تنتظر قليلا إلى أن يخرج الضيوف الذين هم عندي، وأنا جالس أنتظر اتصل بي أحد الإخوان من الحزب

(1) حد مكسر: قرية من قرى محافظة ديالى.

(2) دلي عباس: ناحية في محافظة ديالى مركز عشيرة العزة.

(3) خان بني سعد: ناحية في محافظة ديالى تبعد 50 كيلومتر عن بغداد.

(4) ناحية تقع شرقي بغداد على نهر دجلة مجاورة لمحافظة ديالى أغلب عشائرها دليم.

الإسلامي وهو لا يعرف أين أنا، فقال لي: إن الأستاذ طارقا الهاشمي والدكتور علاء مكي ذهبا لمقابلة السيد مسعود البرزاني، فعند ذاك علمت مَن ضيوف السيد البرزاني، وبعد قليل استُدعيت إلى مكتبه وقد خرج ضيوفه، وعنده السفير الأمريكي زلماي خليل زاده ومستشار السفارة روبرت فورد، وهو يعرف العربية، ثمّ جاء المترجم (جيفري) فقال لي السيد مسعود البرزاني: نريد أن نعرف رأيك في الدستور فالحزب الإسلامي قد وافق على التصويت بـ(نعم) وأضاف الفقرة(142) إلى الدستور التي تنص على:

اولا- يشكل مجلس النواب في بداية عمله لجنة من اعضائه تكون ممثلة للمكونات الرئيسة في المجتمع العراقي، مهمتها تقديم تقرير الى مجلس النواب، خلال مدة لا تتجاوز اربعة أشهر، يتضمن توصية بالتعديلات الضرورية التي يمكن إجراؤها على الدستور، وتحلّ اللجنة بعد البت في مقترحاتها.

ثانيا- تعرض التعديلات المقترحة من قبل اللجنة دفعة واحدة على مجلس النواب للتصويت عليها، وتُعد مقرّة بموافقة الاغلبية المطلقة لعدد أعضاء المجلس.

ثالثا- تطرح المواد المعدلة من قبل مجلس النواب وفقا لما ورد في البند (ثانيا) من هذه المادة على الشعب للاستفتاء عليها خلال مدة لا تزيد على الشهرين من تاريخ إقرار التعديل في مجلس النواب.

رابعا- يكون الاستفتاء على المواد المعدلة ناجحا بموافقة أغلبية المصوتين وإذا لم يرفضه ثلثا المصوتين في ثلاث محافظات أو أكثر.

خامسا- يستثنى ما ورد في هذه المادة من احكام المادة (126) المتعلقة بتعديل الدستور، إلى حين الانتهاء من البت في التعديلات المنصوص عليها في هذه المادة.

فأجبتهم بأنني لا أوافق على الدستور وأدعو أنصاري إلى التصويت بـ(لا)، فقالوا خذ الورقة التي فيها المادة (142) واقرأها فأخذت الورقة وقرأتها فوجدتها لا تجدي نفعا، فكررت لهم رأيي بعدم الموافقة، ثمّ خرجت وذهبت إلى مقر الحزب الإسلامي والتقيت بالدكتور محسن عبد الحميد، فقلت له: يا أخي نحن أمس نثقف جماهيرنا على التصويت برفض الدستور كيف نجيز لأنفسنا أن نصوت عليه اليوم بـ(نعم) إن هذا سيلحق الضرر بسمعة الحزب ومن ثمّ سيؤثر على جبهة التوافق، ولم أستطع أن أحصل منه على جواب شافٍ، فخرجت عائدا إلى مقري في حي العدل، وفي اليوم الثاني توجهت إلى مقر الحزب الإسلامي وناقشتهم في الموضوع فلم أخرج معهم بنتيجة، فهبت عاصفة مندِدة بموقف الحزب، وأنا وإن كنت لا أرتبط بأي رباط مع الحزب ولكنني حريص على سمعة الحزب لاسيما أنني داخل معه في تحالف إنتخابي فاتصلت بالشيخ خلف عليان وقلت له:يجب ألاّ نترك الحزب وحده يلاقي هذه العاصفة من التنديد وعلينا أن نعقد مؤتمرا صحفيا وندعو وسائل الإعلام للدفاع عن الحزب الإسلامي فوافق على ذلك، فدعوت وسائل الإعلام والصحافة إلى مقري وعقدنا مؤتمرا شاركنا فيه الدكتور علاء مكي عضو المكتب السياسي للحزب الإسلامي آنذاك فبينا في المؤتمر أن الحزب يثقف أتباعه ومؤيديه لرفض الدستور، وفي تلك المدة كان صوتي قويا مؤثرا في المجتمع فاستطعت أن أهدأ الناس وأقضي على اللغط الذي أثير آنذاك وسُرّ بذلك قادة الحزب وشكروا لي موقفي هذا.

وظهرت النتائج الأولية للإنتخابات تشير إلى تفوق الجبهة، فأرسل إليّ الدكتور إبراهيم الجعفري مندوبين هما الدكتور سعيد إسماعيل حقي والسيد عدنان الكاظمي وعرضا عليّ التعاون وقدموا تنازلات، وكان هناك صراع مكشوف بين الجعفري والمالكي، وأراد الجعفري أن أقف معه في صراعه مع نده وشريكه في حزب الدعوة وعرض عليّ ترشيحي لمنصب متقدم في الحكومة المنوي تأليفها وفق المحاصصة الطائفية، فرفضت العرض، واتصل بي أيضا ممثلا عن سماحة السيد عبد العزيز الحكيم وعرض عليّ التعاون وكنت يومذاك، أمثل أبناء السنة ولم يكن هناك صوت لأي من قيادات أهل السنة يعلو صوتي، وقامت مظاهرة حاشدة قدرت بمليون متظاهر في الشوارع الأربعة من مدينة اليرموك محتجة على نتائج الإنتخابات وكانت جميع الإستطلاعات تؤكد فوز جبهة التوافق بمقاعد تفوق العدد الذي أعلنته مفوضية الإنتخابات وهو أربعة وأربعون مقعدا ، وكانت الجماهير المتظاهرة تهتف باسمي قائدا لهم، فوقفت في شرفة أحد بيوت الحي المطلة على المظاهرة ومعي الأستاذ طارق والشيخ خلف العليان والدكتور ظافر العاني، فخاطبت الجماهير وهنئتهم بفوز الجبهة وطلبت منهم ألاّ يهتفوا باسمي ولا باسم أي شخص، وإنما عليهم أن يهتفوا للعراق ولوحدة العراق وسيادته ولجبهة التوافق، ولما إنفض التجمع عدت إلى منزلي، وفي اليوم التالي خرجت مسيرات حاشدة طافت بغداد،ووقفوا أمام بيتي وهم يهتفون مبتهجين بالنتائج الأولية للجبهة، ثمّ انصرفوا وتوجهوا إلى الحزب الإسلامي، وكنا نأمل أن نحصد ما يقارب من ثمانين مقعدا ،ولما ظهرت النتائج كانت مقاعدنا أقل من ذلك، فأثير لغط بأن هناك تزويرا وقع من قبل الأمريكان لأن أمر الإشراف على الانتخابات كان بيدهم، وفازت الجبهة التي يرأسها الدكتور صالح المطلك بـ(11) مقعدا ، وكان الدكتور صالح المطلك قد رشح نفسه عن بغداد ولم تفز قائمته في بغداد بأي مقعد، ثمّ رشح إلى مجلس النواب

عن طريق المقاعد التعويضية التي وزعت على القوائم الفائزة، وبدأت الكتل السياسية، تعقد مشاورات وجلسات تفاوضية لاختيار رئيس مجلس النواب واختيار رئيس الجمهورية ومن ثمّ اختيار رئيس مجلس الوزراء، ونواب هذه المناصب الرئاسية الثلاثة، وتمّ الاتفاق على أن ترشح جبهة التوافق رئيس مجلس النواب، ونائب رئيس الجمهورية، ونائب رئيس الوزراء، ووزير الدفاع، ووزير التعليم العالي، ووزير الثقافة، ووزير التخطيط، ووزيرة المرأة، ووزير الشؤون الخارجية، وتمّ الاتفاق فيما بيننا في الجبهة على أن يرشح الأستاذ طارق الهاشمي رئيسا لمجلس النواب، وأرشح أنا نائبا لرئيس الجمهورية، ويرشح الشيخ خلف العليان إما وزيرا للدفاع لكونه ضابطا سابقا أحيل على التقاعد أيام حكم الرئيس السابق صدام حسين أويعين نائب رئيس الوزراء، وتمّ الاتفاق بين الكتل السياسية على اختيار مام جلال الطالباني رئيسا للجمهورية، واختيار جواد المالكي- الذي تبين عند ذاك أن اسمه نوري- رئيسا للوزراء بعد أن تفوق على الدكتور إبراهيم الجعفري في انتخابات الكتل الشيعية، والذي رجح كفته تأييد الصدريين له، وفي إحد الإجتماعات مع الكتل السياسية في منزل مام جلال وكان السفير الأمريكي حاضرا، وجميع ممثلي الكتل الشيعية والكردية حاضرين، وكنا أنا والأستاذ طارق الهاشمي حاضرين، قال الأستاذ طارق: إن الكتل الشيعية لم توافق على إسناد منصب رئيس مجلس النواب إليه ولهذا يطلب أن يسند إليه منصب نائب رئيس الجمهورية، فالتفت إليّ مام جلال والحاضرون وطلبوا رأيي، لأن الأمر كان محسوما باتفاق الجميع على أن يسند إليّ هذا المنصب، فسألت نفسي وقلت: لها نحن أمام خصوم وأعداء يفرحون إذا اختلفت كلمتنا، فلم أتردد عن الموافقة رغبة مني في وحدة صفّ الجبهة، فأعجب الجميع بتنازلي دون جدل أو غضب، وقلت لهم: إذن يجب أن يسند إليّ منصب رئيس مجلس النواب، فأبدى الجميع موافقتهم، ثمّ خرجنا لأداء صلاة العصر أنا

والأستاذ طارق الهاشمي، فقال لي ونحن في الطريق أنا سأساندك في إسناد منصب رئيس مجلس النواب إليك، ونشرت وسائل الإعلام يومذاك إختياري رئيسا لمجلس النواب، وبعد يوم أو يومين ذهبت إلى مقر الحزب الإسلامي فدعاني الدكتور علاء مكي للحضور إلى قاعة اجتماعات الحزب، ولم يبين لي الغرض من الحضور فاستجبت بعد إلحاح شديد منه فلما دخلت القاعة وجدت اجتماعا للجبهة ولم يكن لي علم به ولا أدري لم عقد الاجتماع، إذ لم يخبرني أحد به إذ جئت إلى مقر الحزب صدفة، فإذا سبب الانعقاد هو إجراء تصويت على انتخاب رئيس مجلس النواب، ونحن في الجبهة لم نعقد أي انتخاب يخص توزيع المناصب المسندة للجبهة بل كان يتم ذلك وفق تشاورات بين قادة الجبهة، ووزعت الأوراق لإجراء الإنتخاب وكان يجلس على يميني الأستاذ طارق الهاشمي، فقال: أنظر إلى ورقتي سأرشحك، فقلت له: أنا لا أنظر إلى ورقة أي شخص،ثمّ أعلن عن التصويت وكان المرشح لهذا المنصب أنا و الدكتور محمود المشهداني عن مجلس الحوار، فإذا الأوراق الأولى كلها لصالح المشهداني، فقلت في نفسي لعل ذلك لأن هذه الأوراق أوراق أعضاء مجلس الحوار، ثمّ توالى الكشف عن بقية الأوراق وكلها ترشح الدكتور المشهداني إلا أوراق قليلة جدا لاتتجاوز أربع أوراق أو خمس ترشحني، فكانت النتيجة أن فاز بالإقتراع المشهداني، فقمت وخرجت من القاعة مخذولا وكلي أسف وألم على هذا الموقف من نواب الحزب الإسلامي كيف يفضلون شخصا مغمورا آنذاك ولا أثر له في الحملة الإنتخابية على شخصي الذي أسهم بنجاح الجبهة وبذل جهودا جبارة، والناس كلهم يؤمنون أن جهودي وسمعتي في المجتمع السني هي التي أوصلت الجبهة إلى ما وصلت إليه، وأنا وإن لم أكن من المشاركين في الحزب الإسلامي لكن كنت من المساندين له والواقفين في وجه خصومه، فضلا عن أني أعمل في حقل الدعوة الإسلامية منذ كنت شابا يافعا وأسهمت في نشر

دعوة الإخوان مدة لا تقل عن خمسين سنة، وإن كنت قد تركت علاقتي التنظيمية بالحركة منذ خروجي من العراق إلى الأردن سنة 1994م، وكثير من العاملين في الحقل الإسلامي وحتى في حركة الإخوان يظنون أني مسؤول الحركة خاصة أني أسهمت إسهاما عظيما في إدامة الحركة وإحيائها بعد أن أوشكت أن تتوقف بعد حلّ التنظيم سنة1971م، من قبل المراقب العام للإخوان الدكتور عبد الكريم زيدان، وكان باستطاعتي أن أكشف عن هذه المؤامرة التي اتفق فيها الحزب الإسلامي ومجلس الحوار على إقصائي واختيار الدكتور المشهداني ولكنني كظمت غيظي ولم أثرأي زوبعة إعلامية حرصا مني على وحدة الجبهة ووحدة صف أهل السنة، وجرى التصويت في البرلمان على ترشيح الدكتور المشهداني دون منافس فتمّ انتخابه، ولا أريد أن أتكلم على فشل الجبهة في هذا الاختيار فالشعب العراقي يقدر مدى فشل الجبهة في ذلك، حتى أصبح كثير من الناس يقرنون هذا الاختيار الهزيل بمحكمة المهداوي أبان حكم الزعيم عبد الكريم قاسم.

ولما لم يتمّ اختياري رئيسا لمجلس النواب ألزمت الجبهة بأن أرشح أحد قادة المؤتمر العام لأهل العراق نائبا لرئيس مجلس الوزراء فوافقوا بضغط شديد مني، وعقدت جلسة في المؤتمر وترشح لهذا المركز إثنان هما الدكتور سلام الزوبعي والدكتور ظافر العاني، فتمّ اختيار الدكتور سلام الزوبعي، وكان بحسب الاتفاق مع الكتل السياسية أن يتولى نائب رئيس الوزراء متابعة الخدمات والملف الأمني في مجلس الوزراء، ولكن لم ينفذ هذا الاتفاق من قبل رئيس مجلس الوزراء فيما يخص الملف الأمني واقتصر عمله على متابعة الخدمات، وهذا مما جعل الحكومة تتمادى في محاربة أبناء السنة وتكثف من حملة الاعتقالات في صفوفهم بحجة محاربة الإرهاب, بل استغلت قانون محاربة الإرهاب استغلالا فظيعا، واستطاعت أن تحتوي وزير الدفاع وتبعده عن الذين وافقوا على اختياره وزيرا

ممثلا لأبناء السنة في حكومة المالكي، فقد تمّ الاتفاق مع الكتل السياسية بناءا على المحاصصة الطائفية أن يكون كل من وزير الداخلية ووزير الدفاع مستقلين وليس لهم أي انتماء حزبي، على أن يكون وزير الدفاع سنيا ووزير الداخلية شيعيا، بشرط أن تتمّ موافقة جبهة التوافق على من يُختار وزيرا للداخلية، وتوافق الأحزاب الشيعية على من يُختار وزيرا للدفاع، فرشحت لوزارة الدفاع أربعة من ضباط الجيش المنحلّ وهم: اللواء علي خليفة واللواء نوري غافل الفهداوي والفريق ثامر سلطان واللواء فصيح العاني، ولكن لم تتمّ الموافقة على أيٍ منهم، وبتأثير من أشخاص مقيمين في الأردن وافق الحزب الإسلامي ومجلس الحوار على ترشيح المالكي للواء عبد القادر العبيدي، فتمّ ترشيحه، وعلى الرغم من محاولتنا التعاون معه إلا أنه لم يكن موفقا في دفاعه عن أبناء السنة، وكان أداة طيعة بيد رئيس الوزراء، ولم يسهم في تخفيف تحكم الطائفية في الجيش فأصيب أبناء السنة بخيبة أمل كبيرة من جراء ترشيحه، وشعرت جبهة التوافق بندم شديد لترشيحه ولكن لات ساعة مندم.

وبدأ مجلس النواب إجتماعاته في 2006/3/16م، وبعد أن تمّ انتخاب رئيس مجلس النواب ونائبيه، أحدهم الشيخ خالد العطية نائبا أول من التكتل الشيعي، والسيد عارف طيفور من التحالف الكردستاني، ثمّ تمّ انتخاب مام جلال رئيسا للجمهورية، والدكتور عادل عبد المهدي نائبا أول لرئيس الجمهورية، والأستاذ طارق الهاشمي نائبا ثانيا، وهذا كله بحسب اتفاق الكتل البرلمانية، عدا قائمة الدكتور صالح المطلك فإنها لم تشارك في الحكومة ولا في جميع المناصب الرئاسية في البرلمان ولا غيره بحجة أنهم لا يؤمنون بالمحاصصة الطائفية.

وكان للجبهة موقف قوي في الدفاع عن السنة وعن جميع العراقيين، وأسهمت في إقرار جميع القوانين التي تهدف إلى بناء العراق الجديد، وخُصص للجبهة مقر في مجلس النواب، وكان نواب الجبهة يعقدون جلسات تشاورية يناقشون فيها المشاريع التي يُقترح عرضها في المجلس، والأحداث التي تجري في البلاد، وأهم المنجزات التي حققتها الجبهة عدا مشاركتها في إقرار المشاريع العامة هي:

1. الوقوف في وجه الفدرالية التي هي مقدمة لتقسيم العراق، ومن ثمّ التمسك بوحدة العراق.
2. الضغط لإقرار تقاعد ضباط الجيش.
3. تبني قانون الخدمة الجامعية وإقراره.
4. تعديل قانون كلية الإمام الأعظم.
5. إقرار ورقة الإصلاح السياسي.
6. المشاركة في استدعاء جملة وزراء إلى المجلس ومحاسبتهم.
7. إقتراح إجراء استفتاء شعبي على المعاهدة الأمنية بين العراق وأمريكا، وقد أقر المجلس هذا القرار ولكن لم ينفذ.
8. المطالبة بصرف ميزانية مجالس المحافظات والتي حجبت بحجة تردي الوضع الأمني في تلك المحافظات، ومنها الأنبار والموصل .
9. إقرار مبدأ المصالحة الوطنية، وذلك لمّا حضر رئيس مجلس الوزراء وأعلن في المجلس وثيقة المصالحة كنت أول المتحدثين بصفتي رئيسا لجبهة التوافق، ودعوت إلى تأييد هذه الوثيقة.
10. إلغاء قانون إجتثاث البعث ومن ثمّ إقرار قانون المساءلة والعدالة.

11. إقرار قانون العفو العام والمطالبة بتفعيل القانون والإفراج عن المعتقلين الذين لم تثبت إدانتهم، والإسراع بالنظر في قضايا المتهمين، حيث أن جلهم اعتقلوا لأسباب كيدية وطائفية.

وكنا في المجلس نخوض معركة حامية مع نواب الأحزاب الشيعية، مما اضطرني مرة أن أقول لهم بصوت قوي ومنفعل (إحسبونا-أعني السنة- يهودا أو مجوسا نعيش معكم) وكثيرا ما تشتد الملاسنات بين نواب الجبهة ونواب الشيعة، ولاسيما مع جلال الصغير وبهاء الأعرجي وعلي الأديب.

ونُظمت حملة قوية ضدي ووُجهت لي إتهامات بمساندة الإرهاب وجاءت قرارات بإحالتي للمحاكمة، وهذا الأمر لا يتمّ إلا إذا رفعت الحصانة البرلمانية عني، فجرت محاولات لتحقيق هذا الأمر، ولكن الجبهة ورئيس مجلس النواب حالوا دون ذلك.

واشتد الخلاف بين الجبهة والحكومة،بعد ما تيقنت الجبهة أن الحكومة قد فشلت فشلا ذريعا في تأمين أبسط الخدمات للمواطنين وبات العراقي يعيش حياة القرون الوسطى، لايأمن على حياته وكرامته، وأصبح العراقي رمزا للمعاناة فيما هو يعيش على أرض تحوي أثمن كنوز الأرض، فأصدرت الجبهة بيانا هددت فيه بالإنسحاب من الحكومة في 2007/7/25م، ذكرت فيه: أن الحكومة مطالبة بأن تظهر الاستعداد الكافي والإستجابة الواضحة لمطالبنا، وأن نلمس مؤشرات جدية على ذلك خلال مدة اسبوع من تاريخ هذا الإعلان، وفي حالة عدم تحقق ذلك فإن الجبهة ستعلن انسحابها من الحكومة وتحمل رئيس الوزراء العواقب المترتبة على ذلك، ثمّ ذكرت الجبهة مطاليبها وهي:

1. إعلان العفو العام تمهيدا لإطلاق سراح الآلاف من المحتجزين الأبرياء في السجون والمعتقلات الحكومية والأمريكية الذين لاذنب لهم وفق آلية واضحة متفق عليها.
2. الإلتزام الصارم بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان وإيقاف المداهمات والإعتقالات والممارسات غير القانونية في إطار ما يسمى خطة فرض القانون، وفتح مراكز الاحتجاز أمام منظمات حقوق الإنسان، والتوقف عن تسييس القضاء والتعدي على استقلاليته.
3. إيقاف المساعي الرامية إلى دمج المزيد من الميليشيات بالقوات المسلحة وتنفيذ قرار حلها ونزع أسلحتها والتصدي لعملياتها الإجرامية ضد أبناء الشعب العراقي واعتماد معيار واحد للتصدي لها، يطبق في عموم محافظات العراق، والعمل على وقف التواطؤ من قبل بعض وحدات الجيش والشرطة معها ومحاسبة المتورطين منهم أمام الملأ.
4. التوقف عن تسييس القوات المسلحة وإبعاد الحزبيين عن المراكز القيادية وتحقيق التوازن في الهياكل التنظيمية وسلطة اتخاذ القرار وحماية الضباط المخلصين الشرفاء من حملات الإبعاد والتهديدات والإقصاء.
5. الملف الأمني مسألة وطنية تعني الجميع وينبغي أن تدار بالتوافق.
6. تحقيق المشاركة الفعلية في القرار الوطني بكل مستوياته والتخلي عن سياسة الإستئثار بالسلطة وإقصاء الآخرين وإخضاع القرار للإعتبارات الطائفية والفئوية.
7. العمل الجاد لإعادة المهجرين الذين غادروا العراق بسبب أعمال العنف والممارسات الطائفية وجرائم الميليشيات الى وطنهم ومناطق سكناهم الأصلية واتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة لتحقيق هذا الهدف، والبدء أولا

في تخفيف معاناة المقيمين في الأردن وسوريا بتخصيص ميزانية تتناسب وظروف الحياة الصعبة التي يعانونها خارج الوطن.

8. اختيار العناصر الكفوءة والنزيهة القادرة على خدمة البلاد وفق معيار الهوية الوطنية.
9. السماح لهيئة النزاهة بملاحقة المشبوهين والمرتشين والتوقف عن حماية هؤلاء بذرائع شتى.
10. إقالة وزير الدفاع.
11. تحسين العلاقات مع الدول العربية الشقيقة والتوقف عن الإساءة لها والتشهير وإلصاق التهم بها.
12. نشر نتائج التحقيق في جرائم كبرى كجرائم الإختطاف الجماعي والجثث اليومية مجهولة الهوية وتفجيرات المراقد الشريفة في سامراء وغيرها وملاحقة المجرمين وتقديمهم للعدالة.

إن هذه المطالب ليست خاصة بجبهة التوافق، أوبشريحة إجتماعية دون غيرها، إنها تمثل بصدق كل ما يتطلع إليه المخلصون الذين ترنو أبصارهم إلى عراق مزدهر ومستقر، يجمع كل العراقيين.

وانقضت المهلة ولم تستجب الحكومة لمطاليب الجبهة، فأعلنت الجبهة انسحابها في 2007/8/1م، فاستجاب جميع الوزراء لقرار الانسحاب عدا وزير التخطيط السيد علي بابان من قيادات الحزب الإسلامي فإنه رفض الإنسحاب وبقي في الحكومة، مع أنه كان من أشد الوزراء حماسا للانسحاب، وهو الذي كتب بيان الانسحاب الذي أعلنته الجبهة في حينه، ثمّ شعرت الجبهة بخطئها في الانسحاب إذ أدى إلى زيادة قبضة الطائفية على الحكم، ثمّ حصلت ضغوطات كثيرة على الجبهة فقررت الجبهة العودة الى الحكومة.

ثمّ ضعفت الجبهة بسبب الخلاف بين الشيخ خلف العليان الأمين العام لمجلس الحوار والحزب الإسلامي، وجرت تصريحات إعلامية بين الطرفين مما عمق الخلاف، وحاولتُ رأب الصدع فلم أوفق، وتردّت سمعة الجبهة في صفوف أبناء السنة بسبب هذا الخلاف، وبسبب أخطاء ارتكبها الحزب الإسلامي كان أولها موافقة الحزب على الدستور، وبسبب الدعايات التي تثيرها جهات متعددة علمانية وجهات مناهضة للفكر الإسلامي، وموقف الأحزاب الشيعية المسيطرة على الحكم، وعدم تحقيق مطالب الجبهة فضلا عن موقف الحكومة المعرقلة لمشاريع الجبهة داخل البرلمان وداخل الحكومة، وقد أدت وثيقة التفاهم التي وقعها الحزب مع الكرد مع أنها لم تنفذ إلى ردة فعل قوية، خاصة في محافظة نينوى فتعرض كثير من أعضاء الحزب الى القتل، وانخفض تأييد جماهير هذه المحافظة للحزب ولجبهة التوافق، وظهرت نتائج ذلك في الانتخابات التي جرت في 2010/3/7، إذ لم يفز إلا عضو واحد في محافظة نينوى، في الوقت الذي فاز في انتخابات عام 2005 سبعة نواب، واتُهم الحزب من قبل أطراف كثيرة أنه استحوذ على حصص السنة في وظائف الدولة ومناصبها العليا والدنيا، ثمّ جرى الانقسام في قيادة الحزب الإسلامي وأدى إلى خروج كثير من النواب من الجبهة، ومن ثمّ تشكلت كيانات سياسية جديدة منفصلة عن الجبهة، فتشكلت قائمة تجديد بقيادة الأستاذ طارق الهاشمي الأمين العام السابق للحزب الإسلامي وانضم إليه كل من الدكتور علاء مكي والدكتور عبد الكريم ياسين السامرائي والدكتور عمر عبد الستار الكربولي، وكانوا من قادة الحزب وجبهة التوافق، وشكل الدكتور رافع العيساوي والدكتور سلمان الجميلي تيارا جديدا اسمه تيار المستقبل وكانا من قادة الحزب الإسلامي، وأصبح الأمين العام للتيار الدكتور ظافر العاني، وكان من قادة المؤتمر العام لأهل العراق ومن أبرز نواب الجبهة، وخرج من الجبهة نواب آخرون وانضموا إلى الكيانات الجديدة، منهم

الدكتور أحمد سليمان العلواني، ونور الدين الحيالي وعزّالدين الدولة وحسين الفلوجي، يضاف إلى ذلك كله عدم مشاركتي في الحملة الإنتخابية وانزوائي بسبب الضغط الذي حصل عليّ من قبل الحكومة والأمريكان واضطراري لعدم المشاركة في الإنتخابات، وغلق مقري والصحيفة التي كان المؤتمر العام لأهل العراق يصدرها، ومن ثمّ خروجي من العراق إلى الأردن، فانتكست الجبهة، وأصبحت كأنها لا تمثل إلا الحزب الإسلامي الذي تردت سمعته لدى الأوساط السنية، وكان حصيلة ذلك أن هبط عدد نواب الجبهة من(44) نائبا إلى (6) نواب، ووضع أبناء السنة كل ثقتهم في القائمة العراقية بقيادة الدكتور أياد علاوي التي انضم إليها كثير من رموز أبناء السنة مثل: الأستاذ طارق الهاشمي والدكتور رافع العيساوي والدكتور ظافر العاني والدكتور علاء مكي والدكتور صالح المطلك وغيرهم، حتى أصبحت القائمة هي الممثل الواقعي لأبناء السنة بقيادة سياسي شيعي علماني وكان كل أبناء السنة يأملون أن تكون هذه القائمة(المخلص) لهم من الظلم والتهميش الواقع بهم، فهل يا ترى تستطيع هذه القائمة أن تكون بديلا لجبهة التوافق التي استطاعت أن تدفع عن أبناء السنة كثيرا من الضرر الذي لحق بهم بعد الإحتلال وسيطرة الأحزاب الشيعية على البلاد فبيدهم كل شيئ، الحكم والمال والقوة والسجون والمعتقلات، وهذا كله بتخطيط أعدّ له خارج العراق في فنادق أوربا وأمريكا وإيران والمؤتمرات التي لم يكن للسنة فيها إلا وجود ضعيف جدا .

إن مستقبل العراق مظلم، وأبناء السنة في خطر داهم والمشكلة أصبح حلها بيد أعداء السنة، والبلاد العربية والإسلامية لم تستطع أن تقدم أيّ مساعدة لأبناء السنة والعراقيين، وأصبح النفوذ الأمريكي والإيراني هو المسيطر على الشؤون العراقية السياسية والإقتصادية والفكرية، وتعقدت الحياة السياسية ودخل العراق في نفق مظلم لا يُرى في آخره بارقة أي أمل في إصلاح الحياة

العامة، والعراقيون عاجزون عن إصلاح الأوضاع العامة، وأبناء السنة في حيرة من أمرهم والجميع يفتشون عن الحلّ، والقادة من كل الكتل السياسية يهرولون نحو هذا البلد أو ذاك لعلهم يجدون من يساعدهم في حلّ مشاكلهم المعقدة، والشعب العراقي الصابر في ضيق وحرج، فهل من مخرج؟



اختطاف الصحفية الأمريكية

في صباح يوم 2006/1/7م كنت أشارك في مؤتمر صحفي في مقرّ الدكتور أياد علاوي في الحارثية، وأثناء المؤتمر اتصل بي أحد العاملين في مكتبي، وأخبرني أن صحفيّة أمريكية تريد أن تقابلني، ولم يكن أيّ اتفاق سابق معها، فقلت له: فلتذهب وتعود في يوم لاحق، ويبدو أنّ الصحفية لم تمكث سوى دقائق في المكتب، ولمّا خرجت تعرضت لسيارتها مجموعة إرهابية على بعد ما يقرب من ثلاثمائة متر من مكتبي، فقُتل مترجمها ثمّ اختطفت، وكان الشارع مُسيطرا عليه من قبل مجموعات إرهابية، وليس للحكومة أيّ سيطرة آنذاك، وعلى الرغم من وجود قوة أمريكية متمركزة في حيّ العدل الذي تمت فيه عملية الإختطاف، إلّا أنّه لم تُلاحق المجموعة المُختطفة أيّ قوة عسكرية، واعتبر ذلك موجها ضدّي، قبل أن يُوجه ضدّ الصحفية أو الأمريكان.

واستُدعيت إلى المنطقة الخضراء ثلاث مرات لمقابلة من زعموا أنّهم أصدقاء الصحفية، وهم في حقيقتهم من الإستخبارات الأمريكية، وأبديت لهم عن أسفي من اختطافها، وأنّني سأبذل أقصى ما أستطيع من أجل المحافظة على حياتها وإطلاق سراحها، وبدأت أتحرى عن الجهة التي اختطفتها، واتصل بي أحد الأشخاص، وعرفت فيما بعد أنّه من قيادات الجيش الإسلامي، وذلك بعد اعتقاله بعدة أشهر من الإختطاف وحجزه في معتقل (بوكا) بالبصرة، وقال لي إنّ المُختطِفين يريدون فدية، فوافقت على ذلك، دون أن أخبر الجهات الأمريكية أو الحكومية، وذلك خوفا على حياة الصحفية، وإن كان هذا قد شكل شبهة عليّ لديهم، ثمّ اتصل بي شخص أعرفه بكنيته، فمرة يكنّي نفسه (أبا حسن) ومرة يكنّي نفسه(أبا كرار)، وعرض عليّ نفس العرض، وهو أن أدفع فدية للخاطفين، فوافقت وقد أحسست أنّه صادق وأنّه جادّ في مساعدتنا، وبدأت

بدفع الفدية شيئا بعد شيء، ولمّا أكملت دفع الفدية أخبرني أنّ المختطِفين سيطلقون سراحها في اليوم الذي تمّ فيه ذلك، وأطلقوا سراحها أمام الحزب الإسلامي في العامرية، بعد ثلاثة وثمانين يوما من اختطافها، وسبق أن طالب الخاطفون من القوات الأمريكية أن يطلقوا سراح النساء المعتقلات، وحددوا يوم 26 شباط سنة 2006م آخر موعد لتنفيذ مطالبهم، وإلّا سيقتلون الصحفية، لكنهم لم ينفذوا ذلك التهديد، ويبدو لي أنّهم اكتفوا بأخذ الفدية التي قدمتها لهم، وكنت قد جمعتها من المحسنين المتعاونين معنا.

وقد رُفعت دعوى ضدّي بسبب عملية الإختطاف، وطلب المدعي العام رفع الحصانة البرلمانية عني لأقدم إلى المحاكم، وظلّت القضية أمام المحكمة ضدّ ولدي مكيّ بتهمة اشتراكه في الإختطاف، وكل الأوراق التحقيقية التي اطلعت عليها الموجودة في مجلس النواب لم يرد فيها أيّ شبهة أو تهمة موجهة ضدّي أو ضدّ أحد من أولادي، ومنهم مكيّ، ولكن الظلم والدعاوي الكيدية التي تصوغها الطائفية هي وراء ذلك، ولولا تدخلي ودفع الفدية للمختطِفين لما تمّ إطلاق سراحها، ولكنني ارتكبت خطأ، هو أنّني لم أخبر الجهات الأمريكية بتدخلي، وعذري أنّي كنت خائفا عليها من أن تقتل، إذا شعر المختطفون أنّي على صلة بأيّ جهة أمريكية أو عراقية، فحسبنا اللـه ونعم الوكيل.

وقُدم ولدي مكيّ يوم الأحد 2010/12/26م إلى محكمة الجنايات الكبرى المركزية في الكرخ، فبرأت ساحته من التهمة، وأعلِن ذلك في بعض الفضائيات، والحمد لله رب العالمين.

الفُوضى والعنف في العراق

كان العراق قبل الإحتلال بلدا ينعم بالأمن والإستقرار، وإذا ماحدث فيه اضطرابات سياسية من اضرابات أو انقلابات فتنحصر أحداثها بين جمهور الشعب بفآته وطوائفه المختلفة وبين الحكومة، سواء أكان ذلك في العهد الملكي أم العهد الجمهوري، ولا يحدث أيّ اضطراب أو احتراب بين طوائف الشعب المختلفة، وكانت جماهير الشعب ملتحمة ومتضافرة يسودها الوئام والوفاق، ولم تكن هناك أحزاب طائفية، وإذا ما حصل خلاف سياسي بين الإنتماءات السياسية المختلفة فلا يعدو أن يكون مقالا يُنشر في جريدة ما، وربما تردّ عليه جريدة بمقال ينقضه أو يستهجنه، وإذا ما حدثت اصطدامات بين مناصري أيّ حزب ومعارضيه فلا تتعدى الكلام الفجّ أو التشابك بالأيدي وسرعان مايفضّ ذلك الإشتباك، وكثيرا ما يحدث ذلك بين الشباب وطلاب الكليات والمدارس.

ولمّا وقع إنقلاب 14تموز سنة 1958م رافقت ذلك الإنقلاب أحداث مؤسفة ومؤلمة، فجرى قتل وسحل رموز العهد الملكي في الأيام الثلاثة التي أعقبت الإنقلاب، ثمّ هدأت الجماهير، وسيطر رجال الإنقلاب على الوضع.

ولمّا سيطر الشيوعيون على الشارع ووجدوا إسنادا من الزعيم عبد الكريم قاسم وبعض معاونيه طغت في البلاد ظاهرة العنف والإنتقام، فجرى قتل وسحل كثير من مخالفي الشيوعيين، من قوميين وبعثيين وإسلاميين ووطنيين في بغداد والموصل وكركوك، وقد تصدى لهذه الأعمال الزعيم عبد الكريم قاسم، وخطابه في كنيسة الأرمن الأرثوذكس في ساحة الطيران في بغداد مشهور ومحفوظ، فقد وصفهم بالفوضويين وأنهم دفنوا مناوئيهم وهم أحياء، وقاموا بأعمال لاتقلّ فداحة عمّا فعله هولاكو في بغداد، ولم تدم أعمال الشيوعيين

الهمجية إلّا أشهرا معدودة، ثمّ عاد العراق إلى الهدوء والإستقرار.

ويعقب حدوث أيّ انقلاب صراعات سياسية يصاحبها أعمال عنف سياسي من قتل أو إعدام أو اعتقال، فبعد حدوث انقلاب 14 رمضان/8 شباط 1963م جرت متابعة للشيوعيين من قبل الانقلابيين وحزب البعث وكثير من جماهير الشعب الساخطة على الشيوعيين، فقُتل أو أعدم أعداد من الشيوعيين ومن مؤيدي الزعيم عبد الكريم قاسم لا يتجاوز عددهم العشرات، ولم تتسم تلك الأحداث بسمة طائفية أو عرقية، وإنما كانت سياسية وحزبية بحت.

ولمّا حدثت نكسة الكويت المخزية وانسحب الجيش العراقي من الكويت عمّت كثيرا من المحافظات الجنوبية والشمالية أعمال عنف وقتل نالت كثيرا من البعثيين ورجال الأمن والمخابرات وجرت حوادث مؤسفة في الجنوب ذهب ضحيتها كثير من الضباط والجنود الذين انسحبوا من الكويت، وكانت تلك الأحداث المؤسفة ممزوجة بشيء من الطائفية والعرقية والغوغائية، فجرى تخريب متعمد لكثير من مؤسسات الدولة، فجرى نهبها وتدميرها، ولم تسلم حتى المستشفيات، ولا مخازن وزارة التجارة من السلب والتخريب، وبعد بضعة أسابيع عاد الهدوء والإستقرار بعد تصدي النظام لما حدث في الجنوب والشمال بحركة قمع وتصفية ذهب ضحيتها كثير من أبناء الشعب العراقي، وقد أججت هذه الأحداث روح الطائفية والعرقية، ولا يخفى على الشعب العراقي الذين قاموا بقيادة تلك الأعمال الحكومية التي تصدت لتلك التحركات كانوا من قادة حزب البعث فيهم السنّيّ والشيعيّ من أمثال علي حسن المجيد السنّيّ، ومحمد حمزة الزبيدي الشيعي.

فالصراع الذي حدث في العراق قبل الإحتلال الأمريكي كان صراعا

سياسيا بين الشعب العراقي بطوائفه المختلفة وبين الحكومات، ولم يكن صراعا طائفيا أو عرقيا بين طوائف الشعب العراقي من سنّة وشيعة وعرب وأكراد وتركمان، وأنّ الفُوضى والعنف الذي كان يعقب الإنقلابات كان سببه سياسيا وحزبيا مارسه الشيوعيون والبعثيون من مختلف الطوائف مدفوعا بتوجهات حزبية وسياسية، فعانت جميع طوائف الشعب العراقي سنّة وكرد وشيعة وعرب وتركمان من ظلم الحكومات المتعاقبة.

ولمّا حلّت الكارثة واحتلت الجيوش الأمريكية وجيوش الدول المتحالفة معها العراق وسقط نظام صدام والبعث وسقطت بغداد في اليوم المشؤوم 2003/4/9م اندفعت الغوغاء فعمّت البلاد فوضى عارمة وخاصة بغداد، فهوجمت المصارف ونُهبت مدخراتها وأحرقت المكتبات ونُهبت أوأحرقت خزائنها من كتب علمية وتراثية، وهوجمت المتاحف وسُرقت الآثار وهُربّت إلى دول العالم، وهاجمت جموع الغوغاء والفوضويين المعسكرات التي بناها العراق منذ تأسيس دولته العظيمة، وسطت جماهير الغوغاء على المعسكرات ودمرتها ونهبت ما فيها وحولتها إلى مراتع لمن هبّ ودبّ من الحاقدين على جيش العراق، الذي حمى حدود العراق من الطامعين فيه، والذي شارك في الدفاع عن الأمّة العربية في حروبها ضد الغزاة الإسرائيليين في فلسطين وسوريا ومصر، والذي شارك في تدريب كثير من ضباط العرب، وداهم السراق والمجرمون والغوغاء المؤسسات والمنشآت الصناعية التي بنتها الحكومات المتعاقبة من أموال العراقيين وجهدهم، ولم يكتفِ الأمريكان بالوقوف كالمتفرج على هذه الأعمال الإجرامية، بل كانوا يشجعونهم، بل يدفعونهم لإرتكاب هذه الانتهاكات المدمرة، فكانت الهمرات العسكرية الأمريكية تهاجم أبواب المصارف والمتاحف وتفتحها على مصراعيها وتدعو الجماهير الهائجة لتنهب ما فيها وتدمر كلّ شيء، وقد قلت للسفير الأمريكي زلماي خليل زاد: إنّكم غزوتم العراق لا

لتحريره- كما زعمتم- بل لتدميره، وكان باستطاعتكم أن تفرضوا منع التجول لبضعة أيام، وتبقوا مؤسسات الدولة وتحافظوا على منشآتها، ولكنكم لم تفعلوا ذلك.

وأصيب العراقيون المخلصون بذهول مروّع لما حدث لبلادهم ودولتهم، التي بناها أسلافهم بجهودهم المضنية خلال عدة عقود.

إنّ كلّ ما جرى من أحداث النهب والسلب والتدمير لمؤسسات الدولة ودفع الغوغاء والسراق للنهب والتدمير إنّما حدث بتخطيط مسبق من الأمريكان والإسرائيليين وأعداء العراق والأمة العربية والإسلامية، لقد استطاعوا أن يحطموا الدولة العراقية لأنّها كانت تشكل قوة رادعة لإسرائيل ولأعداء الأمة، وكان باستطاعة الأمريكان أن يحافظوا على كيان الدولة، ويكتفوا باعتقال رموز الحكم، ويقدموهم للقضاء فيُقتصّ من المجرمين منهم، ويُطلق سراح الأبرياء ، ويُبقوا أجهزة الدولة تسيّر البلادعلى أيّ خطة يرونها باعتبارهم محتلّين، يملكون زمام الأمور بأيديهم ما دام هدفهم- كما زعموا- تحرير العراق ونشر الديمقراطية والحرية والعدالة، إنّ نياتهم أصبحت مكشوفة لدى العالم عامة وشعوبهم خاصّة، ولدى المخلصين من العراقيين، فإنّهم لم يأتوا لتحرير العراق وإنّما لتدميره فحلّوا الجيش والأجهزة الأمنية، وكثيرا من أجهزة الدولة فتركوا العراق يعيش في فراغ أمنيّ وسياسي.

إنّ ما فعله الجنرال برايمر هدفه هو تدمير العراق وبثّ الاضطراب والفتنة في صفوف أبنائه، وكان قانون اجتثاث البعث الجائر قد حرم مئات الآلاف من العراقيين من حقوقهم المدنية، وقطع أرزاق آلاف الأسر، وشرد جمهورا كبيرا من العراقيين، ودفعهم للهجرة خارج بلادهم، لعلهم يجدون مأوى لهم يكفيهم مؤونة عيشهم.

فكان هذا القرار غير الإنساني سيفا مسلطا بيد الحكومات التي نصّبها الإحتلال فاستغلت هذا القانون طائفيا، فأصبح هذا القانون أداة طائفية ضدّ مكون أساسي من مكونات الشعب العراقي، حتى أصبح كأنّه قانون لإجتثاث أبناء السنّة، فمؤسسات الدولة وفي أعلى مناصبها في الجيش والمؤسسات الحكومية يتصدرها بعثيون من ذوي الدرجات العليا من أعضاء فروع وشُعب ولم يطأهم قانون إجتثاث البعث لأنهم ينتمون إلى مكون آخر، كأنّ لهم حصانة من هذا القانون، فأين العدالة في تطبيق ذلك القانون؟

لقد سادت العراق بعد الإحتلال فوضى عارمة، وقد سمّوها الفوضى الخلاقة، وهي فوضى مدمرة تخللها القتل الإنتقائي والعشوائي، ولم تسلم حتى المساجد من التدمّير والإغتصاب، وفي الأيام الأولى من الإحتلال أغتصب أكثر من خمسين مسجدا في انحاء متفرقة من بغداد وسائر المحافظات، ورفعت الطائفية عقيرتها، ووجهت أحقادها ضدّ أبناء السنّة.

ولمّا انبثقت المقاومة المسلحة ضدّ الأمريكان الغزاة من المناطق السنّية جوبهت هذه المقاومة من قبل الأمريكان وعملائهم بعنف مفرط، فهوجمت المساجد والبيوت، والمدن السنّية بالصواريخ وكافّة الأسلحة المدمّرة، فقُتل الآلاف من أبناء السنّة، شبابا وشيوخا وأطفالا ونساءا، ورُملت النساء ويُتّم الأطفال وامتلأت السجون والمعتقلات بآلاف الشباب الأبرياء دون مذكرات اعتقال صادرة من المحاكم المختصّة، وتشكلت المليشيات وفرق الموت، وأصبح القتل على الهوية شائعا بين الطوائف المختلفة، ففي يوم واحد قتل أربعة عشر شابا اسمه (عمر)، وجرى تهجير الأسر العراقية من مختلف الطوائف، فهُجّر السنة من مناطق مختلفة من بغداد، من مدينة صدام وحي أور ومدينة الشعب وبغداد الجديدة ومدينة الحرية.

وقد بلغت الفوضى ذروتها بعد تفجير قبة سامراء يوم 2006/2/22م أيام حكومة إبراهيم الجعفري فقُتل في بغداد وحدها أكثر من ألف شخص سنيّ، فيهم كثير من أئمة المساجد والمصلين والتجار، ونشرتُ بعد يوم أو يومين في جريدة الشرق الأوسط تصريحا قلت فيه ما ملخصه: إنّ الذين فجّروا القبة هم المليشيات الشيعية والسنّة كانوا يحمون هذا المرقد منذ مئات السنين، وهم سدنته، ولكن الذين يريدون الفتنة والحرب الطائفية وجهوا أصابع الاتهام إلى السنة، وكل المظاهر تُشير إلى أنّ المسألة مدبرة، فاللافتات مجهزة والشعارات المكتوبة حاضرة، ولم يمضِ على إعلان النبأ إلاّساعتان حتى خرجت الجموع الفوضوية الغاضبة منطلقة نحو مساجد السنّة وبيوتهم ومحلاتهم التجارية رافعة شعارات طائفية تدعو للإنتقام والثأر من أبناء السنّة الآمنين وكانت أياما عصيبة على السنّة خاصة في مناطق شرق القناة في جانب الرصافة، والحكومة والأمريكان يقفون كالمتفرج إن لم أقل المشجع لهذه الأعمال البربرية، وقد بذلتُ جهدا كبيرا آنذاك لحثّ الحكومة والأمريكان على إيقاف هذه المجزرة، وطلبت من الأمريكان أن يشددوا الرقابة على جسور قناة الجيش التي تربط مدينة الثورة (التي سمّيت بعد الإحتلال مدينة الصدر) والعاصمة بغداد مخافة أن تُهاجم المناطق السنّية من قبل المليشيات الشيعية، وأوشكت أن تحدث فتنة طائفية كبيرة خاصة بعد الفتوى التي صدرت من بعض المراجع الشيعية التي تدعو الشيعة للتعبير عن استنكارهم بالطرق التي يرونها، وهذه دعوة مبطنة ضدّ أبناء السنّة، فيها حثٌ على الاعتداء عليهم، فعاش السنّة خاصة في جانب الرصافة من بغداد أياما عصيبة، ولم تسلم مساجدهم من التدمير والحرق والاغتصاب، فقد كان في مدينة الثورة (مدينة صدام) عشرة مساجد لأهل السنّة كلّها دمرت أو أغتصبت وما زالت إلى[1] الآن مدمرة أو مغتصبة.

---

(1) كتب هذا الجزء من المذكرات في 12/19 /2010م .

وعقب حادثة وقعت في مدينة الكاظمية حيث غرق بعض الزوّار هدّد وزير الإسكان في حكومة الجعفري يومذاك بهجوم ملايين[1] الشيعة من مدينة الصدر على الأعظمية المدينة السنّية علنا وعبر وسائل الإعلام دون حياء وخجل ولاخوف من القضاء ولا من منظمات حقوق الإنسان، ولا أنكر أنّ هناك أعمالا فوضوية وإرهابية صدرت من جهات تُنسب لأهل السنّة، قد مارست العنف والإرهاب ضدّ أبرياء من الشيعة، وخاصة السيارات المفخخة وأصحاب الأحزمة الناسفة، وقد جوبهت هذه الأعمال من قبل القيادات السنّية الدينية والسياسية بالإستنكار والتنديد، في الوقت الذي صدرت من القيادات الشيعية دعوات علنية لقتل السنّة، فإضافة للفتوى السابقة التي صدرت من مرجعية شيعية، وما صدر عن الوزير المذكور آنفا، فقد صدر تصريح من عالم شيعي هو حازم الأعرجي أخي بهاء، عضو مجلس النواب السابق والحالي يدعو فيه علنا إلى قتل الإرهابيين والصداميين والوهابيين والنواصب، وهو لايعني إلّا السنّة، فكلهم عنده هم إرهابيون وصداميون ووهابيون ونواصب[2]، ولم يصدر أيّ إعلان فيه تهديد أوتحريض على الشيعة من أيّ مرجعية دينية أوسياسية سنّية، بل العكس فكل التصريحات الصادرة من تلك القيادات تدعو إلى الوحدة والأخوة والتعاون.

وإن الظلم الذي حلّ بالسنّة هو الذي دفعني في مؤتمر نصرة العراق والذي عقد في 2006/11/26م، أن أستنجد بالعرب والمسلمين أن يهبّوا

---

(1) تزعم الاحزاب الشيعية أن سكان مدينة الصدر ثلاثة ملايين جلّهم منهم, والحقيقة كما هي مسجلة في البطاقات التموينية الصادرة من وزارة التجارة لايتجاوز عدد سكان المدينة تسعمائة الف نسمة آنذاك, علما أن سكان بغداد ستة ملايين نسمة والدليل على ذلك التمثيل البرلماني لمحافظة بغداد في الدورة الانتخابية الماضية.

(2) النواصب في زعم الشيعة هم السنة وكذلك الوهابيون .

لنجدة إخوانهم في العراق والذي اعتبرته الأحزاب الشيعية موجها ضدّ الشيعة فطلبوا رفع الحصانة البرلمانية عنّي، وتقديمي للمساءلة أمام لجنة برلمانية، ولم يتحقق لهم ذلك على الرغم من ضغطهم وتهجماتهم، ونشرهم الدعايات المغرضة ضدّي، في مواقعهم الإعلامية وفي صحفهم ومجلس النواب.

لقد عمّت الفوضى أرجاء البلاد، وتردّت الأحوال، وأصاب البنى التحتية خراب عظيم، وتفشّت البطالة، وتوقفت الأعمال العمرانية وتعطلت الزراعة في أنحاء العراق وخاصّة في المناطق السنّية، وازدادت الأعمال الإرهابية، واستهدفت رموز السنّة من علماء دين وأطباء وتجار ورجال أعمال، وهوجمت الأسواق التي يعمل فيها أبناء السنّة، واختطف مئات الأشخاص من الأسواق والوزارات والمستشفيات، وسرد ذلك يحتاج إلى موسوعة، ولاضير من ذكر بعض الأمثلة: فقد قُتل الدكتور محمد الراوي اخصائي الباطنية وهو آخر رئيس لجامعة بغداد قبل الإحتلال، و اختطف الدكتور علي المهداوي وكيل وزارة الصحة من داخل الوزارة، وهو طبيب سنّي من ديالى، واختطف الدكتور عدي البيروتي اخصائي الأنف والحنجرة ولم يعثر عليه لاحيا ولا ميتا، واختطف الشيخ ابراهيم العطا الجبوري من باب وزارة النفط، وأختطف الدكتور عبد السميع الجنابي مساعد رئيس الجامعة التكنلوجية وسائقه وحارساه الشخصيان ولم يعثر عليهم، واختطف مجموعة من موظفي وزارة التعليم العالي من مكاتبهم على مرأى ومسمع من الحكومة، واختطفت مجموعة من تجار المواد الاحتياطية في سوق السنك في الرصافة من بغداد، وقُتل الدكتور مصطفى الهيتي استشاري الأطفال في مستشفى النور في مدينة الشعلة التي يسيطر عليها جيش المهدي التابع للتيار الصدري، وقُتل الدكتورمجبل الشيخ عيسى الجبوري أستاذ القانون الدولي وعضو لجنة كتابة الدستور، والدكتور ضامن حسين العبد استاذ القانون الدولي في جامعة تكريت وعضو لجنة كتابة الدستور، واستهدف موظفو ديوان

الوقف السنيّ فاختطف من بيته الأستاذ هواش خلف الحديثي المستشار القانوني في الشهر الثامن من عام 2006م من قبل أناس يرتدون الملابس العسكرية، ولم يُعرف مصيره لحدّ الآن، وقُتل ناجي محمد العيثاوي، معاون المير العام الإداري، وقتل خالد الغواصٖ خبير هيئة الإستثمار في ديوان الوقف، وقُتل أمام بيته الأستاذ المهندس عبد الرحمن العاني المستشار الهندسي في الديوان مع اثنين من أفراد حمايته، وقُتل ضياء الحديثي رئيس قسم الإعلام في الديوان أثر انفجار في باحة ديوان الوقف السني في2008/1/7م ذهب ضحيته هو وآمر حماية الديوان رياض السامرائي وموظفون ومراجعون، وقُتل عدنان العزاوي مدير التدريب في الديوان بعبوة ناسفة وُضعت في سيارته، وقُتل هشام عبد المجيد الذهيبة الموظف في هيئة استثمار الوقف، والمرأة كان لها نصيب، حيث تعرضت للإختطاف والقتل فاختُطفت طبيبة الأسنان الدكتورة نغم جواد أثناء أداء عملها في مدينة الحرية، وقُتلت الدكتورة ليلى عبد اللـه استاذة القانون في جامعة الموصل، وكلّ هذه النماذج التي ذهبت ضحية العنف والإرهاب تمثل جزءا قليلا من الدماء البريئة من رموز أبناء السنّة، وذهب ضحية الفُوضى والإرهاب كوكبة من علماء أهل السنّة استهدفتهم المليشيات والإرهابيون، وفي ديوان الوقف السنّي سجلّ لهؤلاء الشهداء يبلغ عددهم أكثرمن خمسمائة إمام وعالم يأتي في مقدمتهم الشيخ حمزة العيساوي مفتي الفلوجة، والدكتور إحسان الدوري عالم الفلوجة، والدكتورعبد العليم السعدي مفتي الأنبار، ومن أوائل الذين قُتلوا من أئمة مساجد السنّة الشيخ حسن النعيمي، والشيخ طلال نايف أحمد،والشيخ ضامر سليمان الضاري، والشيخ حامد عبد المجيد الذهيبة، والشيخ علي الزند، وفي يوم واحد أُختُطفت سيارتان تقل مجموعة من موظفي ديوان الوقف السني يقدر عددهم بأحد عشر موظفا، وطمست أخبارهم، ولم يُعرف عنهم أيّ شيء، وهذه الحوادث وأمثالها لم يجرٍ فيها أيّ تحقيق رسمي، وسُجلت ضد مجهولين.

وشاع في السنوات 2005م, 2006م، 2007م أمر الجثث المجهولة الهوية وقد تزيد على مائة جثة يوميا، تُرمى على الأرصفة وقوارع الطرقات، وفي الفضاءات وعلى المزابل، وجلّهم من أبناء السنّة، ومازال إلى الآن آلاف الأسر تفتش عن أبنائها في مستشفيات الطب العدلي والمستشفيات الأخرى.

ومرت أيام سوداء قاتمة على أبناء السنّة في بغداد والمحافظات السنّية، حيث تعذر على أيّ سنيّ من المحافظات المحيطة ببغداد دخولها، وهم معروفون من إنتماءاتهم العشائرية، ومن غطاء الرأس، فأحجموا عن مراجعة دوائر الدولة والمستشفيات في بغداد، فاتجه المرضى من السنّة إلى العلاج في الدول المجاورة، خاصة سوريا والأردن، فمدينة الفلوجة التي لاتبعد عن بغداد سوى ستين كيلومتر كان مرضاها لايقدرون على مراجعة أطباء بغداد ومشافيها، فيتوجه مرضاهم إلى سوريا أو الأردن خوفا من القتل أوالاختطاف أوالاعتقال الذي كان يجري على الهوية، وأسهمت الأجهزة الأمنية والعسكرية الطائفية في تأجيج الروح الفوضوية إسهاما ملحوظا، وأصبحت الحواجز العسكرية مكانا مفتوحا أمام العصابات التي ترتدي الملابس العسكرية، فغدت تلك الحواجز مكامن للخطف والقتل والاعتقال بلا مسوغ قانوني أوقضائي، مما دفع كثيرا من الموظفين من أبناء السنّة أن يحجموا عن الدوام في دوائرهم في بغداد، وكثير منهم فقدوا وظائفهم، واضطر كثير من طلبة الجامعات وأساتذتها إلى ترك الدوام في أغلب الكليات، خاصة في الجامعة المستنصرية التي أصبحت وكرا ومسرحا للعصابات الطائفية فاستهدف كثير من طلبتها وأساتذتها من أبناء السنّة، واضطر كثير منهم إلى الانتقال إلى كليات آمنة في جامعات محافظات نينوى وتكريت والأنبار.

وقد ارتكبت الحكومة الأمريكية خطأ كبيرا لأنّها لم تدرس العواقب التي

تترتب على غزوها العراق واحتلاله، وإسقاط النظام الذي كان يحكمه، وكان هدفها وفق استراتيجيتها هو إشاعة الفُوضى والعنف في العراق لتدميره وتقسيمه، فأشاعت العنف والقتل العشوائي منذ أول يوم وطأت فيها قواتها العراق، وهي لم تكتفِ بالقتل المباشر للأبرياء خاصة من أبناء السنّة، بل شجعت الإرهاب السنّي والشيعي على قتل الأبرياء من السنّة والشيعة

وقد قلت للسفير الأمريكي زلماي خليل زاد: إنّكم تفسحون المجال أمام العصابات الإرهابية لتعبث بأمن البلاد واستقراره فنفى ذلك، فضربت له امثلة من واقع الحال، فقلت له تأتي القاعدة إلى مدينة حديثة[1] مثلا وتأخذ جميع السيارات الحكومية وتنطلق بها خارج المدينة، وطائراتكم في قاعدة عين الأسد على بعد 33 كيلومتر من حديثة أما كان باستطاعتكم أن تلاحقوهم وتحولوا دون هروبهم وسرقتهم سيارات الحكومة؟ وتمّ لهم ذلك في مدة ليست بالقصيرة، وأمر آخر جرى استعراض قامت به القاعدة في شارع (17تموز) في الرمادي وهم يحملون السلاح ويشهرونه ويركبون سيارات مدنية، وأنتم تحتلون الرمادي وقناصوكم على أعالي العمارات في هذا الشارع وغيره، وطائرات التجسس العائدة لكم تحوم فوق الرمادي، فلم تحركوا ساكنا، بل وقفتم متفرجين، في الوقت الذي تستهدف طائراتكم حتى الأطفال، فمثلا كان هناك ستة أطفال أبرياء ينظفون مجرى مياه ثقيلة في أحد شوارع الرمادي فرمتهم إحدى طائراتكم بصاروخ فأردتهم قتلى جميعا، ومثل آخر تقوم القاعدة باستعراض عسكري مسلح مرتين في مدينة الموصل، ولم تتصدوا لهم بل تركتموهم يُنهون استعراضهم بكل أمان واطمئنان.

(1) حديثة: قضاء كبير في محافظة الأنبار، يقع غرب الرمادي على نهر الفرات، يبعد عن الرمادي حوالي 130 كيلومتر

فأجابني السفير جوابا يبعد عن الحقيقة بعد الأرض عن السماء: إنّ إجراءات الجيش بطيئة ولهذا لم يكن التصدي لهم ميسورا، فهل يصدق أدنى الناس فهما وإدراكا بهذا الجواب من السفير؟.

لقد أسهم الأمريكان بإشاعة الفوضى والعنف بأعمالهم الإجرامية واستهدافهم الأبرياء، واستعمالهم القوة المفرطة ضدّ أبناء الشعب العراقي والسنّة خاصة، ولايخفى على أنظار العالم بطلان زعمهم أنّهم جاءوا إلى العراق ليحرروه من الظلم ، ولينشروا الديمقراطية، والعراقيون كلهم بمختلف طوائفهم أصبحوا مقتنعين بأن هذا الزعم أكذوبة لاتنطلي على أقل الناس إدراكا، فالظلم الذي عاناه العراقيون خلال السنوات الماضية فاق كل الظلم الذي حلّ بهم منذ تأسيس الدولة العراقية إلى السنة المشؤومة التي رُوّع فيها العراقيون بغزو الأمريكان لبلادهم، إنّها سنوات عجاف ذاق فيها السنّة أقسى أصناف الظلم والقهر، ففي أيّ عهد من عهود الحكم الماضي غصّت السجون بمئات الآلاف من المعتقلين، وشاع فيه القتل والخطف وهدم المنازل والمساجد والتهجير القسري داخل العراق وخارجه، واستبيحت ساحة العراق من قبل عصابات الإرهاب وفرق الموت ومليشيات الأحزاب الطائفية المرتبطة بإحدى دول الإقليم، ولاتفتأ الفضائيات الإعلامية تنشر أنباء مصدرها الأمريكان والحكومة العراقية أنّ إحدى دول الجوار سربت للعراق أسلحة ومتفجرات وصواريخ وقنابل هاون، فضلا عن المتسللين والجواسيس والعملاء الذين تسللوا إلى العراق.

ومما يزيد الأمر سوءا واضطرابا ارتباط كثير من الكيانات السياسية بدول الجوار، والمعركة السياسية التي دامت ما يزيد على تسعة أشهر بعد انتخابات 2010م لم تُحلّ عراقيا، وإنما حُلّت بضغوط أمريكية وإيرانية، فهذا هو العراق

الحرّ الأبيّ الذي كنّا نسعى إليه منذ كنّا شبابا يافعين إلى أن صرنا شيوخا عاجزين.

لقد ضاع العراق وفقدت الأمة العربية والإسلامية قلعة من قلاعها، ودولة من أقوى دولها، فليهنأ الصهاينة وأعداء الأمّة بهذه النتيجة التي وصل إليها مآل العراق العظيم.

والقادم أعظم فقد كان العراق البوابة الشرقية للأمة العربية الذي كان جيشه متصديا لأطماع أعداء الأمة والطامعين فيها، كان جيش العراق سندا لأمة العرب فأصبح قادته مشردين هنا وهناك، تتعطف عليهم دول الجوار، وأصبح كثير منهم يعيشون حياة الكفاف، فكثير منهم قد حُرموا من الرواتب التقاعدية بسبب ذلك القانون الجائر، قانون برايمر، قانون الإجتثاث، ياحسرة وألما على أولئك الرجال الأبطال رجال الجيش العراقي الأشاوس الذين قضوا زهرة شبابهم وأيام عمرهم في ساحات التدريب والقتال، ثمّ آل أمرهم إلى هذه الحال المزرية التي يعيشون فيها، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

اللقاءات

جرت لقاءات كثيرة في ديوان الوقف السني وخارجه، وقد زارت الديوان بصفته ممثل أهل السنة وفود عراقية وأمريكية، وجرت معهم مباحثات تتعلق بالوضع العراقي العام ووضع أهل السنة، وجرت محاورات كثيرة وكان الديوان يمثل الحاضنة الرسمية لأبناء أهل السنة والناطق الرسمي باسمهم والمدافع عنهم والداعي إلى عدم إقصائهم أوتهميشهم، وكنا نجد تجاوبا ملموسا من الجميع، وسأسجل قسما من هذه اللقاءات، مسلسلا إياها زمنيا وهي:

1- لقاء الشريف علي بن الحسين، وكان الشريف طفلا لايتجاوز عمره السنتين لمّا وقع إنقلاب 14تموز1958، وكانت أسرته تسكن حي المنصور في بغداد، واستطاعت الأسرة أن تلجأ إلى السفارة المسعودية في بغداد، وبالإتفاق بين السفارة السعودية والسيد طاهر يحيى أحد قادة الإنقلاب سفّرت الأسرة إلى القاهرة بحراسة الضابط العراقي عبد الموجود الصميدعي[1]، ثم انتقلت أسرته إلى لندن وانخرط في صفوف المعارضة وشارك في المؤتمرات التي عُقدت في لندن وغيرها، جاء مع الإحتلال بعد غزو العراق وأسس كيانا سياسيا باسم (الملكية الدستورية) وكان يأمل أن يُرشح ملكا للعراق، تقدم للإنتخابات التي جرت في 2005/1/30 ولكنه لم يحصل على مقعد انتخابي لاهو ولاأحد من كتلته، وفي الإنتخابات التي جرت في2010/3/7م رشح ضمن قائمة

---

(1) عبد الموجود الصميدعي: ضابط شرطة تكريتي إسلامي الاتجاه, ترقى حتى أصبح مدير شرطة النجدة في بغداد ثمّ احيل إلى التقاعد ايام حكم الرئيس عبد الرحمن عارف, ونال شهادة الدكتوراه من المعهد العربي للتاريخ في بغداد, وهو الان يتردد بين العراق وسوريا, كتب هذا الجزء في عمان 2010/11/11.

الإئتلاف الوطني ولكنه لم يفز، وتربطنا به علاقة وثيقة وقد دعاني إلى مؤتمره الأول بمناسبة عيد...الجيش سنة 2004م، وزارني في ديوان الوقف بتاريخ 2005/2/9، وجرت بيننا مباحثات تناولت الشأن العراقي ووضع أهل السنة، وقد شرحت له نشأة الديوان والتطور الذي حصل في الديوان منذ نشأته وأن الديوان وفرّ فرصا للعاملين في المساجد بحدود خمسة آلاف وظيفة، وأن الديوان استرجع كثيرا من المساجد التي اغتصبت والمباني التي استولت عليها جهات طائفية بعد غزو العراق واحتلاله من قبل الأمريكان، وغير ذلك من الأعمال، وتحدثت معه عن سوء سلوك الحرس الوطني والشرطة المتمثل بمداهمة المساجد واعتقال أئمة المساجد ومصادرة هواتف الحراس وأسلحتهم، ثمّ بيّنت له أنّنا نؤمن بالحوار والمنطق لحل جميع المشاكل، وأنّنا نؤمن إيمانا قاطعا بالتعايش السلمي بين مكونات الشعب من طائفية وعرقية، ونعمل من أجل أن يسود الأمن والاستقرار في البلاد، ولابد أن يشارك الجميع في بناء العراق، لأنّ هذه المشاركة ضرورية جدا للخروج بالبلد من المأزق السياسي الذي وصلت إليها البلاد وقد شكرنا الشريف علي ثمّ انفض اللقاء.

2- السيد رضا جواد تقي مسؤول العلاقات السياسية في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، زار ديوان الوقف السني في2005/2/6م، ودار حديث بيننا تعلق بسبل التعاون لإنقاذ البلاد من بؤر التوتر السائدة في البلاد بين السنة والشيعة وطرق معالجة هذه التوترات والإنتهاكات، ودعانا لزيارة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية للإلتقاء بقيادته السياسية وحدد موعدا للقاء وهو اليوم التالي لزيارته، وقد لبينا هذه الدعوة وكان معنا ممثل عن الحزب الإسلامي، وواصلنا في لقائنا الحديث الذي بدأناه

مع السيد رضا جواد تقي واتفقنا على تشكيل لجنة لحل المشاكل التي تقع وبقينا على اتصال بهم مدة بقائي رئيسا للديوان.

3- الدكتور موفق الربيعي، حيث دعانا إلى مقر مجلس الوزراء في 2005/2/13م وبعد أن رحب بنا الدكتور موفق الربيعي تحدثت له عن اللقاء الذي تمّ مع المجلس الأعلى والإتفاق الذي تمّ لحل المشكلات بالحوار وضرورة الإلتزام بالأفعال دون الإكتفاء بالأقوال.

وتحدث الدكتور موفق وذكر أنّ هناك دوافع متعددة لأعمال العنف منها سياسية واقتصادية واجتماعية ومذهبية، وينبغي أن يعالج الملف الأمني من نواحي متعددة وليس أمنيا فقط، من ذلك معالجة البطالة، وأنّ هناك مخاوف لكل أطراف المجتمع، الأكراد،السنة ،الشيعة، ويجب التفكير في المصالح المشتركة بين الجميع، ونريد أن نبعد البلد عن أن تصل الخلافات إلى مستوى التقاتل الطائفي ويجب أن نمدّ الجسور بين السنة والشيعة عن طريق العشائر المشتركة، وبالنسبة للسنة يجب أن يشمل وجودهم في كافة مراكز الدولة وكل المرافق المهمة، وطلب الدكتورموفق أن يعقد مؤتمر يحضره ممثلون عن الديوان والحزب الإسلامي لتنسيق الجهود بين علماء الدين وزعماء العشائر والأكاديميين لوضع صيغة مبادئ للدستور المنوي إقراره، وتقديمه إلى الحكومة، وضرورة أن تقدم المرجعيات السنية رؤيتهم لعراق المستقبل والدولة العراقية الجديدة، وبعد أن أنهى حديثه، تحدثت معه حديثا موجزا عن ديوان الوقف السني وما قمنا فيه من ترتيب أجهزة هذا الديوان، ثمّ عرضت عليه مشكلة بعض العشائر السنية في الوسط....وما تعانيه من تهديد بالتهجير، ودعوته إلى الضغط على مديري الشرطة في هذه المناطق ألّايقفوا مع الذين يناوؤن هذه العشائر من دعاة الطائفية، ودعوته إلى إيقاف حملة الإعتقالات التي تنال أئمة المساجد، ثمّ تحدثت معه عن

وضع الفلوجة وما أصابها من دمار أثر الهجوم الأمريكي عليها وضرورة تعويض المتضررين من أبناء هذه البلدة الصامدة، ثمّ طلب الدكتور موفق قائمة بأسماء المعتقلين من أئمة المساجد لعله يسعى إلى إطلاق سراحهم، ثمّ انتهى اللقاء.

4- السيد جيفري بليز المنسق الأمريكي بين الحكومة العراقية المؤقتة والحكومة الأمريكية، زارنا في مقر الديوان بتاريخ2005/2/17م، وكنت قد التقيت به سابقا، وقد سألته في بدء اللقاء عن الغرض من هذا اللقاء، فأجاب: الغرض هو التعرف على أنشطة الديوان، فتحدثت له بصورة موجزة عن ذلك، ثمّ ذكر أنّه في اللقاء السابق سجل ملاحظاتنا ولاسيما ما يتعلق بأمور المعتقلين، وأنّه فاتح الحكومة الأمريكية بصدد ذلك وأنه تمّ إطلاق سراح واحد وسبعين منهم ولازال هناك آخرون معتقلون بسبب تهم موجهة إليهم، وذكر أنّ من جملة الذين أطلق سراحهم الشيخ محمد إبراهيم الغريري وهو من أئمة المساجد النشطين، وأنّه سيسعى إلى إطلاق سراح الأبرياء منهم، ثمّ بينت له أنّ طول مدة الإعتقال يدفعهم إلى إعتناق الأفكار المتطرفة، فمن الضروري حسم قضايا المعتقلين بسرعة، فيطلق سراح الأبرياء منهم ودون ذلك نحن الذين سندفع ثمن هذا الخطأ، ثمّ دعوته إلى تثقيف الجنود الأمريكان وأمرهم بعدم إطلاق النار العشوائي الذي يؤدي إلى قتل المواطنين الأبرياء أو إصابتهم، ودعوته إلى تحسين ظروف المعتقلين، ثمّ تحدث السيد جيفري بليز فقال: لقد حدث تطور في طريقة معاملة المعتقلين، ثمّ سألته هل توافقون على توكيل محامين للمعتقلين؟ فقال: هذا جيد، وسأتكلم مع الجهات المختصة عن ذلك، وحذرته من مخاطر بقاء المعتقلين في السجون الأمريكية والعراقية فقد يحولهم إلى إرهابيين لأنّ

المعتقلات والسجون مدارس للإجرام والإرهاب، ثمّ كرر سؤاله عن طبيعة عمل الديوان، فقلت له: الأوقاف في العراق في معظمها سنية، والشيعة ليس لهم أوقاف وإنّما لهم وسائل أخرى لجمع المال ليُصرف على الشؤون الدينية الخاصة بالشيعة، ووزارة الأوقاف منذ تأسيسها كانت بيد أهل السنة إلى سنة1982م حيث تمّ دمج أوقاف الشيعة وغير المسلمين بالوزارة وسميت (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية) وكانت الأوقاف سابقا تابعة لديوان الأوقاف وهو مرتبط إداريا برئيس الجمهورية، وإخواننا الشيعة خططوا للسيطرة على الأوقاف وجعلوا على رأس هذه المؤسسة الشيخ جلال الدين الصغير، وقد انتبه الأعضاء السنة في مجلس الحكم وفي مقدمتهم الدكتور محسن عبد الحميد لخطورة هذا الأمر، وأنّ أوقاف السنة ستنهب، فاقترحوا إلغاء وزارة الأوقاف وتقسيمها إلى ثلاثة دواوين، ديوان الوقف السني، وديوان الوقف الشيعي، وديوان الطوائف الأخرى، وعُيّن الدكتور سعيد إسماعيل حقي مشرفا على الدواوين الثلاثة من قبل الأمريكان، وعُيّنت رئيسا للوقف السني، والشيخ حسين الشامي رئيسا لديوان الوقف الشيعي، وبعد أن باشرت وظيفتي بدأنا في العمل ثمّ شرحت له طبيعة عملنا، التي سبق ذكرها في مبحث ديوان الوقف السني، ثمّ سألني لماذا عينوك بهذا المنصب؟ فقلت له: عندي إهتمام خاص بالنشاط الديني العام منذ زمن النظام السابق واضطررت إلى الخروج من العراق إلى الأردن سنة1994م، بسبب المتابعة الأمنية، ومن الأردن كنت أساند العمل الديني الإسلامي وأشتغلت في جامعة الزرقاء الأهلية مدة غيابي عن العراق، ولم أعد إلا بعد سقوط النظام.

ثمّ سألني هل انتميت إلى الإخوان المسلمين؟ فأجبته أنا أنتمي إلى الإسلام

وليس لي علاقة تنظيمية بأيّ تيار إسلامي، أنا سني عربي، وأدعو إلى الأخوة والمحبة بين جميع مكونات الشعب العراقي.

ثمّ جرى حديث عن الوضع المالي للديوان، وهل هناك سيطرة على أئمة المساجد، وهل هيئة العلماء تشرف على المساجد؟ فأجبته بأن الديوان وحده هو الذي يشرف على المساجد، وانفض اللقاء بعد أن وعدنا أنّه سيساند الديوان وأنّه قد تفهم موقفنا وسينقل ما جرى بيننا من حوار إلى الجهات الأمريكية.

5- عقد مؤتمر الوحدة الوطنية في فندق بابل ودعيت إليه بتاريخ2005/2/20م، وكان أهم موضوع عالجه المؤتمر هو مانتج من آثار سلبية بسبب عدم مشاركة أبناء السنة في الإنتخابات الأولى التي جرت في 2005/1/30، وألقيت كلمة شكرت في مقدمتها الأخوة الذين دعوني للمشاركة، ودعوت إلى الإتفاق على مبادئ العدالة والحرية والأمن وتكافؤ الفرص، ودعوت إلى خروج المحتلّ وإعادة ضباط الجيش العراقي القديم إلى المشاركة في بناء الجيش الجديد، ثمّ قلت: نحن دعاة وحدة وإصلاح وليس دعاة تفرقة وطائفية، وإن عدم مشاركتنا في الإنتخابات السابقة لايعني عدم إيماننا بالعملية السياسية، وعلينا أن نعد أنفسنا من الآن للمشاركة في الإنتخابات، وأعني بها الإنتخابات التي جرت في2005/12/15م.

6- السيد أشرف قاضي ممثل الأمم المتحدة في العراق حيث دعانا فزرناه في مقره في المنطقة الخضراء في2005/3/3، وفي بدء اللقاء قدمت شرحا موجزا عن نشأة الأوقاف السنية منذ الدولة العثمانية، ثمّ تطرقت إلى مسؤولية الديوان عن مساجد السنة في العراق وعن العاملين فيها وعن المدارس الدينية والتطور الذي حدث في هذه المدارس، وذكرت الجانب

الإداري للديوان والمديريات الملحقة به،وتحدثت عن الظرف السيّء الذي يعيشه أبناء أهل السنة وجميع العراقيين، وطلبت من السيد أشرف قاضي إقناع الأمريكيين بالكفّ عن مداهمة المساجد واعتقال أئمة المساجد وجميع المواطنين، والكفّ عن تعذيبهم في المعتقلات، وسألته: هل من الممكن توكيل محامين عن المعتقلين، ثمّ شرحت له الواقع السياسي آنذاك وتغيّر التوجه السياسي عند أبناء السنة لاسيما حين حصل لهم التهميش والإقصاء، وأنّهم سيشاركون بقوة في الإنتخابات القادمة، وقلت له إنّنا نجري مباحثات مع الإئتلاف الشيعي لإحداث توازن بين المكونات الأساسية للشعب العراقي، وتساءل السيد أشرف قاضي عن مسألة اجتثاث البعث، فأجبته: أنّ هذا الأمر في حقيقته يهدف إلى إقصاء أبناء السنة من إدارة الدولة، وهم يحمّلون السنة كل أخطاء النظام السابق، ثمّ تسائل كيف يتمّ توحيد العراقيين إذا كان كل واحد يتعصب لطائفته؟ فأجبته: أنّ الشعب العراقي منذ تأسيس الدولة العراقية كان موحدا ففي ثورة 1920م ضد الإنكليز وقف جميع العراقيين في وجه الإنكليز، وقد شارك في هذه الثورة السنة والشيعة والأكراد مما أدى إلى رضوخ الإنكليز إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية رضي الجميع بها، وأبان المدّ الشيوعي سنة 1958-1959م اتفق علماء السنة والشيعة على مناهضة الشيوعية وأيدتهم جماهير الشعب مما أدى إلى وقف هذا المدّ، ولم يسبق أن حدث أيّ نزاع دموي بين السنة والشيعة، ولا أيّ إحتراب إلى أن جاء الغزو الأمريكي البغيض الذي بثّ الفرقة بين أبناء الشعب العراقي فاحتدم الصراع الطائفي بينهم مما أدّى إلى هذا النزاع الذي ذهب ضحيته الآلاف من كلا الطرفين.

ثمّ قال السفير أشرف قاضي، هناك طريقان لخروج القوات الأمريكية من

العراق، الأول المقاومة المسلحة وهذا يتطلب وقتا وجهدا وثمنا باهضا، والثاني: الإجماع الوطني وتقديم المطالب بصورة معقولة وسلمية لتتمّ المساعدة من الأطراف الدولية والأمم المتحدة، وفي ختام اللقاء قدمتُ للسيد السفير مذكرة تتضمن مطالبنا، ثمّ انفض اللقاء وغادرنا مقرّ ممثل الأمم المتحدة بعد أن شكرناه على هذا اللقاء، و اللـه يتولى الصالحين.

7- فخامة الرئيس مام جلال الطالباني: حيث دعانا فلبينا الدعوة وذلك في 2005/4/23م واصطحبت وفدا من مسؤولي الديوان وإمام جامع أبي حنيفة النعمان الشيخ مؤيد إبراهيم الأعظمي، فرحب بنا الرئيس وتمنّى لنا التوفيق في عملنا، وذكر أنّ المسؤولية في هذه الظروف صعبة لأنّ البلد يعيش في أزمة كبيرة فعلينا جميعا أن نسهم في معالجتها، وأهمّ هذه المشاكل القتل على الهوية، وطالب من العلماء استنكار القتل العشوائي، وأن يدعوا الناس إلى الإلتزام بتعاليم الإسلام السمحة والأخلاق الإسلامية في الحرب وذكر أنه علينا جميعا أن نلتزم بهذه المعايير، ثمّ دعا إلى ضرورة معالجة القضايا الوطنية بالتوافق السياسي، وألاّ يهمش أيّ طرف على حساب الطرف الآخر، وهناك غلو من جميع الأطراف، ويجب أن يحل التوافق محل الغلوّ، وأن نعمل على إشاعة روح التسامح، ثمّ بينت له أنّنا استنكرنا أشد الإستنكار العنف وأي اعتداء على أيّ مواطن عراقي، ودعونا إلى احترام الجيش والشرطة وإعادة الهيبة إلى الجيش والشرطة ودفعنا أبناء السنة إلى الانخراط في هذين الجهازين.

ثمّ ذكر الأستاذ جلال أنّ عدم اشتراك السنة في الجيش والشرطة سيؤدي إلى خلل كبير، ووجودهم في الجيش والشرطة مهم لإحداث التوازن، وسيحول دون وقوع إعتداء عليهم، وإنّ عدم اشتراكهم في الجيش والشرطة مؤامرة

تستهدف العرب السنة ولإظهار أنّهم يساندون الإرهاب، ومن ثمّ تُسلط الأضواء عليهم ليتمّ تنحيتهم عن الحياة العامة، ثمّ ذكرت له ضرورة تطهير أجهزة الشرطة والحرس الوطني من دعاة الطائفية فذكر السيد الرئيس يجب عليكم أن تشجعوا إخوانكم العرب السنة أن ينضموا إلى الجيش والشرطة وهذا واجب يقع على العلماء وأئمة المساجد وخطبائها، ثمّ طلبت منه أن يخاطب الأمريكان ليخففوا الحصار عن المدن السنية، وقلت له: إنّنا قمنا باستبيان لمعرفة آراء أبناء السنة في الإنضمام إلى الجيش والشرطة فكانت النتيجة إيجابية فنسبة الذين يؤيدون الإنضمام بلغت 96% وأنّ تحولا كبيرا قد طرأ على تفكير أبناء السنة بعد الإنتخابات التي جرت في 2005/1/30م، ولم يشارك فيها أبناء السنة لفتاوى قصيري النظر، ثمّ قدمت له قائمة بأسماء المعتقلين من أئمة المساجد،وأخرى بأسماء المساجد المغتصبة، ووعد ببذل الجهد الكافي لتنفيذ طلباتنا، وقال: تعاهدت مع السيد مسعود البرزاني على الدفاع عن السنة العرب، وإنّنا لن نسمح باعتقال أيّ أحد، ثمّ ذكرت له أنّنا في الديوان عندنا مشكلة فهناك في حدود(3500) إمام مسجد وخطيب لايستلمون رواتب وهم يعملون متطوعين لأنّ النظام السابق وأجهزته الأمنية لايسمحون بتعيين أي إمام أو خطيب لايحمل تزكية حزبية، وهذا العدد يمثل عبئا على الديوان، فنطلب من فخامتكم التدخل لحل هذه المشكلة، فوعدنا بالمساهمة في حلها، ثمّ طلبت منه أن يسعى الى تفعيل القضاء، فقال لقد اتفقنا مع حلفائنا على تفعيل القضاء وألاّ يعلو عليه أيّ شيء وأن يسود القانون، ثمّ ذكرت له سيطرة الطائفية على الوظائف الحكومية، فأجاب إنّنامتفقون مع جميع الأطراف على إشراك كل المكونات في إدارة الدولة وأن يشارك الجميع في إشغال الوظائف الحكومية.

ثمّ طلب منّا أن نقدم له تقريرا عن الحضرة القادرية لأنه يريد إكمال

مشروع توسعة هذه الحضرة وأنّه سيدفع مليون دولار من مخصصات رئاسة الجمهورية لهذا الغرض، وقد وفّى بوعده، ثمّ طلبت منه أن يساعدنا في مشروع تزوّيج الشباب فتبرع بمبلغ مائة ألف دولار لهذا المشروع، ثمّ ذكرت له أنّه عندنا صندوق زكاة لم يخصص له أيّ شيء من الميزانية العامة، فوعد بمساعدة قدرها مائة ألف دولار لهذا الصندوق وقد وفّى ما وعد.

وناشد الشيخ مؤيد الأعظمي فخامة السيد الرئيس أن يوجه عناية خاصة لمدينة الأعظمية لأهميتها، وأن يعمل على فتح جسرالأئمة أمام السيارات، لأنّ إغلاق الجسر قد أضعف إقتصاد المدينة، فرد الرئيس إنّ الأمن أساس الإستقرار فإذا ساد الأمن سيتحقق كل شيء، الإعمار وازدهار الإقتصاد، والذي يعرقل الإعمار هو عدم استقرار الأمن.

وبعد ذلك انتهى اللقاء وغادرنا مقرّ الرئيس والحمد لله ربّ العالمين.

لقد أصبح ديوان الوقف السني محط أنظار الجميع فزارت الديوان وفود تمثل جميع طبقات الشعب العراقي، كما زاره رسميون عراقيون وأجانب، وسبق أن ذكرنا قسما منهم، ودُعينا من سفارات كثيرة منها: السفارة الألمانية والإيطالية والأسترالية.

8- زار مقرّ الديوان السفير البريطاني، وجرى بيننا وبينه مباحثات، وبدأ السفير حديثه بالسؤال عن علاقة الديوان بالحكومة فقلت له: إنّ الديوان مرتبط بمجلس الوزراء، وميزانية الديوان فيما يخصّ الشؤون الإدارية من الدولة، وللديوان هيئة اسمها هيئة الإستثمار خاصة بموارد الأوقاف وميزانيتها مستقلة لا ترتبط بميزانية الدولة، وتنفق مواردها على الشؤون الدينية بحسب شروط الواقفين، ثمّ سأل: هل للديوان جوانب سياسية؟ فقلت له: إنّ الظروف الحالية اضطرتنا للدخول في المعترك السياسي،

لأنّنا وجدنا السنة قد أبعدوا وأصابهم ضيم وظلم، ووجدنا قسما من السنة قد عارضوا العملية السياسية مما أضعفهم وزاد في تهميشهم، فأردنا أن نعالج ذلك، ثمّ ذكر السفير إنّهم يشجعون جميع فئات الشعب العراقي على الإشتراك في العملية السياسية وكتابة الدستور، ولكيَ ينجح أهل السنة يجب أن يوحدوا صفّهم، ومن الضروري أن يشاركوا في الحكومة ويقدموا ممثلين لهم يتمتعون بالخبرة والكفاية، ويجب أن ينددوا بالعنف، ومن الواضح أن للديوان دورا مهما في العملية السياسية، بسبب ما للديوان من تأثير في أوساط أهل السنة، ومن الضروري أن يكون هناك توافق بين مكونات الشعب العراقي من عرب وسنة وشيعة وأكراد، ثمّ قدمت له وصفا للواقع المرّ الذي أصبح فيه أهل السنة وتهميشهم، وذكرت له أنه منذ بدء الإحتلال تمّ اغتصاب خمسين مسجدا وقُتل أكثر من خمسين إماما وخطيب جمعة، وكثير من الأئمة قد تمّ اعتقالهم من قبل الأمريكان، وإنّ قادة القوات الأمريكية لايعرفون حقيقة الوضع العراقي، وقد خُدعوا من قبل الشيعة في دعاويهم الكاذبة عن وضع البلد، فهناك أسباب كثيرة دفعت أبناء السنة إلى مقاطعة العملية السياسية وعدم مشاركتهم في الإنتخابات التي جرت في2005/1/30م، نعم أسهمت بعض الفتاوى الدينية من جهات لاعلاقة لهم بالديوان، فضلا عن التهديد الذي صدر من جهات أخرى مما بثّ الخوف في قلوب أبناء السنة، ثمّ شعر السنة بالضرر الكبير الذي أصابهم من عدم مشاركتهم في العملية السياسية، وبدأ الديوان يقوم بدور كبير في بثّ الوعي بينهم ودعونا لعقد مؤتمرعام، ففي2005/1/4م عقدنا مؤتمرا انبثقت عنه لجنة تحضيرية لمتابعة حثّ أبناء السنة على المشاركة في الإنتخابات التي ستجري في2005/12/15م، وقد التقيت بأئمة وخطباء مساجد بغداد

في جامع نداء الإسلام في الرصافة دعوتهم في هذا اللقاء إلى حثّ أهل السنة على المشاركة في العملية السياسية ووزعنا فيه استبيان حول المشاركة في العملية السياسية، وكانت النتيجة إيجابية فنسبة 96% من الحضور قد وافقت على المشاركة، ونحن مستمرون في عملنا ونلتقي بفعاليات كثيرة، وفي النية إقامة مؤتمر في الشهر الخامس لهذا الغرض، وإننا في الوقت الذي لانتلقى أيّ دعمّ مالي من أيّ جهة وإنما نعتمد على أنفسنا، وعملنا هذا يحتاج إلى دعمّ معنوي ممن يهمهم أمر العملية السياسية، ثمّ أشرت إلى ما يلاقيه أبناء أهل السنة من قتل واغتيال وتصفية، وقدمت للسفير قائمة بأسماء أئمة المساجد المعتقلين عند القوات الأمريكية،وقائمة بأسماء المساجد المداهمة من قبل القوات الأمريكية والحرس الوطني والشرطة وقائمة بالمساجد المغتصبة من قبل الشيعة، وصورا عن مداهمة مسجد أبي حنيفة النعمان، وصور مساجد الفلوجة المتضررة نتيجة قصف المدينة من قبل القوات الأمريكية.

ثمّ علق السفير فقال: نحن نتفهم الآلام التي تعرض لها أبناء السنة من قبل القوات المتعددة الجنسية، وإني دعوت السفير الأمريكي وممثل الجيش الأمريكي إلى إدراك أهمية هذا الموضوع، وذكر أن القوات البريطانية في الجنوب أُسلوبهم مختلف في التعامل مع المواطنين، وحدثت مشاكل طفيفة، وقبولهم في الجنوب أفضل من وجود القوات الأمريكية في مناطقكم، أما الفلوجة فإنما وقع الدمار بسبب الأعمال القتالية في المدينة، وكانت هناك تعليمات مشددة بأهمية المحافظة على أماكن العبادة، وبعد انتهاء العمليات العسكرية شجعنا الحكومة على إعمار المدينة، وإنّ خروج القوات الأجنبية مرهون بزوال أعمال العنف والقتال وتحقق استقرار الأمن، واستعداد القوات العراقية لحمل مسؤولية حفظ الأمن، ولابدّ من مشاركة أبناء السنة في العملية السياسية وعدم الانصياع لجهات

تحرض على الإرهاب والعنف، فأجبته أنّ الديوان ليس له علاقة بأيّ جهة خارج العمل الرسمي، وهو مؤسسة مستقلة، ونحن نتحاور مع هيئة علماء المسلمين والحزب الإسلامي والجماعات السلفية والصوفية من أجل دفع أبناء السنة للمشاركة في العملية السياسية والإنخراط في مؤسسات الدولة والجيش والشرطة، وقلت له نحن بأمسّ الحاجة إلى مساعدتكم المعنوية وهذه تحصل في إطلاق سراح أئمة المساجد المعتقلين وهذا يعطينا قوة معنوية في المضيّ في مشروعنا، إضافة إلى إيقاف مداهمة المساجد والبيوت من قبل القوات الأمريكية والحرس الوطني، وإطلاق سراح المعتقلين من الأبرياء من المواطنين، ولابدّ من إيقاف الإعتقالات العشوائية والقتل على الهوية، وهناك مشكلة تتمثل بإنحياز القضاء إلى الشيعة ووقوفهم ضد أبناء السنة، فأجاب السفير أنّنا نتفهم ما قلته وسنستخدم نفوذنا في إطلاق سراح المعتقلين، ونريد من الديوان أن يساعدنا في العملية السياسية، ثمّ نبهت السيد السفير على خطورة التدخل الإيراني في الشأن العراقي ولاسيما في المنطقة الجنوبية، فقال السفير: نحن نفهم هذا الأمر ونتكلم مع الحكومة العراقية بهذا الخصوص، ونحن نعرف الوضع في الجنوب بسبب وجودنا هناك، ثمّ طلبت من السفير أن يسعوا إلى حماية أهل السنة في الجنوب ولاسيما في البصرة فهم يتعرضون إلى تطهير طائفي وكثير من أهل السنة قد خرجوا منها خوفا على حياتهم، والشيعة هم أول من بدأ بالإرهاب والعنف، وأول من قُتل هو من الشيعة السيد عبد المجيد الخوئي وهو من رموز الشيعة والذين قتلوه هم الشيعة الصدريون، وقلت للسفير: عندما زارني الدكتور أحمد الجلبي في ديوان الوقف السني طلبت منه أن نعقد مؤتمرا مشتركا تحضره جميع المرجعيات الدينية والسياسية السنية والشيعية لمناقشة قضية العيش المشترك،ثمّ قلت له: دعانا عبد العزيز الحكيم إلى بيته وأتفقنا على تكوين لجان مشتركة لمعالجة العنف المتبادل والسلوك العنيف من قبل القوات الأمريكية والتي

تؤدي إلى تصعيد العنف بين المواطنين،وطلبت من السفير في ختام اللقاء العمل على سيادة لغة الحوار والتوافق وجمع الكلمة بين جميع الأطراف، وهذا يؤدي إلى الإستقرار والأمن، وفي ختام اللقاء قال السفير: إنّ الحلّ بيد العراقيين أنفسهم، ثمّ غادر وقد تبادلنا الشكر على هذا اللقاء.

9- وزير الداخلية باقر جبر حيث دعانا في مقرّ الوزارة، فلبينا الدعوة وصحبني وفد من الديوان منهم الشيخ أحمد عبد الغفور والسيد ضياء الحديثي-رحمه اللـه- ومعنا الدكتور حارث العبيدي-رحمه اللـه- والشيخ عبد المجيد الحمداني، وبعد أن رحب بنا الوزير بدأتُ الحديث وقلت له: إنّ العراق عراقنا جميعا وعلينا أن نتعاون جميعا لإشاعة الأمن والإستقرار وبناء العراق الجديد، وأنّ الخطأ يجب أن يعالج بالحكمة والعقل والحوار، إنّنا أخوة نعيش في هذا البلد على اختلاف أطيافنا ومذاهبنا، ولسنا البلد الوحيد في العالم الذي يختلف أبناؤه في الدين أو المذهب أو العرق، وعلينا أن نتعاون كما قال اللـه تعالى:(وتعاونوا على البر والتقوى) ومبدأ الأخوة والمصالحة يجب أن ينادي به الجميع، ثمّ بدأ الوزير بعد أن رحب بنا فقال ليس من أخلاقنا السبّ، وجهدي أن أحل أيّ قضية بالحوار، وأصدرت أمرا بعدم مداهمة أيّ مسجد إلّا بإذني، ثمّ قلت له: إن التهديد والإجراءات المرعبة التي يعيشها أئمة المساجد والمصلين عموما يجب أن تتوقف، وأن نسهم جميعا في إزالة أسباب الخوف الذي استشرى في قلوب المواطنين، إنّنا أخوة عشنا زمنا طويلا متآخين ونريد التهدئة ولا نؤمن بالعنف ولا بالإرهاب ونؤمن بالمصالحة الوطنية، وسيادة الأمن من مسؤولية وزارة الداخلية، ثمّ طلبت من الوزير مراقبة مراكز الشرطة والإنضباط العسكري لأن هناك معلومات مؤكدة عن وجود انتهاكات لحقوق الإنسان في هذه المقرّات وإنّ الإعترافات تنتزع بالتعذيب

والأساليب القسرية، فقال الوزير:إنّني أرفض كل أنواع التعذيب، ثمّ قلت له: إنّنا نريد التعاون من أجل تهدئة الأوضاع، وأرجو أن ترسل أيّ شخص ليحضر اجتماعاتنا مع أئمة المساجد ليرى بأنّ كلّ تعليماتنا وتوجيهاتنا تدعو إلى الحكمة ونبذ العنف والإرهاب، ونريد منك أن تسعى لدى الحكومة لإطلاق سراح المعتقلين من أئمة المساجد، ونريد سيادة القانون ولانرفض تفتيش المساجد، ولكن أن يتمّ ذلك بطريقة لائقة بكرامة المسجد، وألاّتصادر أسلحة حراس المساجد.

ثمّ انفض اللقاء بعد أن شكرنا الوزير دعوته لنا للقاء به.

لقد بذلنا أقصى ما كنّا، نستطيع من أجل إنهاء العنف وجمع العراقيين، ولكن كلّ جهودنا باءت بالفشل وكانت وزارة الداخلية في زمن الوزير باقر جبر صولاغ أسوأ وزارة في تاريخ العراق، فقد نال السنة عامتهم وخاصتهم في زمن هذه الوزارة ظلم فادح من إعتقال وقتل وخطف ومداهمات للمساجد والبيوت والمحلات التجارية، وتسجيل ذلك يحتاج إلى مجلدات لوصفه ولاسيما بعد حادثة تفجير المرقدين في سامراء يوم2006/2/22م، وأشيع يوم ذاك أنّ بعض طوابق وزارة الداخلية تدار من قبل الإيرانيين، ولم تنفع لا الحوارات ولا الدعوات الصادرة من كلّ الجهات السنية ومنها ديوان الوقف السني لإيقاف هذا الظلم فالإعتقالات والقتل والخطف على الهوية تزداد يوما بعد يوم والأمريكان يقفون كالمتفرج، بل يبدو أنّ هذا الأمر يروق لهم، لأنهم ينظرون لأبناء السنة أنّهم أعداء لهم، لأنهم رفعوا السلاح ضدهم، وقاوموهم وقتلوا جنودهم، لأنهم غزاة محتلّون، في الوقت الذي رحب بهم الشيعة واعتبروهم محررين، وأنقذوهم من الظلم الذي كان مسلطا عليهم-على حسب إدعائهم- ! وكأن الظلم لم يلحق إلّا بهم، والظلم الذي لحق أبناء السنة في سنوات الإحتلال

لم يقع له مثيل في المنطقة، وقد فاق القتلى منهم الحصر، ناهيك عن التهجير في الداخل والخارج الذي لم يحدث في جميع مراحل الحكم في العراق، فلم يحصل تهجير ولاخطف ولاقتل على الهوية في أحلك الظروف التي مرّ بها البلد.

وربما أخصص للظلم الذي مرّ به أبناء السنة مبحثا خاصا ضمن هذه الذكريات أتناوله بإيجاز موفٍ وحسبنا الله ونعم الوكيل.

10- عقدنا مؤتمرا تحت عنوان(مؤتمر أهل السنة)[1] في2005/5/4م في جامع أم القرى وسبق أن تحدثت عن هذا المؤتمر، ويبدو أنّ ممثل الأمم المتحدة أشرف قاضي قد وصلت إليه أخبار هذا المؤتمر فدعانا إلى اللقاء به في مقرّه يوم 2005/5/28م،فلبينا الدعوة وهذه المرة الثانية التي يدعونا الى اللقاء به، فاصطحبت معي وفدا مؤلفا من المستشار القانوني الأستاذ هواش مخلف الحديثي-رحمه الله- واللواء الدكتور علي خليفة والشيخ محمد شهاب الدليمي-رحمه الله- والأستاذ يوسف نجم الأعظمي مدير مكتبي في الديوان، وقد رحب بنا ممثل الأمم المتحدة، وقال: إنّه قد تابع التطورات الأخيرة، في العراق والتدهور الأمني وأنّ القطر يمرّ بمرحلة حرجة وحساسة وإذا لم تتمّ السيطرة على الوضع بتكاتف أبنائه على اختلاف انتماءاتهم وأعراقهم والخروج من عنق الزجاجة بالجهد والتعاون المشترك فإنّ الأمر جدّ خطير ويمكن أن يؤدي هذا الوضع إلى انتكاسة خطيرة، ثمّ أبدى اهتمامه بمؤتمر أهل السنة، وأشاد بهذه الخطوة، ووصفها بأنها خطوة كبيرة وعمل سياسي سلمي جيد، وطلب أن نعطيه نبذة عن هذا التجمع وأهدافه ليتسنى مساعدته سياسيا ، ثمّ أبدى سروره بتقديم أيّ مقترح يهدف إلى وضع نهاية للعنف والسير نحو شاطيء

(١) تحول هذا التجمع إلى المؤتمر العام لأهل العراق وسبق أن تحدثنا عنه.

السلامة.

فقدمتُ له نبذة يسيرة عن نشأة هذا التجمع الذي انطلق مؤتمره الأول في جامع أم القرى، ثمّ انعقد المؤتمر الثاني في2005/5/21م وقد ضمّ هذا التجمع هيئات وروابط كثيرة مثل السلفية المعتدلة والصوفية وهيئة الإفتاء وضمّ سياسيين إسلاميين وعلمانيين وشيوخ عشائر وضباط قدامى وممثلين عن الأكراد والتركمان وممثلين عن مختلف المحافظات، وحضر المؤتمر الثاني الذي عقدناه أكثر من 580شخصا من رموز العراق وكان للمؤتمر صدى كبير داخل العراق وخارجه، وانبثقت عن المؤتمر لجنة للمتابعة، وكان غرضنا من هذا التجمع دفع أبناء السنة للمشاركة في العملية السياسية بجوانبها المختلفة ومنها كتابة الدستور والدخول في الجيش والشرطة والمشاركة في الإنتخابات النيابية بقائمة موحدة[1]، وكذلك المساهمة في تحقيق الأمن والاستقرار والدفاع عن أبناء السنة والدعوة لإشراكهم في إدارة الدولة وعدم إقصائهم، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص والعدالة، وهذا التجمع يقف في وجه دعاة العنف والإرهاب، وسنحثّ أئمة المساجد وخطباء الجمعة على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والدعوة إلى الأخوة والمحبة والمصالحة الوطنية، ولكننا في الوقت نفسه سندافع عن حقوق أهل السنة، وسنوصل صوتنا إلى الجهات المؤثرة في المشهد العراقي سواء أكانت عراقية أم أجنبية، وسنخاطب الدول العربية والمنظمات الدولية ومنظمة حقوق الإنسان، وسندعو إلى تفعيل القضاء وألاّ يعتقل أيّ مواطن إلاّ بإذن مسبق من القاضي المختصّ، وطالبنا أن يُسمح لنا بتكوين لجان من المحامين للدفاع عن المعتقلين في السجون الأمريكية والعراقية، ودعونا إلى عدم مداهمة البيوت والمساجد بصورة تزيد من تخوّف الناس، وضرورة اتباع الأصول القانونية عند إجراء أيّ تفتيش

(1) وكانت هذه القائمة هي جبهة التوافق العراقية)التي تحدثنا عنها سابقا .

تتعرض له البيوت أوالمساجد، ونحن في تجمعنا هذا نتحدى أيّ جهة كانت أن تجد أيّ سلاح غير مُصرحٍ به في مساجدنا، وكلّ الأسلحة مجازة من قبل الدولة ومشتراة من ميزانية الدولة، وقوات الشرطة والجيش تداهم مساجدنا فتسرق كلّ ما موجود فيها من هواتف نقالة وأسلحة وأموال وتكسر الأبواب وتبعثر المصاحف والكتب ويسبّون الصحابة الكرام وأهل السنة، فهذه الأفعال من قبل الأجهزة الأمنية والطرق الإستفزازية هي التي تولد العنف وتزيد من مشاعر الغضب، وقد طلبنا مرارا وتكرارا من الحكومة والقوات الأمريكية أن توقف مثل هذه الأعمال الهمجية لتقطع الطريق على الذين يريدون السوء والدمار لهذا البلد، ونحبط مخططاتهم التي ترمي إلى زرع الفتنة بين أبناء الشعب الواحد والتي تهدف إلى تقسيمه وتجزئته .

أمّا في ما يتعلق بكتابة الدستور فإنّنا مصمّمون على المشاركة الفاعلة في ذلك وقدمنا قائمة تضمّ خبراء من أساتذة القانون الدستوري بعضهم سبق أن شارك في كتابة الدستور العراقي، ونريد لأهل السنة مشاركة تكافئ حجمهم الحقيقي، وأن يكون دورهم رئيسا وفاعلا وليس استشاريا، ونحرص أن يتضمن الدستور مادة صريحة تنصّ على أنّ الدين الرسمي للبلاد الإسلام، وألاّ يتضمن الدستورأيّ مادة تتعارض أوتناقض الشريعة الأسلامية، وأن يؤكد على عروبة العراق وأنّه جزء من الأمّة العربية والحفاظ على وحدة العراق شعبا وأرضا ودولة، وأنّ العراقيين متساوون في الحقوق والواجبات، والنصّ على حرية العبادة وحماية الأقليات الدينية.

ونحن نظنّ أنّه سوف لايكون اختلاف بين العراقيين المشاركين في كتابة الدستور، ولكنّنا نخشى التدخل الخارجي ليفرض نصوصا تتناقض مع عقيدة هذا البلد وثوابته الثقافية والإجتماعية.

وبعد أن استمع لحديثنا السفير أشرف قاضي تعهد بأن يوصل آرءنا للأمم المتحدة وشكرنا على صراحتنا وأفكارنا ثمّ انتهى اللقاء، وشكرناه أيضا على حسن استماعه، ثمّ غادرنا مقرّه وكنّا مسرورين بهذا اللقاء، وحمدنا الـلـه أنّه وفقنا لإيصال صوتنا إليه.

11- ثمّ دُعينا للإلتقاء بوفد الإتحاد الأوربي في المنطقة الخضراء وكان مؤلفا من جافير سولانا والسيد سترو وزير خارجية بريطانيا والسيدة مسؤلة العلاقات الخارجية في الاتحاد الأوربي، وكان معي كل من الأستاذ طارق الهاشمي والدكتور صالح المطلك .

وتحدثت بعد أن تحدث كل من الهاشمي والمطلك فشكرت وفد الإتحاد الأوربي للإجتماع بنا وسماع وجهة نظرنا في العملية السياسية، ثمّ قلت لهم أحبّ أن أوضح لكم صفتي فأنا رئيس ديوان الوقف السني المسؤول عن الناحية الدينية لأهل السنة، وأنّ هذا الديوان مسؤول عن مساجد أهل السنة في جميع العراق وعددها أكثر من عشرة آلاف مسجد، ومسؤول عن جميع أئمة المساجد وخطباء الجمعة وموظفي الديوان، وفروع الديوان منتشرة في جميع المحافظات، وترتبط بالديوان مدارس إسلامية تابعة لأهل السنة وعددها مائة مدرسة منتشرة في جميع أنحاء العراق، ومن جهة ثانية أنا الناطق الرسمي.... بإسم (مؤتمر أهل السنة) ولاأزعم أنّه يمثل كلّ السنة ولكنه يمثل تجمعات كثيرةمنتشرة في جميع أنحاء العراق، ثمّ قلت لهم أحب أن أضع بين أيديكم بعض المبادئ، فنحن لانؤمن بالطائفية، ونؤمن بوحدة الشعب العراقي، واضطررنا للمشاركة في العملية السياسية لإيجاد مرجعية لأهل السنة، ونؤمن إيمانا قاطعا بضرورة مشاركة جميع أهل السنة في العملية السياسية وكتابة الدستور والإشتراك بالجيش والشرطة، وسنشارك في الإنتخابات القادمة وبدأنا بتثقيف السنة للمشاركة فيها، وقدمت اليوم المبادئ العامة التي يجب أن يتضمنها الدستور وأرجو أن تطّلعوا

عليها، وأُحب أن أسألكم سؤالا صريحا هل أنتم جادّون في مشاركة السنة في العملية السياسية؟ إذا كنتم جادّين أرجو أن تقدموا البراهين الصادقة المتمثلة في أرض الواقع، وذلك سيساعدنا في إقناع السنة للمشاركة الفعلية، فأطالب بإيقاف مداهمات المساجد والبيوت والذي يجري الآن أمر فضيع لم يحدث في تاريخ العراق، وخاصة مداهمة المساجد، واعتقال أئمة المساجد وخطباء الجمعة لأدنى شبهة، وسأقدم لكم قوائم بأسماء المعتقلين من أئمة المساجد وعددهم أكثر من خمسمائة إمام وخطيب، كيف تريدون من السنة أن يشاركوا في العملية السياسية، وأبناؤهم معتقلون، وإني دعوت الحكومة والأمريكان وكل من له صلة في الشأن العراقي أن يفعّلوا القضاء وأن يسود القانون، وألاّ يعتقل أي عراقي إلّا بإذن القاضي، وألاّتداهم البيوت بعد منتصف الليل ويُروّع الآمنون، حتى غرف النوم لم تسلم من هذا العمل المشين، وكيف يمكننا أن نقنع السنة أن يكونوا مسالمين بعيدين عن العنف، وهذا العنف يواجههم ليل نهار، وكنت أتكلم بانفعال وقوة، ولمّا انتهيت من كلامي بادر السيد سترو وزير خارجية بريطانيا فقال: إسمح لي أن أردّ عليك، إنّ غضبك موجه إلى أمريكا وبريطانيا وليس ضدّ الإتحاد الأوربي وسأنظر في هذه الأوراق التي قدمتها إلينا، وأودّ أن أقول وقد سألتنا إن كنّا جادّين في مشاركة السنة في العملية السياسية،نعم نحن جادّون، ونريد أن نرى السنة ممثلين في المجلس التشريعي ونعرف أن كثيرا منهم لم يشاركوا في انتخابات الجمعية الوطنية لأسباب كثيرة، نحن نعرف شيئين أنّ العراق لن يكون سالما دون المشاركة الكاملة لكل طوائف وأعراق الشعب العراقي، والديمقراطية لا يمكن تجزئتها، والأمر الآخر: أقول للعراقيين: إنّ ديمقراطيتكم يجب أن تكتمل ولدينا مصلحة مشتركة أن يكون هناك عراق آمن وديمقراطي، وإذا حصل ذلك فإنّ جميع القوات التي تحتلّ العراق ستخرج منه، وهناك ضغوط كثيرة على أمريكا لتخرج من العراق، ونحن في الإتحاد الأوربي

نسعى إلى تحقيق ذلك بأسرع وقت.

ثمّ تحدث السيد سولانا فقال: نحن لانمثل أيّ بلد، وإنّما نمثل الإتحاد الأوربي، ونحن نعرف أحاسيسكم والمعاناة التي تعرض لها العراقيون، وكونوا متأكدين أنّه ليس هناك عراق مستقر دون مشاركة أهل السنة، وكلّ شيء ممكن أن نفعله بهذا الشأن سنفعله، ونحن مستعدون للتعاون معكم، ومن الضروري أن تشاركوا في كتابة الدستور والمشاركة في الإنتخابات القادمة، وكونوا متأكدين أنّ المجتمع الأوربي يتفاعل معكم، وسنقدم ماذكرتموه لنا إلى الإتحاد الأوربي بطريقة بناءة.

ثمّ تحدثت مسؤولة العلاقات الخارجية في الإتحاد الأوربي، فقالت: دعوني أضمّ صوتي إلى بقية زملائي فنحن قد استوعبنا آراءكم وزيارتنا هذه ليست زيارة رمزية وأنّا أتحدث معكم في لحظة مهمة وتاريخية، نريد منكم أن تشاركوا في كتابة الدستور، وأن تشاركوا في الانتخابات القادمة، وأن تُثبتوا وجودكم في هذه الانتخابات، وثقوا أنّ المجتمع الأوربي معكم، وأنّنا مخلصون في ضمّكم إلى العملية السياسية ونريد منكم مشاركة فاعلة في ذلك كلّه.

وبعد أن أنهت حديثها قلت: نحن مصمّمون على المشاركة في كتابة الدستور وقمنا بدراسة مستفيضة عن مبادئه وحددنا من سيشارك في ذلك, وسنشارك في الانتخابات، ولكن لابدّ من أمور تساعدنا في هذه المشاركة، منها: إطلاق سراح المعتقلين الأبرياء وإيقاف مداهمة البيوت والمدن السنية وإعادة إعمار المدن التي دوهمت وهُدمت، هذه إذا تحققت سوف تساعدنا في دفع أبناء السنة للمشاركة في الانتخابات والمشاركة في العملية السياسية، ونطالب بالتحقيق في هذه القوائم التي قدمناها لكم، والتي تتضمن أسماء المعتقلين، وأن يُفعّل القانون، والقانون العراقي لايجيز اعتقال أيّ موظف إلاّ بإذن من مسؤوله،

وهؤلاء الأئمة المعتقلون كلّهم موظفون تابعون لديوان الوقف السني، وطلبت من القوات الأمريكية والحكومة العراقية إذا أرادوا مداهمة مسجد أواعتقال أيّ إمام أن يبلغوا الديوان بذلك، وإنّنا مستعدون أن نَحضر ليتمّ ذلك بمعرفتنا ولاسيما مداهمة المساجد لنكون حاضرين عند المداهمة ويكون التفتيش أصوليا وبعيدا عن الأعمال التعسفية المدفوعة بعوامل طائفية حاقدة، ولكي لاتصاحبها أعمال استفزازية، ثمّ انتهى اللقاء وشكرنا ممثلي الاتحاد الأوربي لدعوتهم لنا لمعرفة وجهة نظرنا.

11- وفي 2005/11/6م دعانا القائم بأعمال السفارة الأمريكية للاجتماع به في المنطقة الخضراء، وفي بدء الاجتماع رحب القائم بأعمال السفارة بنا ثمّ ذكر أنّ ديوان الوقف السني قد قدم قائمة بأسماء المعتقلين الأبرياء منهم، ثمّ طلب أن نوافيه بالتحركات السياسية لاسيّما ما يتعلق بكتابة الدستور، فقلت له: إنّنا نتداول مع أطياف كثيرة من أهل السنة للاستعداد للمشاركة في كتابة الدستور، وقد عقدنا ندوة يوم الأربعاء لموافق2005/6/8م دعونا إليها أكثر من مئتي شخصية سياسية سنية من مختلف الأطياف علمانيين وليبراليين وإسلاميين وعشائر وشخصيات لهم ثقلهم في المجتمع السني واتفقنا على وجوب المشاركة في كتابة الدستور ووضعنا المبادئ العامة التي نرى أن يتضمنها الدستور، وقدمنا قائمة بأشخاص ذوي اختصاص في كتابة الدساتير والقوانين عددهم (25) مختصا، نرى أن يكون هؤلاء ضمن لجنة صياغة الدستور ويكون لهم حقّ وصلاحية كاملة مثل أعضاء الجمعية الوطنية، وقد وافق رئيس الجمهورية على ذلك، ولكنّه لا يملك القرار النهائي لأنّ القرار النهائي من حق الجمعية الوطنية، ثمّ قدمنا قائمة تضمّ اكثر من خمسين خبيرا استشاريا نرى أن يشاركوا في اللجان التي تصوغ الدستور، وقدمت للقائم

بالأعمال الأمريكي كلمتي التي ألقيتها في المؤتمر الثاني لأهل السنة، وتمّ قراءتها مترجمة.

قال القائم بأعمال السفارة: نحن سعداء بهذا التجمع (يعني المؤتمر العام لأهل السنة) ولكني أريد أن أعرف من الذي يعمل ضمن هذا التجمع.

فقلت له: هذا التجمع يضمّ منظمات مجتمع مدني وعلماء عاملين في المجال الإسلامي وصوفية وسلفية معتدلة، ودار الإفتاء والإرشاد وجمعيات إسلامية سنية وروابط شبابية وطلابية، وسنصدر صحيفة باسم هذا التجمع[1]، وعقدنا مؤتمرات كثيرة، دعونا فيها إلى الحوار ووحدة العراقيين ورفضنا الإرهاب والعنف ونادينا بالأخوة بين جميع العراقيين من سنة وشيعة وكرد وتركمان وغير مسلمين، وسنفتح فروعا للمؤتمر في كثير من المحافظات لبثّ الوعي السياسي ودفع أبناء السنة للمشاركة في العملية السياسية والمشاركة في الإنتخابات النيابية، ونحن بحاجة إلى غطاء قانوني، لأنّ هناك أعداء يعرقلون عملنا بيدهم المال والسلطة والإعلام، ونحن لسنا بحاجة للمال، نحن بحاجة إلى الحماية القانونية فقد تداهم بيوتنا ومقرّاتنا، وقد نُعتقل بل قد نُقتل، ومع هذا فنحن غير خائفين لأننا نعتقد أنّ عملنا واجب وطني وإنساني وديني لأنّ الوضع في العراق لايهمّ العراقيين وحدهم بل يهمّ العالم، ونحن أمام أعداء شرسين وحاقدين لايكترثون بالقانون ولابحقوق الإنسان، نريد منهم أن يحاورونا بالكلمة، والحكم الذي يقوم على العنف ليس حكما .

فقال القائم بأعمال السفارة: البرابرة الحقيقيون هم من يقومون بقتل الأبرياء[2].

---

(1) اصدرنا صحيفة اسبوعية اسمها (الاعتصام) ناطقة بلسان هذا التجمع.

(2) هذا يراد منه الاستهلاك والوقائع تشهد أن أول من قتل الابرياء هم الامريكان الغزاة.

فقلت له: نحن نريد الحماية القانونية والإسناد المعنوي فنحن مصمّمون على المشاركة في العملية السياسية ولايخيفنا الإرهابيون من السنة والشيعة، وسنعمل بقوة من أجل دفع السنة للمشاركة في الانتخابات وإنّنا مصمّمون على خوض هذه المعركة السياسية.

ثمّ....قال: نحن مهتمون برؤية مشاركة السنة في العملية السياسية ونحترم قراركم هذا، وعلمت أنّ وزيرة الخارجية الأمريكية عند قدومها للعراق ستبلغ الحكومة العراقية بأهمية مشاركة السنة في كتابة الدستور، وقد تكلمنا مع أعضاء بالحكومة العراقية والبرلمان وأصررنا على ثلاثة أمورهي:

1- يجب أن تكون مشاركة السنة بصورة أوسع.

2- يجب أن تكون للسنة نفس الحقوق المتاحة للشيعة.

3- يجب أن يختار السنة بأنفسهم من يمثلهم في الحكومة والبرلمان وكتابة الدستور.

فتساءل القائم بأعمال السفارة: لماذا العدد(25) ؟ فقلت له: حتى يكون متوازنا مع عدد أعضاء اللجنة البالغ(55) عضوا.

فقال: لقد تباحثنا حول هذا الموضوع، ولايبدو أن هذا العدد مقبولا من الأحزاب، يعني (الأحزاب الشيعية) في الجمعية الوطنية، فاقترح أن يكون العدد (15) عضوا .

فقلت له: العدد (15) لايمثل استحقاق أهل السنة.لأنّ استحقاقهم هو (34) عضوا، ومشاركة أهل السنة بالعدد الذي ذكرناه يحقق التوافق ووحدة الصف، ولابدّ أن يكون عدد أعضاء السنة مناسبا لتركيبتهم السكانية، والعدد (25) هو حلّ وسط وليس منة من أحد ولافضلا، وإنما هو استحقاق، ثمّ إنّ هذا يشجع السنة للمشاركة في العملية السياسية ويجعلهم يؤمنون أنّ الأمم

المتحدة وأمريكا يريدون حقا أن يشارك أهل السنة في بناء الدولة، وهو دعم لموقفنا في دعوة السنة للمشاركة القوية في العملية السياسية، ويزيل شعورهم أنّ الأمريكان والشيعة متفقون ضدهم، ثمّ إنّ هناك كثيرا من السنة وغيرهم يعتقدون أنّ الدستور مكتوب مسبق ونحن نريد أن نزيل هذه الشبهة.

فأجاب: ولكنّي مرة أخرى أشعر أنّ الطلب غير مقبول.

فقلت: لماذا؟

فأجاب: أنّكم تطالبون شيئا كثيرا ، وليس هناك اتفاق على حجم أهل السنة في العراق، والأهمّ من ذلك أنّنا نريد أن يكون...العدد(15)، وسنقترح جعل العدد(25) وإذا اعترضوا وأصروا على أن يكون العدد(15)، سندعم ذلك، فقد بذلنا جهدا في اقناعهم بأن يكون العدد(25) عضوا فلم يوافقوا.

فقلت له: إنّ السنة لايوافقون على أن يمثلهم فقط(15) عضوا لأنّ هذا العدد لايناسب ثقلهم السكاني والمسألة توافقية، وأنا أقترح ولا أستطيع أن ألتزم، لأنّني لست مخولا بالتفاوض حول العدد ولكن رأيي الشخصي أنّ العدد(20) عضوا ممكن أن يشكل مخرجا للأزمة ويمثل حلا وسطا ويمكن أن يقبل به السنة، وإن لم يشترك أبناء السنة في العملية السياسية سيبقى البلد مضطربا، وستعاني مناطقنا اضطرابا شديدا وستتعرض للدمار وهذا ليس من مصلحة البلد، وسيشجع الإرهابيين، وهناك مسألة خاصة فعندنا سنة في المحافظات الشيعية في الوسط والجنوب، وهم يتعرضون للاضطهاد وتتعرض مساجدهم للاغتصاب وآخر ما جرى لمسجد حطين في العمارة فقد هجم الشيعة عليه واستولوا عليه، وطردوا أبناء السنة، فلمن نشتكي والحكومة تساندهم، وهذه الأعمال تؤدي إلى ردّ فعل وتزيد العنف.

فقال: سنحقق في ذلك، وسنعمل مع السلطات المحلية لمعالجة مثل هذا

الوضع، ولكن لم يتحقق شيء وبقي المسجد مغتصبا من قبل الشيعة، ثمّ انتهى اللقاء.

12- ودعانا السيد مسعود البرزاني لزيارته في مقرّه في صلاح الدين يوم 2005/7/20م، وفي بدء اللقاء قدمت للسيد مسعود تهنئة باسمي واسم الوفد المرافق لي بمناسبة تسلمه رئاسة إقليم كردستان، ثمّ ذكرت له أنّ مصيرنا واحد ومصالحنا مشتركة وأن دقة المرحلة تستوجب صبرا وتوافقا ونظرة شمولية، وأنّنا نعمل تحت راية جبهة سياسية واجتماعية سميناها (المؤتمر العام لأهل السنة) ومع ذلك فإنّنا لانؤمن بالطائفية، ولابتقسيم العراق بل نؤمن بالعراق الموحد، واستطعنا أن نجمع تكتلات قومية، ونأمل أن يكون لإخواننا الكرد من يمثلهم في هذا التجمع سواء أكان مشاركا أم مراقبا، وهذا يخدمكم ويخدم العراق، ونحن بحاجة إلى مساندتكم لإبعاد الأخطار المحدقة بأبناء السنة في العراق.

فقال البرزاني بعد أن رحب بالوفد وأبدى سعادته بهذا اللقاء: إنّ هدف هذا اللقاء تبادل وجهات النظر ويهمنا مستقبل العراق، والأخوة العربية الكردية متينة وكل الأنظمة السابقة فشلت في إيجاد شرخ بين العرب والكرد، ويجب ألاّ نبقى أسرى لعُقد الماضي ويجب أن نتحرر من الماضي لننطلق نحو المستقبل، وقلنا لقوات التحالف: إنّ إسقاط نظام صدام ليس صعبا، وإنّما الصعوبة بعد سقوط هذا النظام وسيكون هناك فراغ أمني ودستوري، وهناك رغبة في سفك الدماء والإنتقام، فدعونا إلى تفعيل القانون ولكن جرت أمور خرقت كل الإتفاقات، ونريد أن نعمل سوية من أجل البلد.

فأجبته: نحن العرب السنة ليس لدينا أيّ مشكلة مع إخواننا الكرد، وإنّ أيّ شرخ بين العرب السنة والكرد هو ليس من مصلحة الجميع، ولا يوجد عندنا

أيّ إشكال مع الأخوة الكرد، بل أقول نحن عُمق لهم وهم عُمق لنا، وإذا تعززت مصالحنا ستتعزز مصالح الكرد، لأن الهجمة الموجهة ضدّ العراق مصدرها إيران، ويجب أن نتعاون جميعا من أجل إنقاذ العراق.

فقال السيد البرزاني: الصراحة مطلوبة في كل وقت وخاصة الآن، واعتقد أنّنا التزمنا بوحدة العراق وجنحنا للسلام في كل وقت وخاصة سنة1991م، ونحن لا نحمّل العرب مسؤولية ما حدث لنا، ومع ذلك جئنا إلى بغداد وتصافحنا مع صدام وقلت له: إنّ أصعب شيء في حياتي أن أصافحك، ولكن مصلحة العراق تتضمن اللقاء، وخاصة أنّ النظام في ذلك الوقت يمرّ بمرحلة ضعف، وبعد سقوط النظام جئنا إلى بغداد نحمل رسالة مفادها إنّنا مع الشعب العراقي، وإنّنا نتألم حينما نسمع أصواتا تتهمنا بالعمل إلى الإنفصال، ونحن نستطيع أن نفعل ذلك، وقلنا للأمريكان إنّنا نرفض أن نكون تحت وصاية أيّ دولة مجاورة، ونريد علاقات مع دول الجوار متوازنة، وحاولنا في الإنتخابات السابقة أن نشجع إخواننا العرب السنة على المشاركة، وكلّ المبررات التي قدمت غير مقبولة، والآن أمامنا فرصة لاتعوض ونعتقد أن المشاركة في الإنتخابات هي الطريقة الصحيحة لنيل الحقوق.

فقلت له: نحن دعونا إلى تأجيل الإنتخابات السابقة لأنّنا وجدنا أنفسنا غير مهيئين للمشاركة وهناك قوى مؤثرة داخل المجتمع السني تدعو للمقاطعة، ولكن لم يُستجب لمطلبنا فجرت الإنتخابات دون مشاركة أبناء السنة، والآن المجتمع السني شعر بخطئه وحصل تغييركبير في المجتمع، فبدأنا نهيئ أنفسنا للمشاركة في الإنتخابات القادمة وعقدنا تجمعا تحت راية (المؤتمر العام لأهل السنة) وجمعنا تجمعات سنية كثيرة منها إسلامية ومنها علمانية وعشائر وعقدنا مؤتمرا يوم 2005/1/4م دعونا فيه للمشاركة في العملية السياسية، ثمّ عقدنا مؤتمرا آخر

يوم2006/5/21م وكان له صدى واسع داخل العراق وخارجه، قررنا فيه المشاركة في الإنتخابات القادمة وأصدرنا فتوى للانخراط بالجيش والشرطة وقدمنا للجمعية الوطنية قائمة بأسماء متخصصين بالدستور ليشاركوا في لجنة صياغة الدستور، ثمّ طلبت منه أن يقف ضد الذين يسعون إلى ظلم أبناء السنة فهناك اغتيالات تجري على قدم وساق تستهدف رموز السنة والسجون قد امتلأت بأبناء السنة والسجون مدارس إجرام، والمساجد بسبب المداهمات أصبحت خالية من المصلين وأمة المساجد مهددون بالقتل والإعتقال فكثير منهم قد تركوا مساجدهم ونأمل من سيادتكم أن تُفهموا الأمريكان أنّ العنف يؤدي إلى العنف، وان تقفوا موقفا شجاعا لدفع هذا الضرر الذي وقع على أبناء السنة، وعلينا أن نتعاون جميعا من أجل إيقاف نزيف الدمّ والوقوف أمام هذا المخطط الرهيب الذي يستهدف العراقيين جميعا .

فقال السيد البرزاني: كلّ دول الجوار تريد إضعاف العراق لأنّهم يعلمون أنّ العراق دولة قوية، وكلّ منهم يريد أن يصفي حساباته مع الأمريكان (يقصد إيران وسوريا) على حساب العراق ويقتل أبناءنا، ولكن كيف نتخلص من الإرهابيين الوافدين، ثمّ كيف نستطيع مواجهة الإرهاب وسيأتي سفير أمريكي جديد عنده صلاحيات واسعة وسأتكلم معه بصراحة وأرتب لكم معه لقاء.

فقلت له: نريد من الأمريكان أن يفهموا أنّنا نؤمن بالديمقراطية والهدوء والإستقرار، ولكنّي أشعر أنّهم لا يدركون ذلك.

ثمّ قال السيد البرزاني: إنّ حالة التشتت في أهل السنة تساعد على عدم فهم موقفهم.

فقلت له: بدأ عملنا ينتظم وبدأت الوفود تأتي إلى مقرنا من كلّ مكان، من العشائر والأحزاب السياسية والمثقفين.

ثمّ تحدث الشيخ أحمد عبد الغفور وهو أحد أعضاء الوفد فقال: لنا ثقل سياسي، ويشارك في مؤتمر أهل السنة ممثلون ينتمون إلى كتل سياسية ودينية وللمؤتمر شأن كبير في الشارع السنّي، وبعد ذلك علق الشيخ عماد محمد علي وهو أيضا أحد أعضاء الوفد المرافق لي فقال: بما أنّكم حريصون على مشاركتنا في الإنتخابات القادمة نأمل منكم التدخل لإيقاف بعض العراقيل التي تقف في طريقنا، منها الإعتقالات العشوائية، ونريد من سيادتكم تفعيل المفوضية العليا للانتخابات، ونطلب من سيادتكم أن تسعوا لدى الحكومة لتراقب الحدود وضبطها للحيلولة دون تدفق الإرهابيين للبلاد، ومدّ الجسور مع المقاومة لمحاورتها والتفاهم معها.

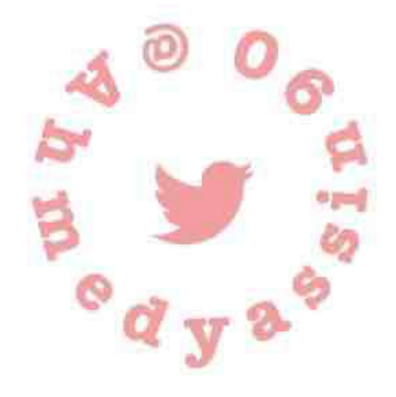
فعقّب السيد مسعود البرزاني فقال: من المهم أن تكون الخطوات واضحة، والمشاركة يجب أن تكون محسومة ولابدّ من التواصل والتنسيق في المواقف، والتحدث مع المسؤولين على ضرورة إيقاف إرهاب الدولة وأن تتهيأوا للإجتماع بالسفير الأمريكي الجديد لتفهيمه حقيقة موقفكم.

فأجبته: إنّ إطلاق المعتقلين الأبرياء أمر مهم يسهّـل عملنا، وكنّا قد اتفقنا مع السيد عبد العزيز الحكيم على تشكيل لجنة مشتركة لحلّ المشكلات، ولم يكن لهذه اللجنة أيّ أثر.

ثمّ انتهى اللقاء وغادرنا المقرّ بعد أن شكرنا السيد مسعود على دعوته لنا، ودعونا الـلـه أن يوفقه لخدمة العراق والعراقيين.

تُعبّر هذه اللقاءات عن مدى قوة تأثير ديوان الوقف السنيّ والمؤتمر العام لأهل العراق في الساحة السياسية في تلك الحقبة العصيبة في تاريخ العراق، فقد استطعنا أن ندافع عن أبناء السنة وندرأ عنهم كلّ الأخطار التي تحيط بهم، وقد استطعنا أن نوصل رأيهم إلى كلّ الجهات العاملة في الساحة العراقية، ولم نسجل

هنا إلا اللقاءات التي تمت في سنة2005م وفي شطر من سنة 2006م وهناك لقاءات كثيرة وقعت في سنة 2004م وفي السنوات التي أعقبت سنة 2006م لم نستطع أن نسجلها، لفقد محاضرها والذاكرة لاتسعفني في تدوينها وما سجلناه كافٍ لإعطاء فكرة عن العمل الذي قمنا به في ديوان الوقف السنّي وفي المؤتمر العام لأهل العراق، ولايزكّي الأنفس إلاّ اللـه، وحسبنا اللـه ونعم الوكيل.



سنة العراق.....إلى أين ؟

جاء الغزو الأمريكي إلى العراق في ضوء الأخبار الكاذبة بأنه يملك اسلحة دمار شامل, وأنه يرعى الارهاب والذي زرع هذه الأكاذيب هم الاحزاب الشيعية والكردية, وعقدت مؤتمرات في لندن وأمريكا ومنتجع صلاح الدين في أربيل, ولم يشارك في هذه المؤتمرات إلا قلة من أبناء السنة الذين كانوا يعيشون في الغرب وامريكا وليس لهم وجود أو أثر في المجتمع السني في العراق وكانت الاحزاب الشيعية المرتبطة بإيران تخطط منذ مدة للسيطرة على العراق, وقد نجحت في إقناع أمريكا والغرب بغزو العراق, وصدر قرار الكونجرس الأمريكي القاضي (بتحرير العراق) وحلت الكارثة, وسيطرت الاحزاب الشيعية على العراق بمؤازرة القوات الامريكية ودعمها لهم.

كان الشعب العراقي شعبا موحدا ولم تكن هناك مشكلات كبيرة بين طوائف الشعب من سنة وشيعة وكرد وتركمان وغير مسلمين, والظلم الذي حل بالشعب العراقي أصاب الجميع, و السنةالعرب قد عانوا من الظلم مثلما عانى غيرهم, وقتل من رموز العرب السنة أيام الحكم السابق أضعاف ما قتل من جميع الطوائف وكل الإنتفاضات العسكرية التي قامت ضد النظام السابق قام بها عسكريون سنة من مختلف المراتب, والنظام السابق لم يكن سنيا وإن كان على رأسه رجل منسوب للسنة, فحزب البعث حزب علماني كان يضم في تنظيماته كل طوائف الشعب العراقي, ونسبة الشيعة فيه تقرب من 70 % , والقائمة التي أصدرها الأمريكان التي تضم المطلوب إلقاء القبض عليهم تضم (55) عنصرا من قيادات حزب البعث فيها (35) شيعيا, ولما سقط النظام وسيطرت الأحزاب الشيعية والصفوية والايرانيون على البلاد حمّلوا العرب السنة كل أخطاء الماضي, يضاف إلى ذلك الحقد الدفين الذي يضمره الشيعة ضد السنة الذي تراكم على مدار التاريخ وموقف الدولة الفارسية الصفوية من

الدولة العثمانية هو جزء من هذا الحقد على السنة, عربا كانوا أم أتراكا, فعمدت الاحزاب الشيعية وبالتعاون مع الأمريكان على تهميش السنة واقصائهم, وكل أدبياتهم وإعلامهم تؤكد أن السنة أقلية لا تتجاوز نسبتهم 20%, وقد يعلنون في أغلب الأحيان أنهم أقل من ذلك, وفي الإحصاء الذي أصدره وزير التخطيط الدكتور مهدي الحافظ الشيعي في زمن حكومة الدكتور أياد علاوي الشيعي جاء فيه أن نسبة السنة في العراق 52% و يشار في الإعلام العالمي والعربي أن السنة أقلية, وأن الشيعة يمثلون الاغلبية الساحقة في العراق.

إحتل الأمريكان والقوات المتحالفة معهم العراق فانقسم الشعب العراقي آنذاك على قسمين, فالشيعة قد رحبوا بهذا الاحتلال وتعاونوا معه أما السنة فقد رفعوا السلاح ضدهم وانبثقت المقاومة المسلحة من مناطقهم, وصدرت فتاوى من جهات دينية سنية بمقاطعة العملية السياسية وعدم المشاركة بمؤسسات الدولة المدنية والعسكرية بحجة أنّ البلاد محتلة, فاتيحت الفرصة أمام الأحزاب الشيعية للسيطرة على أجهزة الدولة وأصدر الجنرال برايمر قراره بحل الجيش وأصدر قانون اجتثاث البعث فاستغلت الأحزاب الشيعية ذلك فأسست جيشا طائفيا وشكلوا أجهزة الحرس الوطني والشرطة التي أسهمت في قتل واختطاف واعتقال أبناء السنة ودفعوا الامريكان إلى صبّ جام غضبهم على أبناء السنة فهوجمت المدن السنية ودمرت, وتعدّ الفلوجة المدينة السنية أصدق مثال لذلك, فامتلأت السجون الأمريكية والعراقية بمئات الآلاف من أبناء السنة, وجرى تهجير جموع كبيرة من أبناء السنة خارج العراق وداخله, فعجت كثير من البلدان المجاورة بمئات الآلاف منهم, وفاق الشتات العراقي الشتات الفلسطيني وجرى تطهير كثير من مناطق بغداد والمحافظات الجنوبية وخاصة البصرة من السنة.

وجرت هجمة شرسة من القوات الأمريكية والعراقية على مناطق السنة فهوجمت مساجدهم ودورهم ومحلاتهم التجارية واعتقل مئات الآلاف منهم

وقتل شبابهم ورجالهم حتى النساء لم تسلم من الاعتقال والقتل والتعذيب داخل السجون الامريكية والعراقية لانتزاع الإعترافات القسرية منهم, ويعدّ سجن أبي غريب أسوء مثال لذلك, وانحاز القضاء ضد أبناء السنة فصدرت آلاف مذكرات الاعتقال بتهم كيدية مرتبة ضد شباب السنة وصدرت أحكام السجن والإعدام شملت الآلاف منهم, ونشطت مليشيات الاحزاب الشيعية (جيش المهدي ومنظمة بدر) وفرق الموت المدعومة من إيران فأسهمت بقتل النخب والعلماء والتجار, ونظمت حملة مدروسة لإفقار أهل السنة, فخلت الأسواق من تجار السنة ولاسيما الأسواق التجارية المشهورة في بغداد مثل (الشورجة والسوق العربي والسنك وسوق جميلة) وهجر بغداد كبار التجار ورجال الأعمال وانتقلوا إلى البلدان المجاورة للعراق وخاصة الأردن و سوريا, ونظمت حملة مدروسة تهدف إلى إفقار أبناء السنة, تمثل ذلك في مظاهر متعددة منها إشاعة البطالة في صفوفهم فخلت كثير من أجهزة الدولة منهم ويأتي في مقدمة ذلك الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية وكثير من الوزارات وخاصة وظائف الدولة المتقدمة من مديرين عامين ووكلاء الوزرارات والسفراء والقناصل وقادة الجيش والشرطة, وأختار مثالا واحدا دالا على الإقصاء والتهميش ففي الجيش العراقي سبعة عشر فرقة ليس فيها إلا قائد واحد سني, وهناك طريقة خبيثة لإبتزاز السنة وإفقارهم وتتمثل هذه الطريقة بأخذ الرشاوي من المعتقلين وابتزازهم من قبل المحققين ومسؤولي المعتقلات ورجال القضاء, واخذ عصابات الإختطاف الفدية من عوائل المختطفين مقابل إطلاق سراحهم ثم ياخذون الفدية ويقتلون المختطفين ويرمون جثثهم على أرصفة الشوراع.

أمّا مشاريع الاعمار فهي منحصرة في المحافظات والمناطق الشيعية والكردية أمّا المحافظات السنية فهي محرومة من الإعمار على الرغم من مطالبة مجالس المحافظات بذلك ولكن الحكومة المركزية لا تستجيب لذلك.

وسيطرت الأحزاب الشيعية على وزارة التربية وبيدهم المناهج الدراسية

وعمدوا الى تغيير الكتب الدراسية وفق مذهبهم ولاسيما كتب التاريخ والتربية الإسلامية ويسعون سعيا حثيثا الى تشييع العراق, وأصبح العراق ساحة إيرانية والنفوذ الإيراني في العراق أصبح ظاهرة لكل مراقب للساحة العراقية وتزايد عدد السياح الإيرانيين للعراق ويوميا يدخل العراق عشرات الآلاف من زوار العتبات الشيعية في كربلاء والنجف وسامراء وفي هذا خطر كبير, اضافة إلى إغراق السوق العراقية بالبضائع الإيرانية ولاسيما الغذائية والخضروات وهذا يؤثر تأثيرا سلبيا على ساحة العمل وخاصة الزراعة فشاعت البطالة ولاسيما في المناطق السنية, فقد أُغلقت أمام شباب السنة الوظائف الحكومية وخاصة في الجيش والشرطة والأجهزة الحكومية وأغلب الوزارات وجمهور العراقيين يعتمدون على التوظيف في دوائر الدولة وخاصة بعد تعطل الزراعة والأعمال العمرانية, اذ حرمت المحافظات السنية من مشاريع الدولة إلّا الشيء القليل وتوجهت الشركات الإستثمارية الأجنبية إلى المناطق الجنوبية التي غالبيتها شيعية والى المناطق الكردية, والبطالة مدرسة الإجرام والنبع الذي يغذي العنف والإجرام والإرهاب, والمتتبع لما تعلنه الفضائيات يستنتج أنّ جلّ حوادث الإرهاب من تفجير وقتل بالعبوات والأسلحة الكاتمة إنّما يقع في المناطق السنية. وأصبح السنة في العراق كالأيتام في مأدبة اللئام والعالم يقف كالمتفرج على المسرح العراقي الدامي وكأنّ العرب والمسلمين قد تخلوا عن إخوانهم السنة في العراق وتركوهم بين مطارق غاشمة من أحزاب شيعية عراقية وفرس صفويين حاقدين وصليبيين غادرين.

وهذا الوضع المزري دفع كثيرا من رموز السنة من المشاركين في العملية السياسية أو الرافضين لها ومن عامة أبناء السنة أن يفكروا بإقامة إقليم لهم يضم المحافظات السنية خاصة الأنبار وصلاح الدين ونينوى, فبدأت أصوات سنية ترتفع للمناداة بهذا الإقليم عبر وسائل الإعلام والأنترنت وقدمت دراسات وبحوث تتناول هذا المشروع وهناك مخاوف أن يؤدي هذا المشروع إلى تقسيم العراق إنطلاقا من الأقاليم الفدرالية ورموز السنة في البرلمان قد وقفوا في وجه

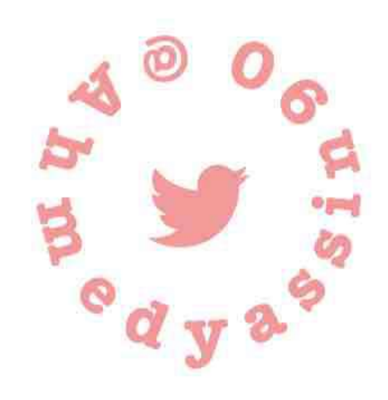
هذا المشروع لمّا عرض على البرلمان السابق الذي كان لجبهة التوافق السنية حضور بارز فيه لكنّ الأحزاب الشيعية استطاعت أن تمرره خلال البرلمان بطرق ملتوية, والدستور العراقي حدد شكل الدولة العراقية بانها دولة اتحادية فدرالية, وقد تشكل بموجب ذلك إقليم كردستان.

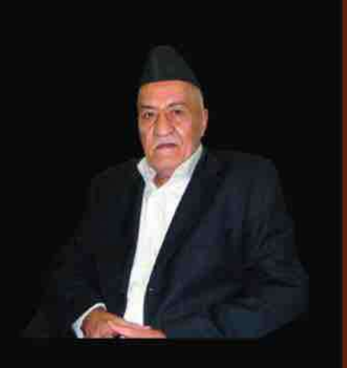
وأبناء السنة هم من أشد الناس حرصا على وحدة العراق والوضع المأساوي الذي يعيشونه هو الذي اضطر بعض رموزهم للتفكير بإقامة هذا الإقليم فمناطقهم (تُقتضم) والقتل مستشرٍ في رموزهم والمداهمات لبيوتهم ومساجدهم تتزايد وشبابهم قد تفشت فيهم البطالة وأوقافهم مهددة وضباطهم يستهدفون قتلا وسجنا وهجرة وتشريدا, وقد قُتل عشرات الطيارين[1] الذين شاركوا في الحرب العراقية الإيرانية فأصبحوا مهمشين ويحتلون المرتبة الدونية في المواطنة, فلم يجدوا لهم مخرجا يحفظ كيانهم ووجودهم ويحمي أسرهم إلّا التفكير في إقامة إقليم خاص بهم والمسألة بها حاجة كبيرة للدراسة ووضع الخطط الاستراتيجية والتكتيكية لها ولا بد من إقامة مراكز بحث تدرس هذا المشروع الصعب, ليس من السهل إقراره أو رفضه, وعلى مجالس المحافظات السنية أن تدرس هذا المشروع الخطر وتنشر استبيانات في المحافظات السنية لمعرفة موقف المواطن ولاسيما أنّنا نعيش في ظل الديموقراطية سواء كانت حقيقية أم مزيفة وسواء أكانت قائمة على حكم الـلـه (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) و (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) أم قائمة على الديموقراطية المستوردة من أمريكا والغرب والأمر كله مطروح على القيادات السنية المشاركة في العملية السيايسة أو الرافضة لها و لا بدّ من أخذ رأي الجهات التي قاومت الاحتلال بالسلاح والتي أصبح لها كيان سياسي معلن و الـلـه من وراء القصد. ربنا لاتزغ قلوبنا واشرح لنا صدورنا وارفع الغمّة عن العراق وأهله وجميع المسلمين وحسبنا الـلـه ونعم الوكيل.

---

(1) قتل مائة واثنان وثمانون طيارا حسب وثائق ويكيليكس

الفهرس


@Ahmedyassin90



تصوير

أحمد ياسين



المؤلف: د. عدنان محمد سلمان الدليمي.

الميلاد: العراق سنة ١٩٣٢م.

الدراسة:

الابتدائية الرمادي/ ١٩٤٥م.

المتوسطة (الاعدادية) الرمادي والفلوجة ١٩٤٨-١٩٤٩م.

دار المعلمين الابتدائية: بغداد الاعظمية/ ١٩٥٢م.

جامعة بغداد/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية ١٩٦٢م.

الماجستير: جامعة القاهرة/ كلية الآداب ١٩٦٥م وعنوان الرسالة: التوابع في كتاب سيبويه.

الدكتوراه: جامعة القاهرة/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية ١٩٧٠م وعنوان الرسالة : السيوطي النحوي.

العمل:

إحدى وخمسين سنة في التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي.

ثلاث سنوات تدريس في كلية الشريعة في مكة المكرمة ١٩٦٦-١٩٦٩م.

تسع سنوات تدريس في جامعة الزرقاء الأهلية/ الأردن سنة ١٩٩٤-٢٠٠٣م منها ثلاث سنوات عميد كلية الآداب ١٩٩٥-١٩٩٨م.

نال درجة الأستاذية سنة ١٩٨٦م.

رئاسة ديوان الوقف السني ٢٢-١٠-٢٠٠٣م إلى ٣٠-٩-٢٠٠٥م.

مستشار في رئاسة الجمهورية ٣٠-٩-٢٠٠٥م إلى ١٦-٣- ٢٠٠٦م.

نائب في مجلس النواب العراقي ١٦-٣-٢٠٠٦م إلى ٧-٣-٢٠١٠م.



دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس

تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧

ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن

E-mail : daralmamoun@hotmail.com

